المجلد الاول من تفسير كشاف

١٩

[illegible]

فائدة

اعلم ان الخبر نوعان مرسل ومسند ... ما

اوصله الراوي ... اما الاول فهو عندنا اسناد

الى راو اخر ومو حجة عندنا كالمسند خلافا للشافعي

في غير ارسال الصحابي وسعيد بن المسيب والمسند الذي

اتصل اسناده من راويه الى منتهاه وقد يكون متصلا وقد يكون

منقطعا في المتن انواع متواتر ومشهور وآحاد فالمتواتر ما نقله

قوم عن قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب فيه وهو المتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحكمه انه يوجب العلم والعمل قطعا حتى يكفر جاحده والمشهور هو ما كان من الآحاد في

العصر الاول ثم اشتهر في العصر الثاني حتى رواه جماعة لا يتصور تواطؤهم على الكذب وتلقته

الامة بالقبول وهو احد قسمي المتواتر حتى صحت الزيادة به على كتاب الله تعالى وحكمه انه يوجب طمأنينة

القلب لا علم يقين حتى يضلل جاحده ولا يكفر وهو الصحيح من المذهب واما خبر الواحد فهو ما نقله واحد

عن واحد لم يدخل في حد الاشتهار وحكمه انه يوجب العمل دون العلم ولهذا لا يكون حجة في المسائل الاعتقادية والله اعلم

شعر

حقيقة ظهرت في الكون من رتبها ... فاظهرت منه للاكوان واحتجبا

تكون بجنون العالمين كما ... تعرفت بتقادب عرفت ادبا

والخلق كلهم اشتاقوا طلعتها ... والامراء جمعهم كانوا لها نصبا

ما في الكون الاكوان من حجب ... بل كونها عينها ما ترى عجبا

ذكر صاحب الكشاف في قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة الآية وجهين وقال ان التفسير حسن لا اشكال فيه وسكت عن وجه الترجيح فاول وجهيه انه في الوجه [illegible] ول اشكالا لانه ان لم [illegible] ان يحمل قوله فلما اتاهما عليه ايضا اولا كذا وان حمل قوله جعلا وان اتاهما على ذلك فلا [illegible] لا ادم وحوا ومما لزم الاشراك لا ادم وحوا ومما لزم الاشراك [illegible] حعلا وقوله اتاهما على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركاء فيما اتى اولادهما [illegible] ان جعل اولا [illegible] يلزم الحالة فان حمل عليه لزم ارتكاب خلاف الاصل في ثلثة مواضع مع ان ربط الكلام لا يكون صحيحا لان الكلام مسوق لبيان حال آدم وحوا فالانتقال عنه الى بيان حال اولادهما [illegible] صاحب الكشف واريم حمل عليه كان يشعر به لفظ الكشاف احسن معنى لا لانه اذا قيل لا جاء زيد يوم السلطان كان معناه اسماء المهملين الجن والعدوم مما مفهوم من مظلوم في كتب النحو ذكره صاحب التلخيص وغيره ومن المعلوم ان من اسماء ادم وحوا ولدا صالحا وجعلا اولاده شركاء لله زمانا مديدا على ان سوق الآية لبيان قبح حال الاحسان بالاساءة [illegible] الاحسان اليه لا يخفى

II

ملا محمد [illegible]
[illegible] الشافعي
[illegible]

[illegible]
نكوبي بابدان كردن [illegible]
نه داننداين [illegible]
زهر آنند [illegible] نكوبي
بدي باشد [illegible]

[illegible]

[illegible] الفقير [illegible] بن زكريا [illegible]
السنجصاري [illegible]

إن التناسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف

٢٤٦

الربع الأول من كتاب الكشاف للشيخ العلامة فخر خوارزم جار الله الزمخشري رحمة الله عليه وفيه من السور سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

قال أبو علي الدقاق رحمه الله

إن القلوب تنحت ببطالة فالسعي غير مطهر أذيالها

إن الحرام أقفلت باب الهدى فالعلم ليس بفاتح أقفالها

قال مقاتل رضي الله عنه من قرأ هذه الكلمات فيما بين صلوة الفجر إلى طلوع الشمس ثلثة أيام متصلة مئة مرة من غير أن يشتغل بشيء من أمور الدنيا لكفاية مهم كفاه الله تعالى بهمه وإن لم يكفه فليلعن مقاتلا في قبره وهي هذه

ما شاء الله كان لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا قديم يا قديم يا وافي يا خفي يا قائم يا دائم يا فرد يا أحد يا صمد يا وتر يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث

ولا السعد يأتي به المشتري ولا النحس يقضي علينا زحل

وما الأمر إلا لرب السما وقاضي القضايا تعالى وجل

مدة خلافة أبي بكر رضي الله عنه قول موهم لأن في مدة خلافته اختلافا فقال بعضهم كانت خلافته سنتين وثلثة أشهر وعشر ليال وقال بعضهم كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال كذا ذكر الاختلاف في كتاب الطبقات الكبير وتوفي أبو بكر رضي الله عنه مسي ليلة الثلثاء لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلث عشر من مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلث وستين سنة وكانت ولادته بعد الفيل بثلاث سنين [illegible] والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

رب تمم بالخير

الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ● ونزله بحسب المصالح منجماً ● وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً ● وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً ● وفصله سوراً وسوره آيات ● وميز بينهن بفصول وغايات ● وما هي إلا صفات مبتدإ مبتدع ● وسمات منشئ مخترع ● فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ● ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم ● أنشأه كتاباً ساطعاً تبيانه ● قاطعاً برهانه ● وحياً ناطقاً ببينات وحجج ● قرآناً عربياً غير ذي عوج ● مفتاحاً للمنافع الدينية والدنياوية ● مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية ● معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان ● دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان ● أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء ● وأبكم به من تحدي به من مصاقع الخطباء ● فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ● ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم ● على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء ● وأوفر عدداً من رمال الدهناء ● ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط في المضادة والمضارة ● وإلقائهم الشراشر على المعازة والمعادة ● ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط ● وركوبهم في كل ما يرومونه

الشطط ● إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر ● وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر ● وقد جرد لهم الحجة أولاً والسيف آخراً فلم يعارضوا إلا السيف وحده ● على أن السيف القاضب مخراق لاعب إن لم تمض الحجة حده ● فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب ● وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب ● والصلوة على خير من أوحي إليه حبيب الله أبي القاسم ● محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ● ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ● ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي ● المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة ● الشادخ الغرة الواضح التحجيل ● النبي الأمي المكتوب في التورية والإنجيل ● وعلى آله الأطهار ● وخلفائه من الأختان والأصهار ● وعلى جميع المهاجرين والأنصار ● اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة ● طبقات العلماء فيه متدانية ● وأقدام الصناع فيه متقاربة أو متساوية ● إن سبق العالم العالم لم يسبقه إلا بخطى يسيرة ● أو تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة ● وإنما الذي تباينت فيه الرتب ● وتحاكت فيه الركب ● ووقع فيه الاستباق والتناضل ● وعظم التفاوت والتفاضل ● حتى انتهى الأمر إلى أمد من الوهم متباعد ● وترقى إلى أن عد ألف بواحد ● ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ● ومن لطائف معان فيها مباحث للفكر ● ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة إلا أوحديهم وأخصهم ● وإلا واسطتهم وفصهم ● وعامتهم عماة عن إدراك حقائقها بأحداقهم ● عناة في يد التقليد

لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ● ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح
وانهضها بما يبهر الالباب القوارح ● من غرائب نكت يلطف مسلكها ●
ومستودعات اسرار يدق سلكها ● علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة
النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه
وان برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام ● والمتكلم وان بز اهل
الدنيا في صناعة الكلام ● وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية
احفظ ● والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ ● والنحوي وان كان
انحى من سيبويه ● واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه ● لا يتصدى
منهم احد لسلوك تلك الطرائق ● ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ● الا
رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ● وهما علم المعاني وعلم البيان ● وتمهل
في ارتيادهما آونة ● وتعب في التنقير عنهما ازمنة ● وبعثته على تتبع مظانهما
همة في معرفة لطائف حجة الله ● وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ●
بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ● جامعا بين امرين تحقيق وحفظ
كثير المطالعات ● طويل المراجعات ● قد رجع زمانا ورجع اليه ●
ورد ورد عليه ● فارسا في علم الاعراب ● مقدما في حملة الكتاب ●
وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها ● مشتعل القريحة وقادها ●
يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شأنها ● متنبها على الرمزة وان
خفي مكانها ● لا كزا جاسيا ● ولا غليظا جافيا ● متصرفا ذا دربة
باساليب النظم والنثر ● مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر

قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف ● وكيف ينظم ويرصف ● طالما دفع الى مضايقه
ووقع في مداحضه ومزالقه ● ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة
الناجية العدلية ● الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية ● كلما
رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ● افاضوا في
الاستحسان والتعجب ● واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك
حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل ●
وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ● فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع
بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد ● والذي حداني على الاستعفاء على علمي
انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه
الزمان من رثاثة احواله ● وركاكة رجاله ● وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا
العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان ● فامليت عليهم
مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا
كثير السؤال والجواب ● طويل الذيول والاذناب ● وانما حاولت به
التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ● ومثالا يحتذونه
فلما صمم العزم على معاودة جوار الله ● والاناخة بحرم الله ● فتوجهت
تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى
الاكباد الى العثور على ذلك المملي ● متطلعين الى ايناسه ● حراصا على اقتباسه ●
فهز ما رايت من عطفي ● وحرك الساكن من نشاطي ● فلما حططت الرحل
بمكة اذا انا بالشعبة السنية ● من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام

شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبته عن الحجاز مع تراحم ما هو فيه من المشاد • بقطع الفيافي وطي المهامه • والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفى الحيل • وعيت به العلل • ورأيتني قد اخذت مني السن • وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر • ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة • وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم • وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم • اسأل الله تعالى ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني • ونورا على الصراط يسعى بين يدي وبيميني • ونعم المسئول •

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مكية ومدنية

لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى • وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس • بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى

فان قلت بم تعلقت الباء • قلت بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله • فقلت الى الطعام فقال منهم • فريق نحسد الانس الطعاما

فان قلت لم قدرت المحذوف متأخرا • قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون بسم اللات بسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله جل وعلا بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله تعالى اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها

فان قلت فقد قال تع

اقرأ باسم ربك نقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجئ معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه السلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات كقوله تع تنبت بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن **فان قلت** فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرأ **قلت** هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه **فان قلت** من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وباءها بنيتا على الكسر **قلت** اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدؤوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية

من الإحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى **فان قلت** فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك **قلت** قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السينات ودور الميم والله اصله الاله قال الشاعر معاذ الاله ان تكون كظبية ونظيره الناس اصله الاناس قال الشاعر ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر **فان قلت** اسم هو ام صفة **قلت** بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول

اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان صفاته تعالى لا بد
لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم
موصوف بها وهذا محال **فان قلت** هل لهذا الاسم اشتقاق **قلت** معنى
الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة
قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة وذلك
ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا
الباطل وقل النظر الصحيح **فان قلت** هل تفخم لامه **قلت** نعم
قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل
انهم ورثوه كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب
وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة
ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان
الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا
ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو
مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم
هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف فقلت بلى فقال
هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة
كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة
واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه • وانت
غيث الورى لا زلت رحمانا • فباب من تعنتهم في كفرهم **فان قلت**

كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا **قلت** اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو
عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه **فان قلت** قد شرط في امتناع
صرف فعلان ان يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى
فلم تمنعه الصرف **قلت** كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد
حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص
العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره **فان قلت**
ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها
قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم
اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم
خيره ومعروفه **فان قلت** فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه
والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد
فياض **قلت** لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها واصولها اردفه الرحيم
كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها وما لطف الحمد والمدح اخوان وهو الثناء
والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه
وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح
قال • افادتكم النعماء مني ثلاثة • يدي ولساني والضمير المحجبا • والحمد
باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر
ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها
اشيع وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل

الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل
مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره
الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من
المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا
وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها
مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل
بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى
قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابرهيم صلوات الله عليه
حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده
وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان
لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد **فان قلت** ما معنى التعريف
فيه **قلت** هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة
الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق
الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال
لاتباعها اللام وقرأ ابرهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال
والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة
تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالها مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابرهيم
حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن
الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب

الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه وهو رب كما تقول نم عليه ينم
فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا
في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى
ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين
بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم
لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض
فان قلت لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت** فهو اسم
غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام **قلت**
ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم قرئ مالك وملك وملك
بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم
وقرأ ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح
ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانها قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن
الملك اليوم ولقوله تعالى ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء
ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
فان قلت ما هذه الاضافة **قلت** هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف
على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى
على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله تعالى لمن الملك اليوم **فان قلت**
فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ
وقوعه صفة للمعرفة **قلت** انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل

الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا
فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك
زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى
في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة رضي الله عنه
ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا
للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة
والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب
والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من
كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله **اياك** ضمير
منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في اياك واياه
واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف
في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه
الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه
وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير
الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف
الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء **قال** طفيل
الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره
والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية

اداة الهاء في اياه في موضع الجر

الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله
لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع **فان قلت**
لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في
علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة
الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي
ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات
في ثلاثة ابيات تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات
وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد وذلك من نبإ جاءني وخبرته
عن ابي الاسود وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام
اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا
للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص
به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام
تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة
في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه
صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب
ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به **فان قلت**
لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم
وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة
على الاستعانة **قلت** لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا

الاسلوب الفن والطريق

الاجابة اليها فان قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل
مستعان فيه والاحسن ان يراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة
ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا
اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة
بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام
او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط
مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية
وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما
اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان
في الرتبة وقرأ عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه
يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا
لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ
بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام
ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به
طريق الحق وهو ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم
وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت
عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل
وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه

قال في هذه اللغة يجوز الكسر في نفعل وفي كل فعل اوله همزة الوصل كاستعد

والدعاء من الادنى الى الاعلى والامر على عكسه

من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره
صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه
واكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك
ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل
لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا
للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل وكانك قلت من اراد رجلا
جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا
منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان
من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن
ابن عباس رضي الله عنهما هم اصحاب موسى عليه السلام قبل ان يغيروا وقيل هم
الانبياء عليهم السلام وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه صراط من انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا
من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة
الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير
صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم
لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين
خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يأبى عليه ان يتعرف وقرئ
بالنصب على الحال وهو قراءة رسول الله عليه السلام وعمر بن الخطاب رضي الله عنه
ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل

المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى
لقوله قد ضلوا من قبل **فإن قلت** ما معنى غضب الله **قلت** هو ارادة الانتقام
من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت
يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته **فإن قلت** اي فرق بين عليهم
الاولى والثانية **قلت** الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع
على الفاعلية **فإن قلت** لم دخلت لا في ولا الضالين **قلت** لما في غير من معنى
النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع
قولك انا زيدا مثل ضارب لأنه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما
انهما قرآ وغير الضالين وقرأ ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد
ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد
من قولهم شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد
وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن
عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه
لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال أمين
فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل صلوات الله عليه
آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس
من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي
وعن ابي حنيفة رضي الله عنه مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها
وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله عليه السلام وعند الشافعي

يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين
قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله عليه السلام انه قال لأبي بن كعب رضي الله عنه
الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله
قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة
بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما
مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى
فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت
الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان
لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما
كانت الفاظا كأساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق
الى الثلاث اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا
المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه
لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة
والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة
كأسماء العدد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها
العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا
كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء

من تاثيرها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا
مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول
دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا **فان قلت** لم قضيت
لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين **قلت**
قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف
الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال
في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف ومستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك
ان قولك الف دلالته على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص
لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره
وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم
كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة
وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه
قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي
في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا
بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم
قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا ما لا يمال من
الحروف من اجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو ياسين اجدر الا يرى ان هذه
الحروف اسماء لما يلفظ بها **فان قلت** من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية
قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث

لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس بناء
انها لو بنيت لحذي بها حذو اين وكيف وهؤلاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا
فيها بين الساكنين **فان قلت** فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما
اعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك
لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددتها فقلت كتبت لاء **قلت** هذا التخييل يضمحل
بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب
ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر **فان قلت** قد تبين
انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل
الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور **قلت** فيه اوجه **احدها**
وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي
كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين
احدهما ما لا يتاتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب
وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة
مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتاتى
فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارا
بجرد
فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب
والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن اوفى العبسي
يذكرني حاميم والرمح شاجر ❊ فهلا تلا حاميم قبل التقدم ❊ فاعرب حاميم
ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها

وهما العلمية والتأنيث والحكاية أن تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء
صورته الأولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة
أنزلناها وقال وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار
وقال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا فقلت لصيدح انتجعي بلالا
وقال الآخر تنادوا بالرحيل غدا وفي ترحالهم نفسي وروي منصوبا
ومجرورا ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرأ
صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الأوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح
وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر
وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى أبو سعيد السيرافي
أن بعضهم قرأ يا سين وتجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ
ولا الضالين فان قلت هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم
نعم الله لأفعلن وأي الله لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم قال
ذو الرمة ألا رب من قلبي له الله ناصح وقال الآخر فذاك أمانة الله الثريد
قلت إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت
بين قسمين على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل رحمه الله
في قوله عز وجل والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى
الواوان الأخريان ليستا بمنزلة الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء
إلى الأسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والأولى بمنزلة الباء والتاء قال

سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم
بهذه الأشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاما
آخر فيكون كقولك بالله لأفعلن تالله لأخرجن اليوم ولا يقوى أن تقول
وحقك وحق زيد لأفعلن والواو الآخرة واو قسم لا تجوز إلا مستكرها
قال وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن فثم ههنا بمنزلة الواو وهذا
ولا سبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الأول
في الإعراب فان قلت فقدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد
جاء عنهم الله لأفعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت في موضع
الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما
أشرت إليه قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال أقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة
بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء
الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي
شاكلت لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة
الآن وأخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت
لي في المعربة من إرادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف
القسم مضمرا في نحو قوله عز وعلا حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة
وبالكتاب المبين إنا جعلناه وأما قولهم حم لا ينصرون فيصلح أن يقضى له
بالنصب والجر جميعا على حذف الجار وإضماره فان قلت فما معنى تسميته

السور هذه الألفاظ خاصة **قلت** كان المعنى في ذلك الإشعار بأن الفرقان
ليس إلا كلماً عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ كما قال عز من قائل
قرآناً عربياً **فإن قلت** فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف أنفسها
لا على صور أساميها **قلت** لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف
واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ
بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة
هذه الفواتح وأيضاً فإن شهرة أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها
وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال
غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف
أشياء خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك
بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة
لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب
المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لأنه سنة وخط
العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط عنه ما أسقطه **والوجه
الثاني** أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالإيقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في أن هذا
المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه
كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم
دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة

وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب
والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم
المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج
من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام البشر وأنه
كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل
ولناصر الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوباً في أساليبهم
واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم بمجموع
ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة والقول بأنها أسماء السور حقيقة تخرج إلى ما ليس في لغة
العرب ويؤدي أيضاً إلى صيرورة الاسم والمسمى واحداً فإن اعترضت عليه بأنه
قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأن له محملاً سوى ما يذهب
إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل
لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في أولادكم
والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد وهذه السور والآي
وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة أو الآية التي تلك
فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد منه ما يستفاد من
التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه
الأول أن يقول التسمية بثلاثة أسماء فصاعداً مستنكرة لعمري وخروج عن كلام
العرب ولكن إذا جعلت اسماً واحداً على طريقة حضرموت فأما غير مركبة منثورة نثر
أسماء الأعداد فلا استنكار فيها لأنها من باب ما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط

شزرًا وبرق نحره وشابَ قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من حروف
المعجم دلالةً قاطعةً على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير
الاسم والمسمى واحدًا لانها مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف
مؤلفًا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدًا
حيث كان الاسم مؤلفًا والمسمى مفردًا **والوجه الثالث** ان ترد السور مصدّرة
بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلًا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل
الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون
منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصًا بمن خط وقرا وخالط
اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربًا مستبعدًا من الامي التكلم بها استبعاد الخط
والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذًا
لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس
شيئًا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها
في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته
وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت
ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف
المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء
والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة
على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف

اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف
والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين
والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف
والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء
والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن
المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين
والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء
ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين
والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا
استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس
المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت
ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته
فكان الله عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما
ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من
حروف المعجم اكثرها وقوعًا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما
فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم
والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابرهيم وهود ويوسف
والحجر **فان قلت** فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة
على السور **قلت** لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده

في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقرّ له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره
مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس
وتقريره **فان قلت** فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها
فوردت ص وق ون على حرف وطه ويس وحم على حرفين والر وطسم على ثلاثة
احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف **قلت**
هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما
ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك
بهذه الفواتح ذلك المسلك **فان قلت** فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة
التي اختصت بها **قلت** اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تأدية
هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل
بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك
بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس
بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود
فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض **قلت** هذا
علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور
المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في
سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية
في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها
لم تعد هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية **فان قلت**

فكيف عُدّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية **قلت** كما عد الرحمن وحده ومدهامتان
وحدها آيتين على طريق التوقيف **فان قلت** ما حكمها في باب الوقف **قلت**
يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا
لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء
محذوف كقوله عز قائلا الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو **فان قلت**
هل لهذه الفواتح محل من الاعراب **قلت** نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها
عنده كسائر الاسماء الاعلام **فان قلت** ما محلها **قلت** يحتمل الاوجه الثلثة
اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة
الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه
كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة **فان قلت** لم صحت الاشارة بذلك
الى ما ليس ببعيد **قلت** وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى
والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك
مما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض
ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى
المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل
معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به **فان قلت** لم ذكر اسم الاشارة
والمشار اليه مؤنث وهو السورة **قلت** لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او
صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه
في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفته فانما

أشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول
هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا. وقال الذبياني
نبئت نعما على الهجران عاتبة ❊ سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري. **فان قلت**
اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم **قلت** ان جعلت الم اسما للسورة ففي
التأليف وجوه ان يكون الم مبتداء وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر
المبتدا الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في
مقابلته ناقص. وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل الكامل في
الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال
هم القوم كل القوم يا ام خالد ❊ وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك
الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا
او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى
وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب
المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف
اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب
لا ريب فيه وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة
وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان
الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له
النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان

وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوايبه ومنه انه عليه السلام مر بظبي حاقف
فقال لا يريبه احد بشيء **فان قلت** كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق
وكم من مرتاب فيه **قلت** ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا
للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب
ان يقع فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة
من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان
يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها
فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة **فان قلت**
فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول **قلت**
لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق
لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن
المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول
تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها
ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق
بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه
هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا
ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز
والتقدير لا ريب فيه فيه هدى الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة
الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين

اشتروا الضلالة بالهدى. وقال لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع
المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا
ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك **فان قلت** فلم قيل هدى
للمتقين والمتقون مهتدون **قلت** هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك
تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه
آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم
الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل
والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
اي صائرا الى الفجور والكفر **فان قلت** فهلا قيل هدى للضالين **قلت**
لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم
وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي
ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين
الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى
للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين
وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله تعالى والمرتضين من عباده
والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه
فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة
الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه

تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح
انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن
لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر
ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك
او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل
فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال
صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها
مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق
وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها
وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم
اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده
ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال
اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم
لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه
بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا
الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف
والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة

ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع
الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا
على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون اما موصول
بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون
او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على
هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان
وقفا تاما **فان قلت** ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة
مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية
عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه
حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر
الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين
امّا العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله الصلوة
عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة
الاسلام وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة
كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثمة اختصر الكلام اختصارا
بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف
اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما
الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان
لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين

الذين

الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان
بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل
تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان افعال من الامن يقال امنته
وآمنتيه غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة
واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب
ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سكون وطمانينة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به ويثقون بانه حق ويجوز
ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن
المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني
لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله
وايمانهم فقال ابن مسعود رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي
لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية **فان قلت**
فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا **قلت** ان جعلته صلة كان
بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة
قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر
بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في
موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل واصله
قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه
نحن ما اعلمناه او نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم

الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة **فان قلت** ما الايمان الصحيح **قلت** ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا الذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي

يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان تراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب رحمه الله نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تاملت **فان قلت** والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب **قلت** يحتمل ان يراد هؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون وزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون

المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل أن يراد وصف الأولين ووسّط العاطف على معنى
أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه **فإن قلت** فإذا أريد بهؤلاء غير أولئك
فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا **قلت** إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب
دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني أهل الكتاب وغيرهم
وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون
بما أنزل إليك **فإن قلت** قوله بما أنزل إليك إن عُني به القرآن بأسره والشريعة
عن آخرها فلم يكن ذلك منزلاً وقت إيمانهم فكيف قيل أنزل بلفظ المضي وإن أريد
المقدار الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم فهو إيمان ببعض المنزل واشتمال الإيمان على الجميع
سالفه ومترقبه واجب **قلت** المراد المنزل كله وإنما عبّر عنه بلفظ المضي
وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد كما يغلّب المتكلم على المخاطب
والمخاطب على الغائب فيقال أنا وأنت فعلنا وأنت وزيد تفعلان ولأنه إذا كان
بعضه نازلاً وبعضه منتظر النزول جُعل كأن كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه
قوله تعالى إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله
منزلاً ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خاطب به فلان فهو فصيح
وما تكلم بشيء إلا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقوداً
بعضه ببعض ومربوطاً آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل إليك وما أنزل
من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض
بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم
ليس بصادر عن إيقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك

والإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي
الذي هو نقيض الأول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهي من
الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها
على اللام كقوله دابة الأرض وقرأ أبو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة
في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه لحُبّ المؤقدان
إلي مؤسى وجعدةُ إذ أضاءهما الوقود أولئك على هدى الجملة في محل الرفع إن
كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين
أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف
وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل
أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب
إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها
خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا
على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله ويعطيهم
الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا
الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن جعلته تابعاً للمتقين وقع الاستئناف
على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن
أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح
آجلاً واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف
عنه الحديث كقولك قد أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة بإعادة

صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستيناف
بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه **فان قلت**
هل يجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك
خبره **قلت** نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب
الذين لم يؤمنوا بنبوة محمد عليه السلام وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم
ينالون الفلاح عند الله تعالى وفي اسم الاشارة الذي هو أولئك إيذان بأن ما يرد
عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم
ولله صعلوك ثم عدد له خصالاً فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك إن يهلك
فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى
مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى
الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية
مركباً وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أي منحوه من
عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي
الى الأفضل فالأفضل ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ولا يقادر كأنه
قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً وقال الهذلي
فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم
أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في روايته والهاشمي عن
ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون الا أبا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان
وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح

فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت
كفت مميزة على حيالها **فان قلت** لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين
قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران
ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة
وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من
العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد
وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره
والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس
الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك أن انساناً قد تاب من أهل بلدك
فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته أو على أنهم الذين إن
حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون
تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام
إن زيداً هو هو فانظر كيف كرر الله تعالى التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله
أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط
الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك
لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا
تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من
صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له
وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلجي

بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته في الفاء والعين
نحو فلق وفلذ وفلى لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي أهلتهم
لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم
وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء
عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته **فإن قلت** لم قطعت قصة
الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم
وغيره من الآي الكثيرة **قلت** ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى
فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية
لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب
وهما على حد لا مجال فيه للعاطف **فإن قلت** هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون
جار على المتقين فأما إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته
بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة **قلت** قد مر لي
أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال
فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في
الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد
بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون
للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله
للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء
وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

في أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإن وأأنذرتهم
أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو
عليهم إنذارك وعدمه كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم
أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه
والجملة خبر لإن **فإن قلت** الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار
عنه في هذا الكلام **قلت** هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى
جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا
من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب
اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم
مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه
جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها
العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى
على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لأنه
قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه ولكن لا بعينه وكلاهما معلوم
بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف
الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين
وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح
فإن قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا **قلت** هو لاحن خارج من كلام
العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده أن يكون الأول

حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق
التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب
الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله
بالزجر عن المعاصي **فان قلت** ما موقع لا يؤمنون **قلت** اما ان تكون جملة
موكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض الختم والكتم اخوان
لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لان لا يتوصل اليه
ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما
يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة **فان قلت** ما معنى الختم على القلوب والاسماع
وتغشية الابصار **قلت** لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز
ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان
تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه
واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه
وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله
المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها
وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا
بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين
الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان
والعي ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر
واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر **فان قلت**

فلم اسند الختم الى الله واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه
بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه
بغناه عنه وقد نص على تبرئة ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به
التنزيل **قلت** القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد
الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها
كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه
يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف تتخيل ما خيل اليك وقد وردت
الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد
بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي
ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه
بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت
حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب
الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها
او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل
في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد
في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة
تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان

والمكان والمسبب له فإسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء
على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي
الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء
دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره
صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام
وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي
القدر من يستعيرها فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه
لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه
رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر
ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام
العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء
واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض
الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم
في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء
وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم بالغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه
خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في
اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية
والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم
البينة **فان قلت** اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم

وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول **قلت** على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم
على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم
فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم **قلت** لو لم يكرر
لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية
على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في
قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم
يؤمن كقولك ثوبهم وفرسهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع
مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله
وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي
عبلة وعلى اسماعهم **فان قلت** هلا منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم
ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد **قلت** لان الراء المكسورة تغلب المستعلية
لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا
يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور
القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى
فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم
والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع
والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال
بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه
ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه

تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطات فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا

كما قيل لوقة في الوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناس واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا تراك تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي **فان قلت** كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم **قلت** الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت وتفصلت بمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية **فان قلت** لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر **قلت** اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه

على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا
موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم
فهو كفر لا إيمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء
بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا
الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه
واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا
كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام **فان قلت** كيف طابق
قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل
لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل **قلت** القصد الى انكار
ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من
التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون
طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان
واذا شهد عليهم بانهم في هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك
نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها
فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول **قلت**
يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم
ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان
بغيرهما **فان قلت** ما المراد باليوم الآخر **قلت** يجوز ان يراد به

الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات
المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده والخدع
ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع
اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر
فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا تخفى
عليه خافية لا تخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز
ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله ٭ واستمطروا من قريش كل
منخدع ٭ وقول ذي الرمة ٭ ان الحليم وذا الاسلام يختلب ٭ فقد جاء
النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع **قلت** فيه وجوه احدها ان يقال كانت
صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادع
وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد
شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع
المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون
ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه
الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل
معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه
مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم
والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه

بأوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله **فان قلت** هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح **قلت** وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون **فان قلت** عم كانوا يخادعون **قلت** كانوا يخادعون عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد

ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم **فان قلت** فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها **قلت** لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه الله تعالى من المصلحة **فان قلت** ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم **قلت** يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا

داعي النفس وهاجس النفس فسموهما نفسين إما لصدورهما عن النفس وإما لأن
الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين
والمراد بالأنفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع
لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم ولا يتخطاهم إلى من سواهم ويجوز أن يراد
قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر
الإنسان حواسه والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي
غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز أن يكون حقيقة ومجازا
فالحقيقة أن يراد الألم كما تقول في جوفه مرض والمجاز أن يستعار لبعض
أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها
واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة
بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به ههنا ما في
قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء لأن صدورهم
كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي
وصفها الله في قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر
ويتحرقون عليهم حسدا إن تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من
ابن أبي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول
الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة
أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك
أو يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لأن قلوبهم كانت قوية

إما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به أن ريح الإسلام تهب حينا
ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكها اليأس
عند إنزال الله على رسوله النصر وإظهار دين الحق على الدين كله وإما لجراءتهم
وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم
الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وإمداد الله لهم بالملائكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله
إياهم مرضا أنه كلما أنزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا
كفرا إلى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه إسنادا للفعل
إلى المسبب له كما أسنده إلى السورة في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا أو كلما
زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من أطراف الأرض ازدادوا حسدا
وغلا وبغضاء وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم
وجبنا وخورا ويحتمل أن يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية
الأصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع
ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة
قولهم جد جده والألم في الحقيقة للمؤلم كما أن الجد للجاد والمراد
بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز إلى قبح الكذب
وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم ونحوه
قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا والقوم كفرة وإنما خصت الخطيئات
استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الإخبار بالشيء على خلاف

ما هو به وهو قبيح كله وأما ما يروى عن إبراهيم صلوات الله عليه أنه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وروي مرفوعا إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان وقرئ يكذّبون من كذّبه الذي هو نقيض صدّقه أو من كذّب الذي هو للمبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدّق ونظيرهما بان الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص أو بمعنى الكثرة كقولك موّتت البهائم وبرّكت الإبل أو من قولهم كذّب الوحشي إذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لأن المنافق متوقف متردد في أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة وإذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والأول أوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمالون الكفار ويمالئونهم

على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا إلى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما هذه عاقبته وإنما لقصر الحكم على شيء كقولك إنما ينطلق زيد أو لقصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد كاتب ومعنى إنما نحن مصلحون أن صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجوه الفساد وألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها أما والذي لا يعلم الغيب غيره أما والذي أبكى وأضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتي الكلمتين ألا وإن من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون أتوهم في النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره إلى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوي الأحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم أن سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فإن قلت كيف صح أن يسند قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا وإسناد الفعل إلى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو إسناد الفعل إلى معنى الفعل وهذا إسناد له إلى لفظه كأنه قيل وإذا قيل لهم

هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلثة أحرف ومنه
زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز أن تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها
في بما رحبت واللام في الناس للعهد أي كما آمن رسول الله ومن معه وهم ناس
معهودون أو عبد الله بن سلام وأشياعه لأنهم من جلدتهم ومن أبناء جنسهم
أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية
أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد
التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الإنكار واللام في
السفهاء مشار بها إلى الناس كما تقول لصاحبك إن زيدا قد سعى بك فيقول
أو قد فعل السفيه ويجوز أن تكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم
على زعمهم واعتقادهم لأنهم عندهم أعرق الناس في السفه **فإن قلت**
لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح **قلت** لأنهم لجهلهم
وإخلالهم بالنظر وإنصاف أنفسهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن
ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولأنهم كانوا في رياسة
وسطة في قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال
كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله
بن سلام وأشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من إسلامهم وفت
في أعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم
أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **فإن قلت**
لم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون **قلت** لأن أمر

الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر
واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة وأما النفاق وما فيه من البغي
المؤدي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيوي مبني على العادات معلوم
عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور
والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولأنه قد ذكر
السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له مساق هذه الآية
خلاف ما سيقت له أول قصة المنافقين فليس بتكرير لأن تلك في بيان مذاهبهم
والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من
التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم
فإذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي أن عبد الله
بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ
بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام
وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه
فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله عليه السلام ثم افترقوا فقال لأصحابه كيف
رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته
قريبا منه وهو جاري ملاقي ومراوئي وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وإذا

لاقوا وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم **فان قلت** لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان **قلت** ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التورية والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه

على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد **فان قلت** اني تعلق قوله انما نحن مستهزئون بقوله انا معكم **قلت** هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزئون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزئون بهم والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف **فان قلت** لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العبث والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم **قلت** معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في

الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزئون قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون

المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشيطان الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة

مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه رد لاعتقاد
الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد
الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند المد اليه على
الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر
من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق الغي
ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى
الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد
لا يدري اين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي لهم ولا
دراية بالطرق وسلك ارضا عمهاء لا منار بها ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى
اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء
بدل واخذ آخر ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا وعن
وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون
لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى
وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضهم له كانه في ايديهم فاذا
تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله
التي فطر الناس عليها وكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور
عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب
عن الصواب في الدين والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي الشف من قولك

اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة
التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كانها من حسنها وسمنها
تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت كيف اسند الخسران
الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان يسند
الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين
فان قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي
قلت نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد
المقدام ان لم تقم حال دالة لم تصح فان قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى
وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كان ثم مبايعة على
الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا
وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها واخوات اذا تلاحقن
لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول
العرب في البليد كان اذني قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق
البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها
ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش
في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب
اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه فما ام الردين
وان ادلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه
بالحبل التوام اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل

المثنى المحكم يريد إذا جردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة
ما يسوء من خلقها استعار التقضيع أولاً ثم ضم إليه التسقف ثم الحبل التوأم
فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه
إليه تمثيلاً لخسارهم وتصويراً لحقيقته **فإن قلت** ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين **قلت** معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم
شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معاً لأن رأس مالهم
كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم
يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال
خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر لما جاء
بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان ولضرب العرب
الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئات
المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم
في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة
الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت
في كلام رسول الله وكلام الأنبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها
للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في
أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه
وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً

ولا رأوه أهلاً للتسيير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة
من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير **فإن قلت** ما معنى
مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد ناراً
حتى شبه أحد المثلين بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام
للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم
العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون
أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها
ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة
أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة
في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن **فإن قلت** كيف مثلت
الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا
والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين
ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة
بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالاً بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك
نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء
الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما
ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد
فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد
ناراً على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه

الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا
التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقل في الجبل اذا
صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير
وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية
مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن
واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يستتر
في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما
مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران
والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت
فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف
في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال
عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة
التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت
ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين
بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق
ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستأنفا كانهم لما شبهت حالهم بحال

المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال
هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل
البيان فان قلت قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه
في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا
الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت
فما معنى اسناد الفعل الى الله في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا طفئت
النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه
آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان
تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة
مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي
ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب امانيهم فان قلت كيف
صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج
على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت هلا قيل ذهب الله بضوئهم
لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة
فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض
ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات
والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها
ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت

فلم وصفت بالإضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم تضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به أن معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله أخذه فلما ذهبوا به إذا لذهب كل إله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى أخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الإذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فإذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة ✽ فتركته جزر السباع ينشنه ✽ ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لأنها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت إلى إخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون فإن قلت فيم شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في أنهم غب الإضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فإن قلت وأين الإضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا إلا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط

الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز أن يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والأوجه أن يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للإحساس والإدراك كقوله ✽ صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به ✽ وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا ✽ أصم عما ساءه سميع ✽ أصم عن الشيء الذي لا أريده ✽ وأسمع خلق الله حين أريد ✽ فأصممت عمرا وأعميته ✽ عن الجود والفخر يوم الفخار ✽ فإن قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذاك في الأسماء وقد جاءت الاستعارة في الأسماء والصفات والأفعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الإسلام وأضاء الحق فإن قلت هل تسمي ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا

دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير • لدى اسد شاكي السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم • ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام • ويصعد حتى لظن الجهول • بان له حاجة في السماء • ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله رجلا • ففيه غيث وليث مسبل مشبل • ولكن لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة لحذف المبتدأ فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج • اسد علي وفي الحروب نعامة • فتخاء تنفر من صفير الصافر • ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدأوا منه ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ • يرمون بالخطب الطوال وتارة • وحي الملاحظ خيفة الرقباء • ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات • والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته • اذاك ام نمش بالوشي اكرعه • اذاك ام خاضب بالسي

مرتعه **فان قلت** قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق **قلت** لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والفتن والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا **فان قلت** هذا تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا • وفي قول امرئ القيس • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي • **قلت** كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل • والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل • بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها

كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها
بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة
وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر
من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب. وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا كماء أنزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر
فأما أن يراد تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئا
واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه
من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت
ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة
مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فإن قلت الذي كنت تقدره في المفرق
من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك أو كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في
المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم ما يرجع
إليه لكنت مستغنيا عن تقديره لأني أراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام
فلا علي أولي حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى إلى قوله
إنما مثل الحيوة الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا
بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد. وما الناس إلا كالديار
وأهلها. بها يوم حلوها وغدوا بلاقع. لم يشبه الناس بالديار وإنما شبه وجودهم
في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها
وتركها خلاء خاوية فإن قلت أي التمثيلين أبلغ قلت الثاني لأنه أدل

على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته ولذلك أخر وهم يتدرجون في نحو هذا
من الأهون إلى الأغلظ فإن قلت لم عطف أحد التمثيلين على الآخر بحرف
الشك قلت أو في أصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها
فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما
سيان في استصواب أن تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي الآثم
والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله تعالى أو كصيب معناه أن
كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن القصتين سواء في
استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب وإن مثلتها بهما
جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا
قال الشماخ. وأسحم دان صادق الرعد صيب. وتنكير صيب لأنه أريد
نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول وقرئ كصائب والصيب
أبلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف فإن قلت قوله من السماء
ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون إلا من السماء قلت الفائدة فيه أنه جاء
بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق لأن كل
أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء في قوله تعالى وأوحى في كل سماء
أمرها والدليل عليه قوله. ومن بعد أرض بيننا وسماء. والمعنى أنه غمام مطبق
آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير
أمد ذلك بأن جعله مطبقا وفيه أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه
لا كزعم من يزعم أنه يأخذه من البحر ويؤيده قوله وينزل من السماء من جبال فيها

من بردٍ فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كأن أجرام السحاب تضطرب وتنتفض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو اما ان يراد به السحاب او المطر فأيهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري

يا عارضا متلفعا ببروده ۞ يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم

بردى يصفق بالرحيق السلسل ۞ حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رأس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم قلت هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم وقال فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان

يجعلون اصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة صح

كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤهما اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله. واغفر عوراء الكريم ادخاره *

والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح وعلي وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن أبي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان تخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى

ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس *

هما اظلما حالي ثمت اجليا • ظلاميهما عن وجه امرد اشيب *

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله • ولو شئت ان ابكي دما لبكيته * وقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص

تجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال **فان قلت** كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر **قلت** مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها وكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه **فان قلت** مم اشتقاق القدير **قلت** من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز. لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا تجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن

علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معني به جدا **فان قلت** فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر **قلت** هو استقصار لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة **فان قلت** لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره **قلت** لاستقلاله

باوجه من التأكيد واسباب من المبالغة لأن كل ما نادى الله له عباده من اوامر
ونواهيه وعظاته وزواجر ووعد ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة
عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم
ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت
الحال ان ينادوا بالآكد الأبلغ فان قلت لا يخلو الأمر بالعبادة من ان
يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن
علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل
هو الا كقول القائل فلو اني فعلت كنت لمن تسأله وهو قائم ان يقوما واما
الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة
المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فشروط
فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلوة شرائطها من الوضوء
والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به وان لم يذكر
حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون
به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد جعلت قوله اعبدوا
متناولا شيئين معا الأمر بالعبادة والأمر بازديادها قلت الازدياد
من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به قلت
كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا
بالخطاب فالمراد اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها
اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب

للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا
ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل
اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرأ ابو السميفع
وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة
ووجهها على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما اقحم
جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه
وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك ولعل للترجي
او الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر
او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت
على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع
فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاءه به قال
من قال ان لعل بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت اليك
وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم
التي يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او
يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر
على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب
فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العز والكبرياء او نجيء على طريق الاطماع
دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم. فإن قلت: فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها

قلت: ليست مما ذكرناه في شيء لأن قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن يحمل
على رجاء الله تقواهم لأن الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم
راجين للتقوى ليس بسديد أيضاً ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن
الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح
العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار
وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا لترجح أمرهم وهم
مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لا يفعل
ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وإنما يبلو ويختبر من تخفى
عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار. فإن قلت
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون
من قبلهم. قلت: لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ
والمعنى على إرادتهم جميعاً. فإن قلت: فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا
لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم. قلت: ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي
ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا
ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة
وأشد إلزاماً لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة
الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه
ذلك الموقع. قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم

أحياء قادرين أولاً لأنه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة
والشكر وغيرهما ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي
بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة
والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين
المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج
من الحيوان من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبراً ومتسلقاً إلى النظر
الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون
في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئاً من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد
شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات
له أنداداً وهم يعلمون أنها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر. والموصول مع صلته إما
أن يكون في محل النصب وصفاً كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعاً على
الابتداء وفيه ما في النصب من المدح. وقرأ يزيد الشامي بساطاً وقرأ طلحة مهاداً ومعنى
جعلها فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون
كما يتقلب أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده. فإن قلت: هل فيه دليل على أن الأرض
مسطحة وليست بكرية. قلت: ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون
بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع
لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلاً في الجبل وهو وتد
من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل. والبناء مصدر سمي به
المبني بيتاً كان أو قبة أو خباء أو طرافاً وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى على امرأته

لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا **فإن قلت** ما معنى إخراج الثمرات
بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته **قلت** المعنى أنه جعل الماء سببا
في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس
كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشاء الأشياء
مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها للملائكة
والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون
إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب
ومن في من الثمرات للتبعيض لشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا
به ثمرات ولأن المنكرين ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية
فكأنه قيل وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج بالمطر
جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز أن يكون للبيان كقولك
أنفقت من الدراهم ألفا **فإن قلت** فبم انتصب رزقا **قلت** إن كانت من
للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولا لأخرج **فإن قلت**
فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار **قلت**
فيه وجهان أحدهما أن تقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة
بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية
المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع
بعض لالتقائهما في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه

الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق
إن أريد به العين وإن جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا إياكم
فإن قلت بم تعلق فلا تجعلوا **قلت** فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر
أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أندادا لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد وأن لا
تجعل لله ندا ولا شريكا أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله تعالى
لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن
عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذي جعل لكم
إذا رفعته على الابتداء أي هو الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة
بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوي
قال جرير. أتيما تجعلون إلي ندا . وما تيم لذي حسب نديد . وناددت
الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا إذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي
ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فإن قلت** كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها
بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه **قلت** لما
تقربوا إليها وعظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها آلهة مثله
قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند
شنع عليهم واستفظع شأنهم بأن جعلوا أندادا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند قط
وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه . أربا واحدا أم ألف
رب . أدين إذا تقسمت الأمور . وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا **فإن قلت**
ما معنى وأنتم تعلمون **قلت** معناه حالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح

والفاسد والمعرفة بدقايق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء
والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من
قريش وكنانة لا يصطلى بنادهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها
ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد
اي انتم العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام
لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه
لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل
مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ❁ لما احتج عليهم بما يثبت
الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك
وتصحيحه وعرّفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته
وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وما يدحض
الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو
من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء
جنسه واهل جلدته ❁ فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال
قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل
هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث
وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا
وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم

ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله
لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل
وتدريج فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر
السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على
عبادنا يريد رسول الله وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها
ثلث آيات وواوها ان كانت اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها
طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون
من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة
التي هي الرتبة قال النابغة ❁ ولرهط حراب وقد سورة ❁ في المجد ليس غرابها بمطار ❁
لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها
مترتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت
واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسورة التي هي البقية من
الشيء والفضلة منه ❁ فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت
ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر
ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في
كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت
تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا
ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز

لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه
للسير ومن ثم جزّأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان
الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة
وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه
كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة
تامة افضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها
لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من
مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز
ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة من
ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو
الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرأ
الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى
للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد
من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله
مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور
مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب
والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك
ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك

عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل
من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير
مردودا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا
من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من
جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد آخر
بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم
والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من
الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع
الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان
احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر
واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم
ومنه من قال لعدوه وقد راءاه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية
الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية
الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته
بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون
لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى

لرقتها وصفائها وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة
القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم أو ادعوا شهداءكم من دون الله أي
من دون أوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثله وهذا من
المساهلة وإرخاء العنان والإشعار بأن شهداءهم وهم مدارة القوم الذين
هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة يأبى عليهم الطبع وتجمح بهم
الإنسانية والأنفة أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم
فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم إحالته وتعليقه بالدعاء في هذا
الوجه جائز وإن علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا
تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد أن ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن
إقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهاداتهم
بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم
وانخزالهم وأن الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد
أنا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القد
وعن بعض العرب أنه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك
الحمد لله في هذا المقام ريبة أو ادعوا من دون الله شهداءكم يعني أن الله شاهدكم
لأنه أقرب إليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين أعناق رواحلكم والجن
والإنس شاهدكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والإنس
إلا الله تعالى لأنه القادر وحده على أن يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم
فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الإنس والجن الآية لما أرشدهم إلى الجهة

التي منها يتعرفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته
وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فإذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون
وبان لكم أنه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا
وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدى
به معجزا والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله **فإن قلت**
انتفاء إتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء بإذا الذي للوجوب دون إن الذي للشك
قلت فيه وجهان أحدهما أن يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم
وأن العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم
واقتدارهم على الكلام والثاني أن يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من
نفسه بالغلبة على من يقاويه إن غلبتك لم أبق عليك وهو يعلم أنه غالبه ويتيقنه
تهكما به **فإن قلت** لم عبر عن الإتيان بالفعل وأي فائدة في تركه إليه **قلت**
لأنه فعل من الأفعال تقول أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه أنه
جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه ألا
ترى أن الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به
ويعد كيفيات وأفعالا فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما أنبته عنه لطال عليك
وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال فإن لم تأتوا
بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله **فإن قلت** ولن تفعلوا ما محلها **قلت**
لا محل لها لأنها جملة اعتراضية **فإن قلت** ما حقيقة لن في باب النفي **قلت**
لا ولن أختان في نفي المستقبل إلا أن في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا أقيم

غدًا فإن أنكر عليك قلت لن أقيم غدًا كما تفعل في أنا مقيم وإني مقيم وهي عند الخليل
في إحدى الروايتين عنه أصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونًا وعند سيبويه
وإحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل **فإن قلت**
من أين لك أنه إخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة **قلت** لأنهم لو عارضوه
بشيء لم يمتنع أن يتواصفه الناس ويتناقلوه إذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة
محال لا سيما والطاعنون فيه أكثف عددًا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم أنه
إخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة **فإن قلت** ما معنى اشتراطه في اتقاء
النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله **قلت** إنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم
عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد
ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم إن استبنتم العجز
فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك
العناد من حيث أنه من نتائجه لأن من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره أن يقول
الملك لحشمه إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فأطيعوني واتبعوا
أمري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من
شعب البلاغة وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد
بإنابة اتقاء النار منابه وإبرازه في صورته مشيعًا ذلك بتهويل صفة النار
وتفظيع أمرها والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح
قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودًا عاليًا ثم قال
والوقود أكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر

كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز أن يكون مثل قولك حياة المصباح
السليط أي ليست حياته إلا به فكأن نفس السليط حياته **فإن قلت**
صلة الذي والتي يجب أن تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك
أن نار الآخرة توقد بالناس والحجارة **قلت** لا يمتنع أن يتقدم لهم بذلك
سماع من أهل الكتاب أو سمعوه من رسول الله أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى
في سورة التحريم نارًا وقودها الناس والحجارة **فإن قلت** فلم جاءت النار
الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة **قلت** تلك
الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارًا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة
مشارًا بها إلى ما عرفوه أولًا **فإن قلت** ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة
قلت معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها لا تتقد إلا بالناس
والحجارة وبأن غيرها إن أريد إحراق الناس بها أو إحماء الحجارة أوقدت أولًا
بوقود ثم طرح فيها ما يراد إحراقه أو إحماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة
توقد بنفس ما تحرق وتحمي بالنار وبأنها لإفراط حرها وشدة ذكائها إذا اتصلت
بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها **فإن قلت** أنار الجحيم كلها موقدة بالناس
والحجارة أم هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة **قلت** بل هي نار شتى منها نار
توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا أنفسكم وأهليكم نارًا فأنذرتكم
نارًا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارًا وقودها الشياطين كما أن لكفرة الإنس
نارًا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب **فإن قلت** لم قرن الناس
بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودًا **قلت** لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث

نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله إنكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله أنها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغا في إيلامهم وإغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل. أعدت هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة. ومن عادته عز وعلا في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالإنذار إرادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف. فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب. فإن قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز أن يكون رسول الله عليه السلام وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به

فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه؟ قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمرا بالعفو والإطلاق. ولك أن تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم. وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت. والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لأنهم جميعا أخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه. وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم. والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم. قال الحطيئة: كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني. والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس. فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع؟ قلت إذا دخلت على المفرد كان صالحا لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه

الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فان قلت ما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير. تسقي جنة سحقا. اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحوا الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجد من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا ينفع مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم

وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شي واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها لما جاء الله بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها

أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا
لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة
لأنه لما قيل أن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات
أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها
أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله
فإن قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان
شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من
أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الأولى والثانية
كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ
من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول
من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره أن
رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات
مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا
التفسير وإنما المراد النوع من أنواع الثمار ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بيانا
على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من
الثمار والجناة الواحدة فإن قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون
ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا
مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك أبو يوسف
أبو حنيفة رحمهما الله تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فإن قلت

إلام يرجع الضمير في قوله وأتوا به قلت إلى المرزوق في الدنيا والآخرة
جميعا لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين
ونظيره قوله تعالى إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير
لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى
به على التوحيد فإن قلت لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال
ثمر الجنة لم تكن أجناسا أخر قلت لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى
المعهود أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا
ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه ألف ورأى فيه مزية
ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا أفرط ابتهاجه واغتباطه
وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به
ولو كان جنسا لم يعهده وإن كان فائقا حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك
فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها
في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة
تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم القلة ثم يرون نبق الجنة
كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة
في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية
وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير
عهد سابق بجنسهما وترددهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها
دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى أن ذلك التفاوت

العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان عن مسروق نخل الجنة
نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها
أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنا عشر ذراعاً ويجوز أن يرجع
الضمير في أتوا به إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه
من ثمرات الجنة يأتيهم متجانساً في نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة
فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل
فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده
إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدل الله
مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك والتفسير الأول هو هو
فإن قلت كيف موقع قوله وأتوا به متشابهاً من نظم الكلام قلت هو
كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صواباً ومنه
قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التي
تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء
من الحيض والاستحاضة وما لا يختص من الأقذار والأدناس ويجوز لمجيئه مطلقاً
أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما
يكتسبن بأنفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة
ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن فإن قلت هلا جاءت
الصفة مجموعة كالموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن
وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة * وإذا

العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت * والمعنى وجماعة
أزواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة
وفي كلام بعض العرب ما أحوجني إلى بيت الله فأطهر به أطهرة أي فأتطهر به
تطهرة فإن قلت هلا قيل طاهرة قلت في مطهرة فخامة لصفتهن ليست
في طاهرة وهي الإشعار بأن مطهراً طهرهن وليس ذلك إلا الله تعالى المريد
بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم والخلد الثبات الدائم
والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد
أفإن مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس * ألا انعم صباحاً أيها الطلل
البالي * وهل ينعمن من كان في العصر الخالي * وهل ينعمن إلا سعيد مخلد *
قليل الهموم ما يبيت بأوجال * سيقت هذه الآية لبيان أن ما استنكره
الجهلة والسفهاء أو أهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات
من الأشياء مضروباً بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل أن التمثيل
إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وإدناء المتوهم
من المشاهد فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به مثله وإن كان حقيراً كان
المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إذاً إلا أمراً تستدعيه
حال المتمثل له وتستجره إلى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية ألا
ترى إلى الحق لما كان واضحاً جلياً أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور وإلى الباطل
لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار
أنداداً لله تعالى لا حال أحقر منها وأقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف

والوهن وجعلت أقل من الذباب وأخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للممثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكمه ويستدعيه ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والعمل على العدل والسوية والنظر في الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا أنه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطأ حوله وأن الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون أذهانهم أو عرفوا أنه الحق إلا أن حب الرياسة وهوى الإلف والعادة لا تخليهم أن ينصفوا فإذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار وأن ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وأحناش الأرض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها بأحقر الأشياء فقالوا أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قرادة وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الأمثال في الإنجيل بالأشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والأرضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الأشياء وبأحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بأمارة ولا إقناع أن يرمي لفرط الحيرة والعجز عن إعمال الحيلة بدفع الواضح وإنكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة

إذ لم تجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله تعالى هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس إذا اعتلت هذه الأعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا

فإن قلت كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا

قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج إليه حياء منه وكذلك معنى قوله إن الله لا يستحيي أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا أما يستحيي رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها ... أني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال إنك لسبط الشهادة فقال الرجل إنها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار

لم يصح بناء الجاد وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله درّ أمر التنزيل
وإحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا إلا عثرت عليه فيه
على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه وهو قول المتنبي
إذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في إناء من الورد وقرأ ابن كثير
في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه
يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان هاهنا وضرب المثل اعتماده وصنعه
من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتما من ذهب وما هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاما وزادته
شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد أي كتاب كان أو صلة للتأكيد كالتي
في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا ألبتة هذا إذا
نصبت بعوضة فإن رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لأن التقدير هو بعوضة فحذف
صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي أحسن ووجه آخر حسن جميل وهو أن تكون التي
فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لأصنامهم بالمحقرات قال إن الله لا يستحيي
أن يضرب للأنداد ما شاء من الأشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان
لا يبالي بما وهب ما دينار وديناران والمعنى أن الله يتمثل للأنداد وحقارة شأنها
بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه
في صغره إلا هو وحده بلطفه أو بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء في العدد
ولقد ألزم قوله تعالى إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى إلى
رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا

يتسمون به الحسن وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه وهو المطابق
لفصاحته وانتصب بعوضة بأنها عطف بيان لمثلا أو مفعول ليضرب ومثلا حال
عن النكرة مقدمة عليه أو انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق
البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وأنشد
لنعم البيت بيت أبي دثار إذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لأنه
قطعة منه والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش
فما فوقها فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه
مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق
ذاك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد
عليها في الحجم كأنه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لأنهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذكر من عرفته يشح بأدنى شيء
فيقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي أن يحل بنصف درهم فما فوقه تريد
بما فوقه ما لا يحل فيه وهو الدرهم والدرهمان كأنك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه
في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم عن إبراهيم عن الأسود قال دخل شباب
من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم
قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه أو عينه أن تذهب فقالت لا
تضحكوا إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وجاوزها في القلة
وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه

حتى نخبة النملة وهي غضها وتحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرو على طنب الفسطاط

فإن قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت

ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله عليه السلام

مثلاً للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب

العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد إلا تحركها فإذا سكنت فالسكون يواريها

ثم إذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك

وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها

ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض

ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم ۞ يا من يرى مد البعوض جناحها ۞

في ظلمة الليل البهيم الأليل ۞ ويرى عروق نياطها في نحرها ۞ والمخ في تلك العظام

النحل ۞ اغفر لعبد تاب من فرطاته ۞ ما كان منه في الزمان الأول ۞ وأما

حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل

توكيد تقول زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا محالة ذاهب وأنه بصدد

الذهاب وأنه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما

يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيداً وأنه

في معنى الشرط ففي إيراد الجملتين المصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين

كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ونعي على الكافرين

إغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره

يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج

وماذا فيه وجهان أن تكون ذا اسماً موصولاً بمعنى الذي فتكون كلمتين وأن تكون ذا

مركبة مع ما مجعولتين اسماً واحداً فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الأول مرفوع المحل

على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما أراد

الله والأصوب في جوابه أن يجيء على الأول مرفوعاً وعلى الثاني منصوباً ليطابق الجواب

السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رأيت خير أي المرئي خير

وفي جواب ما الذي رأيت خيراً أي رأيت خيراً وقرئ قوله ويسألونك ماذا ينفقون

قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والإرادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت

الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك وفي حدود المتكلمين الإرادة معنى يوجب

للحي حالاً لأجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في إرادة الله فبعضهم

على أن للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالماً غير

ساه وبعضهم على أن معنى إرادته لأفعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره

ومعنى إرادته لأفعال غيره أنه أمر بها والضمير في أنه الحق للمثل أو لأن يضرب

وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله

بن عمرو بن العاص يا عجباً لابن عمرو هذا ومثلاً نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب

غث ماذا أردت بهذا جواباً ولمن حمل سلاحاً رديئاً كيف تنتفع بهذا سلاحاً أو على الحال

كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً جار مجرى

التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بأما وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق

الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى

الذي ازداد به المؤمنون نوراً إلى نورهم وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي

زادت الجهلة خبطاً في ظلماتهم **فان قلت** لم وصف المهديون بالكثرة والقلة

صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مئة لا تجد فيها راحلة

وجدت الناس اخبر تقله **قلت** اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة

انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضاً فان القليل من المهديين كثير

في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيراً ان الكرام كثير

في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا واسناد الاضلال الى الله تعالى

اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل وضل به قوم واهتدى قوم تسبب

لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد اخذ بمال

عليه وقيد فقال يا ابا يحيى اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة

فقال لمن هذه السلة فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه

وضعت القيود على رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما يضل به الا

الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا

والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين

اي بين منزلة المومن والكافر وقالوا ان اول من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل

بن عطاء رضي الله عنه وعن اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المومن في انه

يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر

في الذم واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب

مالك بن انس والزيدية ان الصلوة لا تجزئ خلفه ويقال للخلعاء المردة من الكفار

الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد

اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون النقض الفسخ وفك التركيب

فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد **قلت** من حيث

تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين

ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا

ونحن قاطعوها فنخشى ان الله اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار

البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء

من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه

وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امراة فاستوثق منها لم تقل هذا الا وقد

نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد الموثق

وعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه

واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون

او منافقوهم او الكفار جميعاً **فان قلت** فما المراد بعهد الله **قلت** ما ركز

في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله

واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم

رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدم من الكتب

المنزلة عليهم كقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه

سانزل عليك كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريتهم اياهم من الايات وما انعمت عليهم

وما نقضوا من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهده اليهم وحسن صنيعه للذين

قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا

ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد عليهما السلام
من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان
لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله الى
خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذ على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته
وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وعهد خص به النبيين
ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله
والزامه انفسهم ويجوز ان يكون بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد
والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما
وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل
قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة
والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض **فان قلت**
ما الامر **قلت** طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره فقيل له
امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مأمور به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد
يقال شانت شانه اي قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض
بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها معنى الهمزة التي
في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان

وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك اتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح
فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح
واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء **قلت** قد
اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان
فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه
او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم
قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال
فكان انكار حال الكفر لانها تبع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها
على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون
لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده
ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني
والواو في قوله وكنتم امواتا للحال **فان قلت** فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض
ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد **قلت** لم يدخل
الواو على كنتم امواتا للحال وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه
قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم
فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم
فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح
ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا
قلت هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة وباولها

وآخرها **فان قلت** فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم
بهذه القصة فما وجه صحته **قلت** قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار
وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع
علمكم بحالكم هذه **فان قلت** ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم
فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع **قلت** قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة
اليه وكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت
كالاقوال في جمع قيل **فان قلت** كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال
ميت فيما تصح فيه الحيوة من البنى **قلت** بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة
ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما
في ان لا روح ولا احساس **فان قلت** ما المراد بالاحياء الثاني **قلت** يجوز ان
يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى
الجزاء **فان قلت** لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم **قلت** لان
الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء
والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد
به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن النشور
فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها مشتملة على آيات
بينات تصرفهم عن الكفر ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر **قلت** يحتمل
الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم لكم لان خلقكم
والانتفاع به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع

الديني فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما
فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون
المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب
الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم
والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع
بها ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد
ان يتناولها ويستنفع بها **فان قلت** هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما
فيها وجه صحة **قلت** ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر
السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة في الجهات
السفلية وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة
يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده
قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد
اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء
آخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن
ضمير مبهم وسبع سماوات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء
والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء
عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب
حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم **فان قلت** ما فسرت به معنى الاستواء

إلى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة **قلت** ثم هنا لما بين الخلقين
من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الأرض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم
كان من الذين آمنوا على أنه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به
لأن المعنى أنه حين قصد إلى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أي في تضاعيف القصد
إليها خلقا آخر **فإن قلت** أما يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها
قلت لا لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر
وعن الحسن خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها
ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض
فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق وإذ نصب بإضمار اذكر ويجوز أن ينتصب
بقالوا والملائك جمع ملأك على الأصل كالشمائل في جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث
الجمع وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قولك في الأرض
خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الأرض خليفة والخليفة من يخلف
غيره والمعنى خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته **فإن قلت**
فهلا قيل خلائف أو خلفاء **قلت** أريد بالخليفة آدم واستغني بذكره عن ذكر بنيه
كما يستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلفا
يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة مني لأن
آدم صلوات الله عليه كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي إنا جعلناك خليفة
في الأرض **فإن قلت** لأي غرض أخبرهم بذلك **قلت** ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا
بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة

في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها
على ثقاتهم ونصحائهم وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة أتجعل فيها
تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل إلا الخير
ولا يريد إلا الخير **فإن قلت** من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وإنما هو غيب
قلت عرفوه بإخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت في علمهم أن الملائكة وحدهم
هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر
حيث أسكنوا الأرض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء
ويُسفِك ويُسفّك من أسفك وسفّك والواو في ونحن للحال كما تقول أتحسن إلى فلان
وأنا أحق منه بالإحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في
الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد وبحمدك في موضع الحال أي نسبح
حامدين لك وملتبسين بحمدك لأنه لولا إنعامك علينا بالتوفيق واللطف لم
نتمكن من عبادتك أعلم ما لا تعلمون أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم
فإن قلت هلا بين لهم تلك المصالح **قلت** كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله
كلها حسنة وحكمة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على أنه قد بين لهم بعض ذلك
فيما أتبعه من قوله وعلم آدم الأسماء كلها واشتقاقهم آدم من الأدمة ومن أديم الأرض
نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس وما آدم
إلا اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ
وأشباه ذلك الأسماء كلها أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوما
مدلولا عليه بذكر الأسماء لأن الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل

الرأس شيبا **فان قلت** هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء **قلت** لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها **فان قلت** فما معنى تعليمه اسماء المسميات **قلت** اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعُلِّم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابوا يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع

الا في لغة ضعيفة لقولهم الحمدُ لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تأكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة

لأن المعنى صدرت وسوسته عنها فإن قلت كيف توصل إلى إزلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها قلت يجوز أن يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول إلى الأرض مستقر موضع استقرار أو استقرار ومتاع وتمتع بالعيش إلى حين يريد إلى يوم القيامة وقيل إلى الموت معنى تلقي الكلمات استقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به فإن قلت ما هن قلت قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن ابن مسعود إن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى

قال يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لأنها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول فإن قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله فإما يأتينكم مني هدى فإن قلت ما جواب الشرط الأول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك والمعنى فإما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فإن قلت فلم جيء بكلمة الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب وأنه إن لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الإيمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الأدلة ومكنهم من النظر والاستدلال فإن قلت الخطيئة التي أهبط بها آدم إن كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الأنبياء وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والإخراج من الجنة والإهباط من السماء كما فعل بإبليس ونسبته إلى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة إلى التوبة قلت ما كانت إلا صغيرة مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار الصالحة التي هي أجل الأعمال وأعظم الطاعات وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء

المأثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا
جمّة وقرئ فمن تبع هديّ على لغة هذيل فلا خوف بالفتح اسرائيل هو يعقوب
عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بن ابن ابرهيم
واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائيل
وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها
وأراد بها ما أنعم على آبائهم مما عدّ عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن
الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من
ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التورية والانجيل والعهد يضاف
الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال أوفيت بعهدي أي بما عاهدت عليه كقوله ومن
أوفى بعهده من الله وأوفيت بعهدك أي بما عاهدتك عليه ومعنى وأوفوا بعهدي
وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن أوفى بما عاهد
عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أوف بعهدكم بما عاهدتكم
عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من
قولك زيدا رهبته وهو آكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ
أوفّ بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها
ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي
الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم
أول كافر به أول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد
منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بأنه كان يجب

أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولأنهم كانوا المبشرين بزمان
من أوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول
الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا
من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا
مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه
مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل
الضمير في به لما معكم لأنهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء
استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم
اذ تنصرا فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا
فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها
الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير
بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير
وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا
ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان
ملوكهم يدرّون عليهم الأموال ليكتموا ويحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل الباء
التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان
المعنى ولا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم
حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم

كنت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه
وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو
بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك
وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا
عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان
لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق
ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف
ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم
انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه واقيموا
الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود
لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز
ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين
لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة
الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت
وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع
محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا
بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة
اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها
فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم

وتتركونها من البر كالمنسيات وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم
تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر
ومخالفة القول العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم
عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبوا العقول لان
العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون
واستعينوا على حوائجكم الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين
على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات
ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع
واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن
سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا
على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه
قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس
ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم
لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد
بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال
الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع
الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
الى قوله واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين

ما تدعوهم اليه **فإن قلت** ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل

قلت لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى

قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون

فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون

على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب

كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله

من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة

ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال

عامل يتسخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وجعلت قرة

عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه

الخشعة الرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها

اذا لينته واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين

على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس

يراد الكثرة يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه

الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به

ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرا

لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء

وقرا ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل

صفة ليوما **فإن قلت** فاين العائد منها الى الموصوف **قلت** هو محذوف

تقديره لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي ۞ تزوجي اجدر ان تقيلي ۞ غدا بجنبي بارد ظليل

اي ماء اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى

المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ام مال اصابوا ۞ فما ادري اغيرهم تناء وطول العهد ام

ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط

الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية

لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية

وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب

الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا

فإن قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة **قلت** نعم لانه نفى

ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة

شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة **فإن قلت** الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين

يرجع **قلت** الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل

ومعنى لا تقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى

النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت

عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس

الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلثة انفس اصل ال اهل ولذلك

يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك

واشباههم ولا يقال ال الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر

لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا

وتجبّر وفي ملح بعضهم ❊ قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في ❊ اقصى تفرّعنه وفرط عرامه ❊
وقرئ انجيناكم وانجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال
عمرو بن كلثوم ❊ اذا ما الملك سام الناس خسفا ❊ ابينا ان نقرّ الخسف فينا ❊
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه
والسوء مصدر السيّء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى
سوء العذاب والعذاب كله سيّء اشدّه وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره
ويذبّحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهئون قول الذين
كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطّعتها وقرا
عبد الله يقتّلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد مولود
يكون على يده هلاكه كما انذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله
والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء
فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى
فصّلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك كانت اثني عشر
على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا
يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما
يوسّط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال
بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله ❊ تدوس بنا الجماجم والتريبا ❊ اي تدوسها ونحن
راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا
فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعنّي على اخلاقهم

السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى
فتراءوا وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكّون
فيه ❊ لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون
اليه وعد الله موسى عليه السلام ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا
لان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه
الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك من بعد
ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا
النعمة في العفو عنكم الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق
بين الحق والباطل يعني التورية كقولك رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع
بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء
وذكرا يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا او التورية والبرهان
الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق
بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرّق بينه وبين عدوّه
كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر حملا قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع
وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة
وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضيّ
لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا
بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله

من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء
حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت
السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا
فان قلت ما الفرق بين الفاآت قلت الاولى للتسبيب لا غير لان الظلم
سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم
من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم
فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف
ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم
فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات فيكون
التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت
من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق
بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال
المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم
الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابلد من ثور
حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم
من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر
على شيء منها قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف
منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين

جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من
الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي
جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا
الكلام دليل على ان موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز
عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام
او الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة
العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة
على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء
فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسها
فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلم لم يكن صعقته موتا ولكن
غشية بدليل قوله تعالى فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه
لقوله وانتم تنظرون وقرا علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم تشكرون
نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم
بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا وجعلنا الغمام تظلكم وذلك في التيه
سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار
يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين
مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب
فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا على ارادة القول
وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه

لدلالته وما ظلمونا عليه القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا
بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون
اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلم امروا بالسجود عند
الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين
ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم
يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة
وهي خبر مبتداء محذوف اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل فكلانا
مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل
معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز
ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت
لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ
يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا
منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة
فبدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه
التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله
وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ
آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب
اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل

اوله
شكى الي جملي طول السرى
يا جملي ليس الي المشتكى

قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا
عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا
زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم بظلمهم وقد جاء في سورة
الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي
انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا عطشوا
في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة
الى حجر معلوم وقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة
اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط
الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه
آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي
وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى
ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي
اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا
اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست
فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه
فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه
لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في
ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول
موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة

محذوف اي فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم الله من الطعام فهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار وهو رزق يؤكل منه ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى **فان قلت** هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد **قلت** ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والتترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك ومعنى يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم وتدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصراييم فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا شعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم صلوات الله عليهم **فان قلت** قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره **قلت** معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم

انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء
وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى
ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا
على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا بالسنتهم
من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد وتهود
وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال
رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة
كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين
وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء
الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم
الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان
جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه
فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط
واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم
الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الآصار والتكاليف
الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور ورفعه فظلله فوقهم
وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما آتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه
ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا

خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل
الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا
السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه
اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك
ان الله تعالى ابتلاهم فما كان حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت
فاذا مضى تفرقت كما قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون
لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت
الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم
قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار
والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه
ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون
لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين
او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة
لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين
نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها كان في بني اسرائيل شيخ موسر
فقتل ابنه بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته
فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا
هزوا اتجعلنا مكان هزء او اهل هزء او مهزوءا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء
من الجاهلين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين

وهزؤا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفؤا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك
كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال
عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى
فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض
المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة ❁ لعمري لقد اعطيت
ضيفك فارضا ❁ تساق اليه ما تقوم على رجل ❁ وكأنها سميت فارضا لانها فرضت
سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال
نواعم بين ابكار وعون ❁ وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا
فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا
به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى
مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل
ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة
تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة
كما تقول له ما احسن ذلك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال
ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله ❁ فيها خطوط من سواد وبلق ❁ كأنه في الجلد توليع
البهق ❁ ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال
اردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها
ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي
ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم

تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه
يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق
واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك
رداني فان قلت فاقع هنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت
لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل
واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع
لونها فان قلت هلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت
الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة
صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها
خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول
نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين
وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من
صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال
الاعشى ❁ تلك خيلي منه وتلك ركابي ❁ هن صفر اولادها كالزبيب ❁ ما هي
مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها
وعن النبي صلى الله عليه لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا
فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان
يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بأيهما ابدأ فقال
ان قلت لك بقطع الشجرة سألتني بأي نوع منها ابدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا

امرتك ان تعطي فلانا شاة سألتني اضاني امماعز وان بينت لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشّابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشّابه بالياء والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تُسقي بضم التاء من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله • او معبر الظهر ينبي عن وليته • ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا • او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف

البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة **فان قلت** كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول **قلت** رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لا بهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما **فان قلت** كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي **قلت** قد حكى ما

كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة
اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما اذ ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما ان
يرجع الى النفس والتذكير على تأويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه
من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل
فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل
الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله
كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال
قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك
كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم
كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شيء
لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر
على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون
خطابا للمنكرين في زمن رسول الله عليه السلام **فان قلت** هلا احياه ابتداء
ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها **قلت** في الاسباب والشروط
حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب
الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها
على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على
بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا
يطلع على حقيقته من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى الله به ان يتنوق
في اختيار ما يتقرب به وان تختار فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون
بريئا من العيوب يونق من نظر اليه وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه
انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ
قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لاداائه الى البداء وليعلم
بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب
لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة **فان قلت**
فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها **قلت** كلما قص من قصص بني اسرائيل انما
قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات
العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا
متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال
وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة
وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه
لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد
ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى دلالة على
اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان
فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانها

قصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد
ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم أنتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة
والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وأن المواعظ لا تؤثر فيها وذلك إشارة إلى إحياء
القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة
أو أشد قسوة منها وأشد معطوف على الكاف إما على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف
المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفا
على الحجارة وإما على أو هي في أنفسها أشد قسوة والمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة
أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلا أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة

فإن قلت لم قيل أشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعل التفضيل وفعل
التعجب قلت لكونه أبين وأدل على فرط القسوة ووجه آخر وهو أن لا يقصد
معنى الأقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كأنه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم
أشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك زيد
كريم وعمرو أكرم وقوله وإن من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في
شدة القسوة وتقرير لقوله أو أشد قسوة وقرئ وإن بالتخفيف وهي إن المخففة
من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وإن كل لما جميع والتفجر التفتح
بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر يشقق يتشقق وبه قرأ الأعمش
والمعنى أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير
ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا يهبط يتردى من
أعلى الجبل وقرئ بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما

يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به وقرئ تعملون بالياء والتاء
وهو وعيد أفتطمعون الخطاب لرسول الله والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن يحدثوا الإيمان
لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم
طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه
كما حرفوا صفة رسول الله عليه السلام وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين
المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما أمر به ونهي ثم
قالوا سمعنا الله يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن
شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون والمعنى
إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم
آمنا بأنكم على الحق وأن محمدا هو الرسول المبشر به وإذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا إلى
بعض إلى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين
لكم في التوراة من صفة محمد عليه السلام أو قال المنافقون لأعقابهم لتصلب في دينهم
أتحدثونهم إنكارا عليهم أن يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون
اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا
محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو في كتاب الله
هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك إسرارهم
الكفر وإعلانهم الإيمان ومنهم أميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا
ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة إلا أماني الأماني علية من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم

ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وما يمنيهم أحبارهم
من أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا أكاذيب مختلقة سمعوها
من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال أعرابي لابن دأب في شيء حدث به أهذا
شيء رويته أم تمنيته أي اختلقته وقيل إلا ما يقرؤون من قوله تمنى كتاب الله
أول ليلة والاشتقاق من مني إذا قدر لأن المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه
وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا وإلا أماني من الاستثناء
المنقطع وقرئ أماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم
والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم في الضلال سواء لأن العالم
عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي أن لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم يكتبون
الكتاب المحرف بأيديهم تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما
كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى أياما معدودة أربعين
يوما عدد أيام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة
وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما فلن يخلف الله متعلق بمحذوف تقديره إن
اتخذتم عنده عهدا فلن يخلف الله عهده أم إما أن تكون معادلة بمعنى أي
الأمرين كائن على سبيل التقرير لأن العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة
بلى إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبدا بدليل قوله
هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر وأحاطت
به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفصل عنها بالتوبة وقرئ
خطاياه وخطيئاته وقيل في الإحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسأل رجل

الحسن فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل
آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهي الخطيئة المحيطة
لا تعبدون إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر
وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه
وتنصره قراءة عبد الله وأبي لا تعبدوا ولا بد من إرادة القول ويدل عليه أيضا
قوله وقولوا للناس حسنا وقوله وبالوالدين إحسانا إما أن يقدر وتحسنون بالوالدين
أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بني إسرائيل إجراء له مجرى القسم
كأنه قيل وإذ أقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه أن لا تعبدوا فلما حذفت
أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله
أن لا تعبدوا ويحتمل أن لا تعبدوا أن تكون أن فيه مفسرة وأن تكون أن مع
الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل أخذنا ميثاق بني إسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء
حكاية لما خوطبوا به وبالياء لأنهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لإفراط
حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات
أي توليتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم قيل هم الذين أسلموا منهم وأنتم
معرضون وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن المواثيق والتولية لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون أنفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل
به أصلا أو دينا وقيل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه ثم أقررتم
بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه وأنتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على
نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم

تمامه: وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

بعد الميثاق ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني أنكم قوم آخرون غير أولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم أنتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وإدغامها وتتظاهرون بإثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون أي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى وأسارى وهو ضمير الشأن ويجوز أن يكون مبهما تفسيره إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب أي بالفداء وتكفرون ببعض أي بالقتال والإجلاء وذلك أن قريظة كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي أن نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير وقيل الجزية وإنما رد من فعل منهم ذلك إلى أشد العذاب لأن عصيانه أشد وقرئ يردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة الكتاب التورية آتاه إياها جملة واحدة ويقال قفاه إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به أتبعه إياه يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيل

أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل

وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف

وإلياس واليسع ويونس وزكرياء ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالسريانية إيشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لأن فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الأبنية كما ثبت نحو عثير وعليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم إذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف وأوجدني بعد فقر بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لأنه لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالإنجيل كما قال في القرآن روحا من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الإيمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر فإن قلت هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين أن تراد الحال الماضية لأن الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم حولتم قتل محمد لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري غلف جمع أغلف أي خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها

بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون

ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختتن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين كتاب من عند الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا

ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم

وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين

اوليا ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل معناه لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله تعالى من فضله الذي هو الوحي على من يشاء ويقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم بما انزل الله مطلق فيما انزل الله من كل كتاب قالوا نؤمن بما انزل علينا مقيد بالتوراة ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التوراة وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في التوراة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به ايمانكم

قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين

بالتوراة لأنه ليس في التوراة عبادة العجاجيل وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم كما قال
قوم شعيب أصلواتك تأمرك وكذلك إضافة الإيمان إليهم وقوله إن كنتم مؤمنين
تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة
والمراد الجنة أي سالمة لكم خاصة بكم ليس لأحد سواكم فيها حق يعني إن صح قولكم
لن يدخل الجنة إلا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا
الموت لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها وتمنى سرعة الوصول إلى النعيم
والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رضي الله عنه
يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني
لا يبالي أبوك على الموت سقط أم سقط عليه الموت وعن حذيفة رضي الله عنه أنه كان
يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعني على التمني
وقال عمار بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة
يحب الموت ويحن إليه وعن النبي صلى الله عليه لو تمنوا الموت لغص كل إنسان
بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي بما قدمت أيديهم بما أسلفوا
من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر أنواع الكفر
والعصيان وقوله ولن يتمنوه أبدا من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر

ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين

به كقوله ولن تفعلوا فإن قلت ما أدراك أنهم لم يتمنوا قلت لأنهم لو تمنوا
لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من أهل الكتاب وغيرهم من أولي
المطاعن في الإسلام أكثر من الذر وليس منهم أحد نقل ذلك فإن قلت
التمني من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت أنهم لم يتمنوا

قلت ليس التمني من أعمال القلوب إنما هو قول الإنسان بلسانه ليت لي كذا
إذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال أن يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب
ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل أنهم قالوا
ذلك فإن قلت لم يقولوه لأنهم علموا أنهم لا يصدقون قلت كم حكي عنهم
من أشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك
مما علموا أنهم غير مصدقين فيه وما لا محمل له إلا الكذب البحت ولم يبالوا
فكيف يمتنعون من أن يقولوا إن التمني من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال
أن يكونوا صادقين في قولهم وإخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه
بالإيمان فيصدق مع احتمال أن يكون كاذبا لأنه أمر خاف لا سبيل إلى الاطلاع
عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم هو من وجد بمعنى علم المتعدي إلى
مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم أحرص فإن قلت
لم قال على حياة بالتنكير قلت لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة
ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي على الحياة ومن الذين أشركوا محمول
على المعنى لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس فإن قلت ألم يدخل
الذين أشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد
ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه
توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون إلا الحياة الدنيا
فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر
بالجزاء كان حقيقا بأعظم التوبيخ فإن قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين

ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون

قلت لانهم علموا العلم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون
لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم
عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال
وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف
كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود
لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه
اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر
من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه
والزحزحة التبعيد والانجاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت
هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر
بيود احدهم قلت هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو
اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن
روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله وسأله عمن يهبط
عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا
مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه
وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر رضي الله عنه
ارض باعلى المدينة وممره على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا

قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ع

يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم
لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره
في كتابكم ثم سألوه عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا
وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما
منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان
عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال
النبي صلى الله عليه لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر لقد رأيتني في دين
الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل بوزن قنديل وجبرئل بحذف
الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبرئيل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة
وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه
للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا
الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل
لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته
على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت
كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم
به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان

من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين

أحدهما أن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته لأنه نزل
كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في
إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني إن عاداه أحد فالسبب في
عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن
ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك
إن عاداك فلان فقد آذيته وأسأت إليه أفرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما
من جنس آخر وهو مما ذكر أن التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات
وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل
كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه
عدو للكافرين أراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم وأن
عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرا فما بال الملائكة وهم أشرف
والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب إلا الفاسقون إلا المتمردون
من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع
من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه
ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في
الفاسقون للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب أوكلما الواو للعطف
على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو السمال
بسكون الواو وعلى أن الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه قيل وما يكفر بها إلا
الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود

ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون

أو كلما عاهدوا عهدا

موسومون بالغدر ونقض العهود وكم أخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم
لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون
نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به كتاب الله يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله
المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد
ما لزمهم تلقيه بالقبول كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني أن
علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم
مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه وعن الشعبي هو بين
أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان أدرجوه في الديباج والحرير
وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا أي نبذوا كتاب الله
واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها
على ملك سليمان أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون
السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها
في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا
إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا
العلم وبه تسخر الإنس والجن والريح التي تجري بأمره وما كفر سليمان تكذيب
للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن
الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون

نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر

به أغوادهم وإضلالهم وما أنزل على الملكين عطف على السحر أي ويعلّمونهم ما أنزل
على الملكين، وقيل هو عطف على ما تتلو أي واتبعوا ما أنزل. وهاروت وماروت
عطف بيان للملكين علمان لهما. والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله
للناس، من تعلّمه منهم وعمل به كان كافرا، ومن تجنّبه أو تعلّمه لا ليعمل به ولكن
ليتوقّاه ولئلا يغترّ به كان مؤمنا. عرفت الشرّ لا للشرّ لكن لتوقّيه. كما ابتلى
قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني. وقرأ
الحسن على الملكين بكسر اللام على أن المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل. وما
يعلّم الملكان أحدا حتى ينبّهاه وينصحاه ويقولا له إنما نحن فتنة أي ابتلاء واختبار
من الله فلا تكفر فلا تتعلّم معتقدا أنه حق فتكفر. فيتعلّمون الضمير لما دلّ عليه
من أحد أي فيتعلّم الناس من الملكين ما يفرّقون به بين المرء وزوجه
أي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث
في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه
لا أن السحر له أثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله
لأنه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث. ويتعلّمون ما يضرّهم
ولا ينفعهم لأنهم يقصدون به الشرّ وفيه أن اجتنابه أصلح كتعلّم الفلسفة التي
لا يؤمن أن تجرّ إلى الغواية. ولقد علم هؤلاء اليهود أن من اشتراه أي استبدل
ما تتلو الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق أي من نصيب. ولبئس ما
شروا به أنفسهم أي باعوها. وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان
حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد. وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع

على هما هاروت وماروت، وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف، ولو كانا من الهرت
والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا. وقرأ طلحة وما يعلمان من أعلم. وقرئ
بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز، والمرّ بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف
كقولهم فرجّ وإجراء الوصل مجرى الوقف. وقرأ الأعمش وما هم بضارّي بطرح
النون والإضافة إلى أحد والفصل بينهما بالظرف. فإن قلت كيف يضاف
إلى أحد وهو مجرور بمن؟ قلت جعل الجارّ جزءا من المجرور. فإن قلت
كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم
في قوله لو كانوا يعلمون؟ قلت معناه لو كانوا يعملون بعلمهم، جعلهم حين لم
يعملوا به كأنهم منسلخون عنه. ولو أنهم آمنوا برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا
ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير. وقرئ
لمثوبة كمشورة ومشورة. لو كانوا يعلمون أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا
لكنه جهّلهم لترك العمل بالعلم. فإن قلت كيف أوثرت الجملة الاسمية
على الفعلية في جواب لو؟ قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها
كما عدل عن النصب إلى الرفع في سلام عليكم لذلك. فإن قلت فهلا قيل
لمثوبة الله خير؟ قلت لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم. ويجوز أن يكون قوله
ولو أنهم آمنوا تمنيا لإيمانهم على سبيل المجاز عن إرادة الله إيمانهم واختيارهم له
كأنه قيل وليتهم آمنوا، ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير. كان المسلمون يقولون
لرسول الله إذا ألقى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا وتأنّ
بنا حتى نفهمه ونحفظه، وكانت لليهود كلمة يتسابّون بها عبرانية أو سريانية

وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم
يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من
نظره اذا انتظره وقرا ابي انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير
وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى
الرعن بمعنى رعينا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في
السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم
من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة
او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا
وعصينا او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا
عليهم ترك تلك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ رضي الله عنه سمعها منهم فقال
يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها
لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود
الذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم من الاولى للبيان لان الذين كفروا
جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير
الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم
احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله
يختص بالنبوة من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم

ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

اشعار بان ابناء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا
روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ
من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد
وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرا
حذيفة ما ننسخ من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها
الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها
تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى
ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة
احدهما الى بدل او غير بدل نات باية خير منها للعباد اي باية العمل بها اكثر للثواب
او مثلها في ذلك على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير
له ملك السموات والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم
وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها على
حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم
بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم
ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم
اجعل لنا الها ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك
الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل روي ان
فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار

ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل

ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم

من بعد وقعة احد ألم تروا الى ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا
الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم
قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا
فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا
وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال
اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت **فان قلت** بم تعلق قوله من عند انفسهم **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم
ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا
ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق
بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم
سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتى ياتي الله بامره الذي
هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل
شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم من خير من حسنة من صلوة او صدقة او
غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع
عنده عمل عامل الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت
اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان
نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من
الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه
وقالوا كونوا هودا او نصارى والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل

من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى

فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر **قلت** حمل
الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان
له نار جهنم خالدين وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا **فان قلت**
لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة **قلت** اشير
بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم
ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم
وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه
والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم
على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب
المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء
في معنى احضر بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص
نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه **فان قلت**
من اسلم وجهه كيف موقعه **قلت** يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من
اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم
فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره كلاما معطوفا
على يدخلها من اسلم على شيء على شيء يصح ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال
والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفى اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك

تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الاعتقاد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب
وحق من حمل التوراة او الانجيل او غيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقي
لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة
في تصديق بعضها بعضا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج
قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا
لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في
سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه
اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم
على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا
بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيمة بما يقسم لكل فريق
منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم
النار ان يذكر ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا
ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان
تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله
وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله
فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت فكيف قيل مساجد الله

وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها

وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام
قلت لا بأس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا
ومن اظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول
فيه الاخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان
وينبغي ان يراد بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم
من اولئك النصارى والمشركين اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي
ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله الا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها
والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم
في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا
يدخلوها الا خائفين وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا
متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا
انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله
الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه
ابو حنيفة رضي الله عنه ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره
وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل
فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب اي بلاد

اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم

المشرق والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها ومتوليها فاينما تولوا ففي
اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره فثم وجه الله
اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام
او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في اي بقعة شئتم
من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة في كل مكان لا تختص
امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان ان الله واسع الرحمة يريد
التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت
في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا وقيل معناه فاينما
تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء
من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا
المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك
وتبعيد بل له ما في السموات والارض هو خالقهم ومالكهم ومن جملتهم الملائكة
وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره
ومشيته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد
والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات والارض ويجوز ان
يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية
منكرون لما اضافوا اليهم فان قلت كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم

بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون

مع قوله قانتون قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون
من تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السموات من اضافة الصفة
المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان
السميع في قول عمرو امن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون
من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا
قول في قوله اذا قالت الانساع للبطن الحق وانما المعنى ان ما قضاه من الامور
واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما ان المأمور
المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء اكد بهذا
استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة
لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير
في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة
من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفي عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا
يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا او تاتينا
اية جحودا لان يكون ما اتاهم من ايات الله ايات واستهانة بها تشابهت قلوبهم
اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الايات لقوم
يوقنون فيوقنون انها ايات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها
عن غيرها انا ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم

على الكفر ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت
جهدك في دعوتهم كقوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل
على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال
الكفرة والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار
من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل
عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته
فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره
لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله
ولن تسأل وقراءة أبي وما تسأل كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في
طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الإسلام
فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال إن هدى الله هو الهدى على طريقة إجابتهم
عن قولهم يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن
يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى
إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله ولئن اتبعت أهواءهم أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة
الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه
ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك يؤمنون
بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الضلالة بالهدى. إبتلى إبراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامر

ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد
الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك
وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما إبراهيم
ربه رفع إبراهيم ونصب ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل
المختبر هل يجيبه إليهن أم لا فإن قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي
الفعل في التقدير فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر قلت الإضمار قبل
الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم
فليس واحد منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير
ذكرا ظاهرا وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه
إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن
في فأتمهن في إحدى القراءتين لإبراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن
أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى
لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل
أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا
واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا فإن قلت
ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى أو وإذ ابتلاه كان
كيت وكيت وإما قال إني جاعلك فإن قلت فما موقع قال قلت هو على
الأول استيناف كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتم الكلمات فقيل قال
إني جاعلك للناس إماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون

وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين

بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير
البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل
في الكلمات هن خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم
الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلثين سهما
عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب إن المسلمين والمسلمات
وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون
وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن
وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة
والامام اسم من يؤتم به على زنة الاله كالازار لما يؤتزر به أي يأتمون
بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي
كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون
أي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالامامة وانما
ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق
لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا يجب
طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة رضي الله عنه
يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليه وحمل المال اليه والخروج
معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه
وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن

وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين

الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور وأشياعه
لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون
الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف
الظلمة فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى
الذئب ظلم والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة
ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه أي يثوب اليه أعيان
الذين يزورونه او امثالهم وأمنا وموضع أمن لقوله حرما آمنا ويتخطف الناس
من حولهم ولان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات
لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والبادي
واتخذوا على ارادة القول أي وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه
وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه
انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى يريد
أفلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم عليه السلم
فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
ان رسول الله استلم الحجر ورمل ثلثة أشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد
الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل
مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه
الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم وعن عمر رضي الله عنه
انه سأل المطلب بن أبي وداعة هل تدري اين كان موضعه الاول قال

وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير

يعم فأراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابرهيم عرفة والجمار لانه قام
في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرئ واتخذوا
بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه
به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها عهدنا امرناهما ان طهرا بيتي
بان طهرا او اي طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب
والحائض والخبائث كلها او اخلصاه لهؤلاء لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين
الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين
الواقفين يعني القائمين في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين والركع
السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت
المصلي اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله عيشة راضية
او آمنا من فيه كقولك ليل نائم ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين
من اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف
في جاعلك **فان قلت** لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه
قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف
استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف
الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق
من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله
فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره
فالزمه الى عذاب النار لز المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة
وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء
من ابرهيم دعا ربه بذلك **فان قلت** فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة
قلت في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد مسألته المؤمنين بالرزق
ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد
في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة
التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر
يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه
وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه تعدك الله اي اسال الله ان يقعدك
اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون
المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه
ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع
السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اي استوطا
يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه
كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت
ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم
اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه
ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام

حج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان
رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر
ابرهيم ببنائه وعرّفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة اظلته ونودي
ان ابنِ على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور
زيتاء ولبنان والجودي واسّسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء
وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة
بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسودّ وقيل كان ابرهيم يبني
واسمعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على
الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانه قائلين ربنا انك انت
السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت
واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام
ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشأن المبيَّن مسلمين
لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له
وسلّم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا لك وقرئ
مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا التثنية على حكم الجمع
لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او
للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء
قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد
الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم

من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل
اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من راى بمعنى ابصر او عرف
ولذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصّرنا متعبداتنا في الحج او عرّفناها وقيل مذابحنا
وقرئ وارْنا بسكون الراء قياسا على فخْذ في فخِذ وقد استرذلت
لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ
ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا
من الصغائر او استتابا لذريتهما وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من
انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم
محمدا صلى الله عليه قال عليه السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا
امي يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق
انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم
ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق
الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب
وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه
نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل
انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ
تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشُّعر الرقابا * اجبّ الظهر ليس له سنام *
وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اي في ظني

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم

وَالوَجهُ هُوَ الأَوَّلُ وَكَفَى شَاهِدًا لَهُ بِمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الكِبْرُ أَنْ تَسْفَهَ الحَقَّ وَتَغْمِصَ
النَّاسَ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا رَغِبَ عَمَّا لَا يَرْغَبُ عَنْهُ عَاقِلٌ قَطُّ فَقَدْ بَالَغَ فِي إِذَالَةِ نَفْسِهِ
وَتَعْجِيزِهَا حَيْثُ خَالَفَ بِهَا كُلَّ نَفْسٍ عَاقِلَةٍ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ بَيَانٌ لِخَطَإِ رَأْيِ مَنْ
رَغِبَ عَنْ مِلَّتِهِ لِأَنَّ مَنْ جَمَعَ الكَرَامَةَ عِنْدَ اللهِ فِي الدَّارَيْنِ بِأَنْ كَانَ صَفْوَتَهُ
وَخِيرَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَكَانَ مَشْهُودًا لَهُ بِالاسْتِقَامَةِ عَلَى الخَيْرِ فِي الآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ
أَوْلَى بِالرَّغْبَةِ فِي طَرِيقَتِهِ مِنْهُ إِذْ قَالَ ظَرْفٌ لِاصْطَفَيْنَاهُ أَيِ اخْتَرْنَاهُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ
أَوِ انْتَصَبَ بِإِضْمَارِ أُذْكُرْ اسْتِشْهَادًا عَلَى مَا ذُكِرَ مِنْ حَالِهِ كَأَنَّهُ قِيلَ أُذْكُرْ ذَلِكَ الوَقْتَ
لِتَعْلَمَ أَنَّهُ المُصْطَفَى الصَّالِحُ الَّذِي لَا يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ مِثْلِهِ وَمَعْنَى قَالَ لَهُ أَسْلِمْ أَخْطِرْ
بِبَالِهِ النَّظَرَ فِي الدَّلَائِلِ المُؤَدِّيَةِ إِلَى المَعْرِفَةِ وَالإِسْلَامِ فَقَالَ أَسْلَمْتُ أَيْ فَنَظَرَ
وَعَرَفَ وَقِيلَ أَسْلِمْ أَذْعِنْ وَأَطِعْ وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ دَعَا ابْنَيْ أَخِيهِ
سَلَمَةَ وَمُهَاجِرًا إِلَى الإِسْلَامِ فَقَالَ لَهُمَا قَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ فِي التَّوْرَاةِ إِنِّي
بَاعِثٌ مِنْ وَلَدِ إِسْمٰعِيلَ نَبِيًّا اسْمُهُ أَحْمَدُ فَمَنْ آمَنَ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَى وَرَشَدَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ
بِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ فَأَسْلَمَ سَلَمَةُ وَأَبَى مُهَاجِرٌ أَنْ يُسْلِمَ فَنَزَلَتْ قُرِئَ وَأَوْصَى
وَهِيَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ الحِجَازِ وَالشَّامِ وَالضَّمِيرُ فِي بِهَا لِقَوْلِهِ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ
عَلَى تَأْوِيلِ الكَلِمَةِ وَالجُمْلَةِ وَنَحْوُهُ رُجُوعُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً إِلَى
قَوْلِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي وَقَوْلُهُ كَلِمَةً بَاقِيَةً دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ
التَّأْنِيثَ عَلَى تَأْوِيلِ الكَلِمَةِ وَيَعْقُوبُ عَطْفٌ عَلَى إِبْرٰهِيمَ دَاخِلٌ فِي حُكْمِهِ وَالمَعْنَى وَوَصَّى
بِهَا يَعْقُوبُ بَنِيهِ أَيْضًا وَقُرِئَ وَيَعْقُوبَ بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى بَنِيهِ وَمَعْنَاهُ وَوَصَّى
بِهَا إِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ وَنَافِلَتَهُ يَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ عَلَى إِضْمَارِ القَوْلِ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ وَعِنْدَ

الكُوفِيِّينَ يَتَعَلَّقُ بِوَصَّى لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى القَوْلِ وَنَحْوُهُ قَوْلُ القَائِلِ • رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةَ
أَخْبَرَانَا • إِنَّا رَأَيْنَا رَجُلًا عُرْيَانَا • بِكَسْرِ الهَمْزَةِ فَهُوَ بِتَقْدِيرِ القَوْلِ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ
يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الإِخْبَارِ وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ أَنْ يَا بَنِيَّ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ
أَعْطَاكُمُ الدِّينَ الَّذِي هُوَ صَفْوَةُ الأَدْيَانِ وَهُوَ دِينُ الإِسْلَامِ وَوَفَّقَكُمْ لِلْأَخْذِ
بِهِ فَلَا تَمُوتُنَّ مَعْنَاهُ فَلَا يَكُنْ مَوْتُكُمْ إِلَّا عَلَى حَالِ كَوْنِكُمْ ثَابِتِينَ عَلَى الإِسْلَامِ فَالنَّهْيُ
فِي الحَقِيقَةِ عَنْ كَوْنِهِمْ عَلَى خِلَافِ حَالِ الإِسْلَامِ إِذَا مَاتُوا كَقَوْلِكَ لَا تُصَلِّ إِلَّا وَأَنْتَ
خَاشِعٌ فَلَا تَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ وَلَكِنْ عَنْ تَرْكِ الخُشُوعِ فِي حَالِ صَلَاتِهِ **فَإِنْ قُلْتَ**
فَأَيُّ نُكْتَةٍ فِي إِدْخَالِ حَرْفِ النَّهْيِ عَلَى الصَّلَاةِ وَلَيْسَ بِمَنْهِيٍّ عَنْهَا **قُلْتُ** النُّكْتَةُ
فِيهِ إِظْهَارُ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي لَا خُشُوعَ فِيهَا كَلَا صَلَاةٍ فَكَأَنَّهُ قَالَ أَنْهَاكَ عَنْهَا
إِذَا لَمْ تُصَلِّهَا عَلَى هَذِهِ الحَالَةِ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا صَلَاةَ لِجَارِ المَسْجِدِ
إِلَّا فِي المَسْجِدِ فَإِنَّهُ كَالتَّصْرِيحِ بِقَوْلِكَ لِجَارِ المَسْجِدِ لَا تُصَلِّ إِلَّا فِي المَسْجِدِ وَكَذَلِكَ
المَعْنَى فِي الآيَةِ إِظْهَارُ أَنَّ مَوْتَهُمْ لَا عَلَى حَالِ الثَّبَاتِ عَلَى الإِسْلَامِ مَوْتٌ لَا خَيْرَ
فِيهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَوْتِ السُّعَدَاءِ وَأَنَّ مِنْ حَقِّ هَذَا المَوْتِ أَنْ لَا يَحُلَّ فِيهِمْ وَتَقُولُ
فِي الأَمْرِ أَيْضًا مُتْ وَأَنْتَ شَهِيدٌ وَلَيْسَ مُرَادُكَ الأَمْرَ بِالمَوْتِ وَلَكِنْ بِالكَوْنِ
عَلَى صِفَةِ الشُّهَدَاءِ إِذَا مَاتَ وَإِنَّمَا أَمَرْتَهُ بِالمَوْتِ اعْتِدَادًا مِنْكَ بِمِيتَتِهِ وَإِظْهَارًا
لِفَضْلِهَا عَلَى غَيْرِهَا وَأَنَّهَا حَقِيقَةٌ بِأَنْ يُحَثَّ عَلَيْهَا أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ هِيَ أَمِ المُنْقَطِعَةُ
وَمَعْنَى الهَمْزَةِ فِيهَا الإِنْكَارُ وَالشُّهَدَاءُ جَمْعُ شَهِيدٍ بِمَعْنَى الحَاضِرِ أَيْ مَا كُنْتُمْ حَاضِرِينَ
يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ حَضَرَهُ المَوْتُ أَيْ حِينَ احْتُضِرَ وَالخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَعْنَى
مَا شَاهَدْتُمْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَصَلَ لَكُمُ العِلْمُ بِهِ مِنْ طَرِيقِ الوَحْيِ وَقِيلَ الخِطَابُ

للیهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه
وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما
ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء
ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون
على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم
من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام
وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد
وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن
وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم
وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد
تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق
عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب
والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه
قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين
صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا علي ابي
فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ
ابي واله ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا
وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا
بالابينا ؛ الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة

او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال
من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة معطوفة
على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون
التوحيد او مذعنون تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب
وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او
متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما
اكتسبتم وذلك انهم افتخروا باوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه
يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما
كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم بل ملة ابرهيم
بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد
من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته
ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من
المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل
الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد ولكنا
خلقنا اذ خلقنا ؛ حنيفا ديننا عن كل دين ؛ وما كان من المشركين
تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك
قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا
على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على
بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن

تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين

قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون

فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم

والحسين سبطي رسول الله والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر
لا نفرق بين أحد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
وأحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت
لأن دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الإسلام ومن يبتغ غير الإسلام دينا
فلن يقبل منه فلا يوجد إذن دين آخر يماثل دين الإسلام في كونه حقا حتى
إن آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فإن آمنوا بكلمة الشك على
سبيل الفرض والتقدير أي فإن حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة
والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير
مماثل لأنه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل
الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فإن كان عندك رأي أصوب منه
فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك
وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون
باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم أي فإن دخلوا في الإيمان
بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به
وقرأ أبي بالذي آمنتم به وإن تولوا عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم إلا
في شقاق أي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء أو فإن تولوا
عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لإظهار
رسول الله عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير ومعنى
السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وهو السميع العليم وعيد

صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون

لهم أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم
عليه أو وعد لرسول الله بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريد من
إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك صبغة الله
مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه
وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى
تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا
يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم
وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون
بأن يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا
وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا بالإيمان
صبغة ولم نصبغ صبغتكم وإنما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة
كما تقول لمن يغرس الأشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم
ومن أحسن من الله صبغة يعني أنه يصبغ عباده بالإيمان ويطهرهم به
من أوضار الكفر فلا صبغة أحسن من صبغته وقوله ونحن له عابدون
عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم أن صبغة الله
بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه
من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على أنها
مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قرأ
زيد بن ثابت أتحاجونا بإدغام النون والمعنى أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه

النبي من العرب دونكم و تقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم
احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في اننا عباده وهو ربنا
وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك
لا تختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم
اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال
ونحن له مخلصون نجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه
بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا
يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان
ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا
بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية
على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة
بمعنى بل اتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة
قل أانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم
بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم
كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم
يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد

بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها
في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله
سيقول السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى
الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن و
والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله
ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه
قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد
من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد
قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم
ما صرفهم عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق
والمغرب والارض كلها يهدي من يشاء من اهلها الى صراط مستقيم وهو ما
توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى
الى الكعبة وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا
خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد الوسيطة
بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق تاء
التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع
اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي
كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

وقد اكتريت جملا اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير
او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس لبعض بعضها اقرب من بعض لتكونوا
شهداء على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم
فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى
الله عليه فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله
في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه فيسأل عن
حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادة
لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة
الاستعلاء ومنه قوله تعالى على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم
وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة
العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت
لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت اخرا قلت لان الغرض في
الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما
جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه
كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى بيت المقدس بعد الهجرة تألفا
لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تجب ان تستقبلها
الجهة التي كنت عليها اولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس

قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا

وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله

وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على
عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الاية
ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك
ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما
جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس
وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فان قلت
كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء
وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم
خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز
الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز
وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في
كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة
او الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى
الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا
اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا
ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما
كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم

وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضائعة عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله تعالى الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحاق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله. وجيران لنا كانوا كرام. والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله. قد اترك القرن مصفرا انامله. تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها

وقبله: كيف اذا رايت ديار قوم. وبعده: كان انوابه مجت بعرصاد.

قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها

ووافقت مشيئة الله وحكمته شطر المسجد الحرام نحوه قال. واظعن بالقوم شطر الملوك. وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الى القبلتين تعملون قرئ بالياء والتاء ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض

تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس أخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما أنت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الأمر انك إذن لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق **فإن قلت** كيف قال وما أنت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان قبلة لليهود وقبلة للنصارى **قلت** كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون أبناءهم لا يشتبه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله فقال أنا أعلم به مني بابني قال ولم قال لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بأنه لشهرته ولكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة وقوله كما يعرفون أبناءهم يشهد للأول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام **فإن قلت** لم اختص

الأبناء **قلت** لأن الذكور أشهر وأعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم أو لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل أن يكون الحق خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق أو مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والاشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله أو إلى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق أي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وأن تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل **فإن قلت** إذا جعلت الحق خبر مبتدأ فما محل من ربك **قلت** يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا وقرأ علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال من الأول أي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم أو في أنه من ربك ولكل من أهل الأديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة أبي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف أحد المفعولين وقيل هو لله تعالى أي الله موليها إياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد أبوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها أي مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه إليها منكم ومن غيركم فاستبقوا أنتم الخيرات واستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو أن يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة أي جهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية شرقية أو غربية فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف

لا يحجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المأمور به وقرئ يعملون بالياء والتاء وهذا التكرير لتأكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى التفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا تكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء **فان قلت** اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين **قلت** كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التورية **فان قلت** كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين **قلت** لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا تكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استأنف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم

لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا تكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي بل احياء هم اموات بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حيوتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهداء جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون

ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون

فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه او لكل من يتاتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا الامر لله

ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم

الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته والحج القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين

وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنهم فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي رحمهما الله هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون من احبار اليهود ما انزلنا في التوراة من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين

ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم

يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنهم احياء ثم لعنهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة **فان قلت** ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر **قلت** اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشأنها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما تحمل فيها او بنفع الناس **فان قلت**

ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب

قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا **قلت** الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكأنه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر سخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث يشاء لآيات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا

عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه إلى غيره أو يأكلونه كما أكلت
باهلة إلههها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا إشارة إلى متخذي الأنداد أي ولو
يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله على كل شيء
من العقاب والثواب دون أندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا
العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة
ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله تع ولو ترى إذ وقفوا
وقولهم لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول
أو كل مخاطب أي ولو ترى ذلك لرأيت أمرا عظيما وقرئ إذ يرون على البناء
للمفعول وإذ في المستقبل كقوله ونادى أصحاب الجنة إذ تبرأ بدل من إذ يرون
العذاب أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الأتباع وقرأ مجاهد الأول على
البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول أي تبرأ الأتباع من الرؤساء ورأوا
العذاب الواو للحال أي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرأ
والأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب
والمحاب والأتباع والاستتباع كقوله تع لقد تقطع بينكم لو في معنى التمني
ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ
منهم كذلك مثل ذلك الإراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات أي ندامات
وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم
فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين هم بمنزلته في قوله
هم يفترسون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة أمرهم فيما أسند إليهم

يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

لا على الاختصاص حلالا مفعول كلوا أو حال مما في الأرض طيبا طاهرا من كل
شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام أو شبهة أو تحريم حلال
أو تحليل حرام ومن للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول وقرئ خطوات
بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على
الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة
المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة
والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه إذا اقتدى به واستن بسنته
مبين ظاهر العداوة لا خفاء به إنما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه
وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء
وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء
ما يجب فيه الحد وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال
وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله مما لا يجوز عليه فإن قلت
كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه
تزيينه وبعثه على الشر بأمر الآمر كما تقول أمرتني نفسي بكذا وتحته رمز
إلى أنكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك
قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق
الله وقال الله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء لما كان الإنسان
يطيعها فيعطيها ما اشتهت لهم الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم
على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لأنه لا ضال أضل من المقلد

إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل
هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله إلى الإسلام
فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فإنهم كانوا خيرا منا وأعلم وألفينا
بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم
الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب لا بد من مضاف محذوف
تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق أو مثل الذين كفروا كبهائم
الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء
إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار
كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها
وزجر ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد
بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا
النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم
في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت
ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون
أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق
بما لا يسمع إلا أن قوله إلا دعاء ونداء لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع
والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الأخطل
فانعق بضأنك يا جرير فإنما ۞ منتك نفسك في الخلاء ضلالا ۞ وأما نعق

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم

الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم من طيبات ما رزقناكم
من مستلذاته لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالا واشكروا لله الذي
رزقكموها إن كنتم إياه تعبدون إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرون
أنه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تع إني والجن والإنس
في نبإ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري قرئ حرم على البناء
للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم أهل به لغير الله أي رفع
به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر
آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة **فإن قلت** في الميتات
ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان
ودمان **قلت** قصد ما يتفاهمه الناس ويتعادونه في العادة ألا ترى
أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو
قال أكل دما لم يسبق إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من
حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وإن أكل لحما في الحقيقة وقال الله تع
لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث
وإن سماه الله دابة في قوله تع إن شر الدواب عند الله الذين كفروا **فإن قلت**
فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه **قلت** لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه
تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم ما في بطونهم ملء بطونهم
تقول أكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه إلا النار لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها
عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه

إن الذين يكتمون ما أنزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا
أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار

ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد

إن لنا أحمرة عجافا ◦ قال أكلت دمًا إن لم أرُعك بضرّة ◦ وقال يأكلن كل ليلة إكافا ◦ أراد
ثمن الإكاف فسمّاه إكافا لتلبّسه به بكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم
حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل
نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه
وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون فما أصبرهم على
النار تعجّب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن
يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض
لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبّرهم
يقال أصبره على كذا وصبّره بمعنى وهذا أصل معنى التعجب والذي روي عن الكسائي
أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم إليّ رجلان من العرب فحلف أحدهما
على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله ذلك
بأن الله أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزّل ما نزّل من الكتب بالحق وإن الذين
اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب
لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله
نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر
وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني أن أولئك لو لم يختلفوا ولم
يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا البر اسم للخير ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ◦ الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود يصلي قبل المغرب إلى بيت
المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حوّل

ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل

حين حوّل رسول الله إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر
التوجه إلى قبلته فردّ عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج
من البر ولكن البر ما نبيّنه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في
أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر
صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه
برّ من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم
وقرأ عبد الله بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق
بزيد ولكن البر من آمن على تأويل حذف المضاف أي برّ من آمن أو يتأول
البر بمعنى ذي البر أو كما قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن
يقرأ القرآن لقرأت ولكن البَر بفتح الباء وقرئ ولكن البارّ وقرأ ابن عامر
ونافع ولكنِ البرُّ بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله أو القرآن على
حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود رضي الله عنه أن تؤتيه
وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء
يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدّم ذوي القربى لأنهم أحق
قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان
لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق ذوي
القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس والمسكين الدائم السكون
إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير الدائم السكر وابن السبيل المسافر

المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب واعتاقهم وقيل في فك الاسارى **فان قلت** قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكوة **قلت** يحتمل ذلك وعن الشعبي رحمه الله ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل ان يكون ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين والبأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رحمهم الله ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى اخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه

رضي الله عنهم انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا فمن عفي له من اخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه وليّ الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام **فان قلت** ان عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له **قلت** يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية **فان قلت** هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به **قلت** لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن

أعفاه ومنه قوله واعفوا اللحى **فان قلت** فقد ثبت قولهم عفا اثره
اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء **قلت**
عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في
الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية
عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه
للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه
جرأة يستعاذ بالله منها **فان قلت** لم قيل شيء من العفو **قلت**
للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم
او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية
فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه
والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه
الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله
ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان
اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل
الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص
والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز
ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب
شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل

ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون

منه دية لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم
في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص
قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة
بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو
القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل
مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله
فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه
حياة اي حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل
لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه
فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب
حياة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم في القصص حياة اي فيما قص عليكم
من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حياة للقلوب
كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون اي اريتكم
ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون
عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص
بالائمة اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته خيرا مالا كثيرا
عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربع مئة دينار
فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسألته كم مالك فقال
ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا

كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين

وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد
ان يوصي وله سبعمئة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو
المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى
ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث
كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى
كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة بالقبول الا انه ثبت الذي
صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم
الايتين وقيل ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصى به الله
من توريث الوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص
من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز
الثلث حقا مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه
ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه
على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم
من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل
فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون
التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية
او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون
باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق
ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم كما كتب

من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم وكتب على المختصر ان يوصي للوالدين والاقربين

بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم

يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

على الذين من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم عليه السلام الى عهدكم
قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصيلة ما اخلى
الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة
عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف
لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم
وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه
انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم
موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في
البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء
والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات
عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها
حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم
ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل
لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او
قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويحكر
فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك
نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ
بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان
يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل

اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما
ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في
رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد
الشديد والصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار
وقال هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تع يريد الله بكم اليسر
وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء
فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم
يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر
وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم رضي الله عنهم انه يقضي
كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات **فان قلت**
فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات
قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة
مكانها علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى
الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام
مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز
مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم
فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس رضي الله عنهما يطوقونه تفعيل
من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال
لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين

التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه
ويتطيوقونه على انهما فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد
قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى
يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ
والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير
منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم
ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع
خير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون
او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع
الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام
خير لكم الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر
وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب
باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت **فان قلت**
لم سمي شهر رمضان **قلت** الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم
سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا
لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض
الحر **فان قلت** فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا
فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا

فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون • شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس

واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له **قلت** هو من باب الحذف لامن
الالباس قال كما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه
مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم
الصيام او على انه خبر مبتداء محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان
او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه
القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى السماء
الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب
عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل
لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي
انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق
ويفرق بين الحق والباطل **فان قلت** ما معنى قوله وبينات من الهدى
بعد قوله هدى للناس **قلت** ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات
من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية
الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان
شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب
على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة
لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر
وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة

ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس
من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة
وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق
تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة
عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة
العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف
المسلك لا يكاد يتهدى الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما
عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا
الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا
وقرئ ولتكملوا بالتشديد **فان قلت** هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا
على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد
بكم الله اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا **قلت** لا يبعد ذلك
والاول اوجه **فان قلت** ما المراد بالتكبير **قلت** تعظيم الله والثناء
عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال فاني قريب
تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال
من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وقوله عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال

اجيب دعوة الداعي اذا دعان

لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه انشد وهو محرم: وهن يمشين بنا هميسا ❊ ان تصدق الطير ننك لميسا ❊ فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك **فان قلت** لم كني عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن **قلت** استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم **فان قلت** لم عدي الرفث بالى **قلت** لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل

وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

تثنت فكانت عليه لباسا

وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم

وعفا عنكم فالآن باشروهن

وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم

من الخيط الاسود

كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي: اذا ما الضجيع ثنى عطفها ❊ تثنت عليه فكانت لباسا ❊ **فان قلت** ما موقع قوله هن لباس لكم **قلت** هو استيناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما اقترفتموه من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد: فلما اضاءت لنا سدفة ❊ ولاح من الصبح خيط انارا ❊ وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به من بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للآخر ويجوز ان تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله **فان قلت** اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه **قلت** قوله من الفجر

اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها

فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة **قلت** لان من شرط المستعار ان تدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة **فان قلت** فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل

قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات لبدوي • عريض القفا ميزانه في شماله • قد انحص من حسب القراريط شاربه •

فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهي غير مرادة **قلت** اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم

منه

فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر • وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امراته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد • وانه لا يختص به مسجد دون مسجد • وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرا مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فلا تغشوها **فان قلت** كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله **قلت** من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالراتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها الى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبها احق بالتوبيخ روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ

فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته

لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ

كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله **فان قلت** ما وجه اتصاله بما قبله **قلت** كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة

بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا

في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان تجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسألون المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين

وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

وَقَاتِلُوا

الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك

نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح
في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ
والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث
ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة
ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال • فاما تثقفوني فاقتلوني • فمن اثقف
فليس الى خلود • من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم
الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به اشد
عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل
الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل
• لقتل بحد السيف اهون موقعا • على النفس من قتل بحد فراق • وقيل الفتنة
عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم ويعيبون
به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد
وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم
اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم فان قتلوكم
جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلنا بنو فلان وقال • فان تقتلونا
نقتلكم • فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين • فلا تعدوا على المنتهين لان
مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين

ان الله لا يحب المعتدين

واقتلوهم

واخرجوهم

ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين

فان الله غفور رحيم

وقاتلوهم

اولا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء
كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام
وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في القعدة
الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون
حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها
القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا
حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم
فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها في اعطى بيده للمنقاد والمعنى
ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم
بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا
تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن
الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس
او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل
على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري
نحن اعلم بهذه الآية وانما انزلت فينا صحبنا رسول الله فنصرناه وشهدنا معه المشاهد
وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت
الحرب اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت

واعلموا ان الله مع المتقين

وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين

التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد وحكى أبو علي في الحلبيات عن أبي عبيدة
التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول أبي عبيدة على أن التهلكة
مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان
التنضبة والتتفلة ويجوز أن يقال أصله التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على أنها
مصدر من هلّك فأبدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار وأتموا الحج والعمرة لله
ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم
فيهما قال تمام الحج أن تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام * جعل الوقوف
عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم إلا به وقيل إتمامهما أن تحرم من دويرة أهلك
روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد
منهما سفرا كما قال محمد رحمه الله حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل أن تكون النفقة
حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والأغراض
الدنيوية فإن قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو إلا أمر بإتمامهما
ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع
جميعا إلا أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائهما بدليل قراءة من قرأ وأقيموا الحج
والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلا أن يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله
فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي
أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وعنه عليه السلام
الحج جهاد والعمرة تطوع فإن قلت فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال
إن العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له إني وجدت الحج والعمرة

مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج
في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج أن
القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج
والعمار ولأنها الحج الأصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب
وأما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله أهللت بهما وإذا
أهل بالعمرة وجبت عليه كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرنا
أخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان
وستة من شوال في أنك تأمر بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي
والعمرة لله بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فإن أحصرتم
يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز قال الله تعالى
الذين أحصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة * وما هجر ليلى أن تكون تباعدت
عليك ولا أن أحصرتك شغول * وحصر إذا حبسه عدو عن المضي أو سجن ومنه
قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لأنه محجوب هذا هو الأكثر في كلامهم وهما
بمعنى المنع في كل شيء مثل صده وأصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعليه
قول أبي حنيفة رضي الله عنه كل منع عنده من عدو كان أو مرض أو غيرهما معتبر
في إثبات حكم الإحصار وعند مالك والشافعي رحمهما الله منع العدو وحده
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر أو عرج فقد حل وعليه الحج من قابل
فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب
واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي

بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم
محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير
او بقرة او شاة **فان قلت** اين ومتى ينحر هدي المحصر **قلت** ان كان حاجا
فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة رضي الله عنه يبعث به ويجعل للمبعوث على يده
يوم امارة وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم
جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر
ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه
الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو
ظاهر على مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه **فان قلت** فان النبي صلى الله عليه
نحر هديه حيث احصر **قلت** كان محصرا طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة
وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم
وقال الواقدي الحديبية طرف الحرم على تسعة اميال من مكة فمن كان منكم مريضا
لمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل والجراحة فعليه
اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع
من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين
او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح
راسه فقال كفى بهذا اذى وامر ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل
جمع نسيكة وقرا الحسن من نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا

وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى
وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته
انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو
هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة رضي الله عنه ويأكل منه وعند الشافعي
يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده
يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج
اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما
وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي رحمه الله لا تصام
الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا
نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رحمه الله
هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل
كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله تع او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
فان قلت ما فائدة الفذلكة **قلت** الواو قد تجيء للاباحة
في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا
منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة
في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد
العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد آخر وفيه
زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول

ذلك لمن لم يكن اهله

للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمر به وكان منك بمنزل اتق الله لا تقصر
وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام
متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران
لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية
لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه
وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم
شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة
وعنده اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا
الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان
الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى

الحج

اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو
القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي تسع ذي الحجة
وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة **فان قلت** ما فائدة توقيت الحج
بهذه الاشهر **قلت** فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام
بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة رضي الله عنه
ينعقد الا انه مكروه **فان قلت** فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا
قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر
معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا او على

عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها **فان قلت**
ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير **قلت** قالوا
وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال
فيها للعمرة وعن عمر رضي الله عنه انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار
فيهن وعن ابن عمر رضي الله عنه انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت
المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة
جواز تاخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكلن
عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض
فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة
رضي الله عنه وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او لا
فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب
والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما

في الحج

امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس
الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها
وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالنصب وبالرفع وقرأ
ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى
النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء
الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر
العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون

الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة
فأخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق
دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه
وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر
وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان
الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم
حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى
اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان
اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون
كلاً على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس
والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى • واتقوني وخافوا عقابي يا اولي الالباب
يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له فضلاً
من ربكم عطاء منه وتفضلاً وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب
يتأثمون ان يتجروا في ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرا فلم تقم لهم
سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل
كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم
وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلاً قال له انا
قوم نكري في هذا الوجه وان قوماً يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم

عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به وقال انتم حجاج وعن
عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت
معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلاً من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا
في ان تبتغوا افضتم دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله
افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث
ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال فاضوا في
الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات **فان قلت**
هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث **قلت** لا يخلو التأنيث
اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها
ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير
التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا تقدر
تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء
التأنيث فأبت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما
ابصرها عرفها وقيل ان جبريل عليه السلام حين كان يدور به في المشاعر
اراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل
لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة
لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه
دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي
صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله

بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء
والمشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل
المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان
ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه
مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة
به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم للعبادة ووصف بالحرام لحرمته
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت
الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم عليه السلم
اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها
بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله
اي يتقربون بالوقوف فيها كما هداكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف
تذكرونه لا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين
الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن
من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم

ونعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا
نخرج منه ويقفون بجمع وسائر الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم
قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم
لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين
امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين
وان احديهما صواب والثانية خطا وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم
الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض
الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم عليه السلام من قوله ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا
الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم
فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا
ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدد فضائل آبائهم
ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف
اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد
منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من
آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا
ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض
الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل

ربنا

ان الله غفور رحيم

ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

ا تنا ؛ نا اي إعطاء نا في الدنيا خاصة وماله في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق
وهو النصيب او ماله هذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا
والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير
وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة
الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنيين
لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي
هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا
به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة
وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم
ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا
والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار
الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم
وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب
الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة

واذكروا الله في أيام معدودات

الأيام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات
وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من
حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في النفر او
استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الأمر
واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله تع

ومن تأخر كما هي كذلك في قوله ؛ قد يدرك المتأني بعض حاجته ؛ وقد يكون من
المستعجل الزلل ؛ لأجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي
يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل
الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه

فلا إثم عليه

ينفر قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث
يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز
فإن قلت كيف قال فلا إثم عليه عند التعجل والتأخر جميعا قلت
دلالة على ان التعجل والتأخر مخير فيهما كأنه قيل فتعجلوا او تأخروا فإن قلت
أليس التأخر بافضل قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والأفضل
كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وان كان الصوم افضل وقيل
إن اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل
المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي
الإثم عن المتعجل والمتأخر لأجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب
ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الإقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من
كل ما يريبه ولأنه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم

واعلموا أنكم إليه تحشرون

ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لأنه هو المنتفع

ومن الناس

دون من سواه كقوله تع ذلك خير للذين يريدون وجه الله من يعجبك قوله اي
يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الأخنس
بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه

وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلو السنتهم وقلوبهم امر من الصبر **فان قلت** بم تعلق قوله في الحيوة الدنيا **قلت** بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرا الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء

والله لا يحب الفساد

للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرا الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان تكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب

السلم تاخذ منها ما رضيت به ❊ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ❊

على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرا من التوراة في صلوته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله

وإذا قيل له اتق الله

فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من

ابتغاء مرضات الله

مات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلثين وهو ابن سبعين سنة

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم

ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

هل ينظرون الا

عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قارئا قرأ
غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله
فلا يقول كذا الحكيم الذي لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو
السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت إتيان الله إتيان أمره
وبأسه كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا
بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل
جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ
والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل
او على الغمام **فان قلت** لم يأتيهم العذاب في الغمام **قلت** لان الغمام
مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء
من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف
اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع
لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمه اشتد على المتفكرين في كتاب الله وبدا
لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم امر اهلاكهم وتدميرهم
وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع
عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتأنيث
والتذكير فيهما سل امر للرسول او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسئل
الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم
او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة

من الغمام

والى الله ترجع الامور

بني اسرائيل

ومن يبدل

من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها
لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
او حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت**
كم استفهامية ام خبرية **قلت** تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها
للتقرير **فان قلت** ما معنى من بعد ما جاءته **قلت** معناه من بعد ما
تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن
من معرفتها او لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف المزين
هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون
غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او
جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كان الكفرة يسخرون من المؤمنين
الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها
وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة
لانهم في عليين من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم
في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما
يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا
من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه
يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة
عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة

فان الله شديد العقاب

مبشرين ومنذرين

والدليل عليه قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا

لكان اولياؤه والمؤمنون احق بها منكم **فان قلت** لم قال من الذين آمنوا ثم قال
والذين اتقوا **قلت** ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين
على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث
الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا وقيل كان
الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه
فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق **قلت** عن ابن عباس رضي الله عنه
انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم
نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد
منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه بعد
الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل
لازالة الاختلاف اي ازدادوا في الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب
سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على
الدنيا وقلة انصاف منهم من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا
للحق الذي اختلف فيه من اختلف ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار
الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين
بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين
اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له
قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في

بالحق

بين الناس

من بعد ما جاءتهم البينات

ان تدخلوا الجنة

من قبلكم

والضراء

والذين آمنوا معه

النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا
حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال
كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها
بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال
الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا
ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل
على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم
واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية
في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم
ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان
ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل
حتى يجيء البعير يجر بطنه الا انها حال ماضية محكية **فان قلت** كيف
طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون
واجيبوا ببيان المصرف **قلت** قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه
وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد
بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها
طريق المصنع وعن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ
هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي
هي منسوخة بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع وهو كره لكم من الكراهة بدليل
كتب عليكم القتال

يسألونك ماذا ينفقون

فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وما تفعلوا من خير فان الله به عليم

قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر
موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة
واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم
وقرا السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون
بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهته لهم ومشقته
عليهم ومنه قوله تع حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى ان
تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه
والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر
بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه
واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم
من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا
يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله العير وعظم
ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى
وعن ابن عباس رضي الله عنه لما نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسالك
الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال من الشهر
وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن
منهم وقرا عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه
سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا

في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره
يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله
واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون اكبر عند الله مما
فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن والفتنة
الاخراج او الشرك والمسجد الحرام عطف على سبيل الله **فان قلت** كيف صح
العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد منعوا من ذلك **قلت** وكفر به في
معنى الصد عن سبيل الله فاتحادهما هو الذي سوغ ذلك كانه لا فصل وكانه قيل وصد
عن سبيل الله والمسجد الحرام ووجه اخر وهو ان موضع وكفر به عقيب قوله
والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية كما في قوله ولم يكن له كفوا احد كان
من حق الكلام ان يقال ولم يكن احد كفوا له الا انه قيل ولم يكن له تقدم له
لفرط العناية ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن
دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى
معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم
وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي
وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم
على ردته اليه فيمت على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم
باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها
من ثواب الاخرة وبها احتج الشافعي رحمه الله على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت

هو ابو عبد الرحمن السلمي

وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم

يسالونك

قتال

واخراج اهله منه اكبر عند الله

والفتنة اكبر من القتل

عن دينكم

وهو كافر

واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

عليها وعند ابي حنيفة رضي الله عنه انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين امنوا والذين
هاجروا روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا
من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله عن قتادة هؤلاء خيار
هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب
نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحا
رضوان الله عليهم قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال
فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد
الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان
بن مالك قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد
سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت
انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه
لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم اوذن عليها ولو وقعت في بحر ثم
جف ونبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي
فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد
وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان
طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه

وجاهدوا في سبيل الله

والله غفور رحيم

يسألونك عن الخمر والميسر قل

ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة رضي الله عنه
وعن بعض اصحابه لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام
ولان اخر من السماء فانقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند
اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا
لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت
بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد
والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال
الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال
اقول لهم بالشعب اذ ييسرون ربي اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور
فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقدح وهي الازلام
والاقلام الفذ والتوام والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح
والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها
عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلثة وهي المنيح والسفيح والوغد
ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح * واساميهن وغد وسفيح ومنيح *
للفذ سهم وللتوام سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة
وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على
يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له
قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له

قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصبا
الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه
البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه
وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه
ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين رحمه الله كل شيء فيه خطر فهو من الميسر
والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم
في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل
بهما الى مصادقة الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم
وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي
قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون
فيهما الآثام من وجوه كثيرة

ويسألونك ماذا ينفقون قل

العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه
الجهد واستفراغ الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض
السهلة العفو قرئ بالنصب والرفع وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه
ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه
من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو
اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس
انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون
المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما هو اصلح لكم كما

كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين فتؤثرون
ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما
لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع
العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم
الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام

ويسألونك عن اليتامى قل

بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح
لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان
تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان
يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذ
ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة
واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال
الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك
فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه
حكيم لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا وقرئ بضم التاء اي لا تزوجوهن

المشركات حتى يؤمن

او لا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات
والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تع وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة

بقوله تع والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها
ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي رضي الله عنهما وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة
ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته
وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج
بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مومنة
ولامراة مومنة حرة كانت او مملوكة وكذلك لعبد مومن لان الناس كلهم عبيد الله
واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المومنة
خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر النار
فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المومنين الا المناصبة والقتال
والله يدعو الى الجنة يعني اولياء الله وهم المومنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما
يوصل اليهما فهم الذين يجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يوثروا على غيرهم باذنه
بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به الجنة والمغفرة وقرا الحسن والمغفرة
باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره المحيض مصدر يقال حاضت محيضا
كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويوذي من
يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا
مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها
ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود
والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم

خير من مشركة

ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم

ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون

ويسالونك عن

فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان
آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض
فقال عليه السلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد
بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف رضي الله عنهما
يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن رحمه الله لا يوجب الا اعتزال
الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سالها هل
يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلها ثم ليباشرها
ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي
من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا
قول ابي حنيفة رضي الله عنه وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت
يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن
بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر
الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القرائتين مما يجب العمل به فذهب
ابو حنيفة رضي الله عنه الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان
لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب
الشافعي رحمه الله الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين الامرين وهذا
قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث امركم الله من المأتى الذي

اسفلها

أمركم الله به وحلّله لكم وهو القبل إن الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش أو إن الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الأقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل وإتيان ما ليس بمباح وغير ذلك حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فأتوا حرثكم أنى شئتم تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وأشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي أن اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولده أحول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود فنزلت وقدموا لأنفسكم ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا أنكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فإن قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث أمركم الله يعني أن المأتي الذي

أمركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وإزالة للشبهة ودلالة على أن الغرض الأصيل في الإتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض فإن قلت ما بال يسألونك جاء بغير واو ثلث مرات ثم مع الواو ثلثا قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الأول وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوه عن الحوادث الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الإنفاق والسؤال عن كذا وكذا العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للأمر قال فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الأولى أن الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أو عبادة ثم يقول أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك البر إرادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي عليه السلم لعبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي على شيء مما يحلف عليه وقوله أن تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس فإن قلت بم تعلقت اللام في لأيمانكم قلت بالفعل أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخا وحجازا ويجوز أن

اول
دعوني اخب وجدا كنوح الحمام

والله سميع عليم

يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني
كذا ويجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا
الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضا
لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين
باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا
ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم اللغو الساقط
الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل
لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه
والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف
الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه
ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به
كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد
الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم
اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم
اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف
ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين
الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت
من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو

شرع في تفسير قوله للذين يؤلون

في ايمانهم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم
فان قلت كيف عدي بمن وهو معدى بعلى قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص
معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مولين او مقسمين ويجوز ان يراد
لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول
والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق
ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا
فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر
ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رحمه الله لا يصح الايلاء الا في اكثر
من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه
الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن
فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء
بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على
الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق
فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى
قول الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف
موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح
لان قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل
يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم

فان فاءوا فيهن

الى آخره وإلا لم اقم الاديثما الحول **فان قلت** ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع **قلت** الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان

والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء **فان قلت** كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم **قلت** بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك **فان قلت** فما معنى الاخبار عنهن بالتربص **قلت** هو خبر في معنى الامر واصل الكلام ولتتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تأكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تأكيد ولو قيل وتتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة **فان قلت** هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس **قلت** في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء **فان قلت** فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو في الطهر **قلت** معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث **فان قلت** فما تقول في قول الاعشى

أفي كل عام انت جاشم غزوة ... تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة ... لما ضاع فيها من قروء نسائكا

قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاءا في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا **فان قلت** فعلام انتصب ثلاثة قروء **قلت** على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء **فان قلت** لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء **قلت** يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس

يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء

ولا يحل لهن أن يكتمن

كثيرة ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلاً للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرأ الزهري ثلاثة قرو بغير همز ما خلق الله في أرحامهن من الولد أو من دم الحيض وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها أو كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالاً للطلاق ويجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية عن إسقاطه إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم

وبعولتهن

والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز أن يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني وأهل بعولتهن أحق بردهن برجعتهن وفي قراءة أبي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص **فإن قلت** كيف جعلوا أحق بالرجعة كأن للنساء حقاً فيها **قلت** المعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقاً في الرجعة إن أرادوا بالرجعة إصلاحاً لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف أحد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك

وللرجال عليهن

ولكن يقابله بما يليق بالرجال درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وإنفاقه في مصالحها

والله عزيز حكيم

مرتان

الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والإرسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان تخيير لهم بعد أن علمهم كيف يطلقون بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين أن يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث فإمساك بمعروف أي برجعة أو تسريح بإحسان أي بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي أن سائلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وعند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة والسنة أن لا يوقع عليها إلا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قال له إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس بإرسال الثلاث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلاثاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه روي أن جميلة بنت عبد الله بن أبي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله

فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعتب عليه
في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء
فرأيته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان
قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام **فان قلت**
لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان
خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا
بمؤتيهن **قلت** يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة
والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام
لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون
مما آتيتموهن مما اعطيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا
ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث
من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها
فيما اعطت فيما افتدت به فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر
والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت
على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها
فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها
اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان
منه كره له ان يأخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان
لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله

شيئا

فان خفتم الا يقيما حدود الله

تلك حدود الله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون

ونحوه وأسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا
وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف
ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن فان طلقها الطلاق المذكور
الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها
مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا
غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما التزوج ويقال فلانة ناكح
في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب
والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها
ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني
فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم أتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم
فقال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله
ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن نصدقك
في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله فأتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت
أأرجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله حين قال لك ما قال فلا
ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه
لارجمنك فمنعها **فان قلت** فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل **قلت**
قد ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز
وهو جائز عند ابي حنيفة رضي الله عنه مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل

ولم يصرح به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل
والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتي بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان
رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني ان يتراجعا
ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان
حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه
الا الله ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول
علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما
يظن ظنا فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة
كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية
والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية وقال اذا انتهى امده
ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت
ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له
عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او
سرحوهن باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار
ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها
ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا
وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا
آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد
اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ

فلا جناح عليهما

ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون

واذا طلقتم النساء

بمعروف

ومن يفعل ذلك

ويقال كن يهوديا خالصا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج
ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
وبنبوة محمد عليه السلام وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن
والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل
عليكم فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين
يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركوهن
يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن
فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى
ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى
الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه
ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم
وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها فلم تخرج وانشد لابن هرمة وان قصائدي لك
فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة
وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا بينهم
اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط
وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه انها اذا زوجت
نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب

واتقوا الله ان الله بكل شيء عليم واعلموا

واذا طلقتم النساء

في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز أن يكون لرسول الله ولكل أحد ونحو ذلك
خير لكم وأطهر أزكى لكم وأطهر من أدناس الآثام وقيل أزكى وأطهر
أفضل وأطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وأنتم لا تعلمونه أو أي
والله أعلم بما تستصلحون به من الأحكام والشرائع وأنتم تجهلونه يرضعن مثل
يتربصن في أنه خبر في معنى الأمر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة
كاملة لأنه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما
وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة
وأن تتم الرضاعة وأن يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لأن بما لتآخيهما في التأويل
فإن قلت كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه إليه
الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به أي هذا الحكم لمن أراد إتمام
الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن
أراد أن يتم الرضاعة أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا
ينقص منه بعد أن لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما
تقول أرضعت فلانة لفلان ولده أي يرضعن حولين لمن أراد أن يتم الرضاعة
من الآباء لأن الأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له
ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ولا
يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رضي الله عنه ما دامت زوجة أو معتدة من
نكاح وعند الشافعي رحمه الله يجوز فإذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فإن قلت
فما بال الوالدات مأمورات بأن يرضعن أولادهن قلت إما أن يكون أمرا على وجه

الندب وإما على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه أو لم توجد
له ظئر أو كان الأب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات
المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع وعلى المولود له وعلى
الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب
عليهم فإن قلت لم قيل المولود له دون الوالد قلت ليعلم أن
الوالدات ولدن لهم لأن الأولاد للآباء ولذلك ينسبون إليهم لا إلى الأمهات
وأنشد للمأمون بن الرشيد، فإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللأبناء آباء
فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظآر ألا ترى
أنه ذكر باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسير لما يعقبه
وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف
بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الإخبار وهو يحتمل
البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل تضارر بكسر الراء أو تضارر بفتحها
وقرأ لا تضار بالفتح أكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهي وهو يحتمل
للبنائين أيضا ويبين ذلك أنه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء
الأولى وكسرها وقرأ أبو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف
وعن الأعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف
كما نواه أبو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن

بولدها

تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه
بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما
اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه
من رزقها وكسوتها ولا يأخذ منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع
وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج
وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى
تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده
ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان
ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد **فان قلت**
كيف قيل بولدها وبولده **قلت** لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف
اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق
عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن
وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه
فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة
اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها او يكسوها
بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي
الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي
رحمه الله لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد

والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي
نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان
له مال وان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعها وقيل على الوارث
على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا
عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه
توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما
في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية
وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان اراد ان تسترضعوا منقول من ارضع يقال ارضعت
المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة
واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد
المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته
وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول اذا سلمتم الى المراضع
ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى
شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما
هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون البعث على ان يكون الشيء الذي تعطاه
المرضع من اهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي
واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد

وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

ما أعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلّمتم أمروا أن يكونوا عند تسليم الأجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيّبين لأنفس المراضع بما أمكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف أراد وأزواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء أي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى أن أبا الأسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على أن أمره بأن يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام وقيل عشرا ذهابا إلى الليالي والأيام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين إلى الأيام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البيّن فيه قوله تعالى إن لبثتم إلا عشرا ثم إن لبثتم إلا يوما فإذا بلغن أجلهن فإذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم أيها الأئمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في أنفسهن من التعرض للخطّاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن يكفوهن وإن فرطوا كان عليهم الجناح فيما عرضتم به هو أن يقول لها إنك لجميلة أو صالحة أو نافقة ومن غرضي أن أتزوج وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك أو أخطبك وروى ابن المبارك

وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي أبو جعفر محمد بن علي وأنا في عدّتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فإن قلت** أي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكأنه إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما تريده أو أكننتم في أنفسكم أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله أنكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم **فإن قلت** أين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن **قلت** هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله أنكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لأنه مما يسر قال الأعشى ولا تقربن جارة إن سرها ❊ عليك حرام فانكحن أو تأبدا ❊ ثم عبر به عن

من خطبة النساء

أروح لتسليم وأغدو لمثله ❊

عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما نعبّر بالنكاح الا ان تقولوا قولا
معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم يتعلق حرف الاستثناء
قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير
منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان
يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل
معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري
بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث والفحش في الكلام
وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة
بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس رضي الله عنه
الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة
النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح
في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان الفعل انهى ومعناه
ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح
وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام
من الليل وروي لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب
وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه
غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان
تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان

المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها
فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله
وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات
للجناح المنفي ثمه والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة
رضي الله عنه الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر
المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص
من نصفها والموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه
لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا
ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك
وعند اصحابنا رضي الله عنهم لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات
ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في
الشرع والمروة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على
المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين
كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات
فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون **قلت**
الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون
ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله
والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن

ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره

وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم

او يعفو

واعلموا ان الله

واعلموا ان الله

فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي رحمه الله وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كملا وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها وقرأ ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو والصلوة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلم انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك كما

وان تعفوا اقرب للتقوى

بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احداهما الصلوة الوسطى اما الفجر واما الظهر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها وعن مجاهد رحمه الله هي الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عايشة رضي الله عنها والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي رحمه الله يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه

او ركبانا

والمسايفة

والمسايقة

إلى القبلة فإذا أمنتم فإذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون من صلوة الأمن أو فإذا أمنتم فاشكروا الله على الأمن واذكروه بالعبادة
كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال
الأمن تقديره فيمن قرأ وصيةٌ بالرفع ووصية الذين يتوفون أو وحكم الذين
يتوفون وصية لأزواجهم أو والذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم وفيمن قرأ
بالنصب والذين يتوفون يوصون وصيةً كقولك إنما أنت سير البريد بإضمار
تسير أو وألزم الذين يتوفون وصية وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم
الوصية لأزواجكم متاعا إلى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون
أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول وقرأ أبي متاع لأزواجهم متاعا وروي
عنه فمتاع لأزواجهم ومتاعا نصب بالوصية إلا إذا أضمرت يوصون فإنه نصب
بالفعل وعلى قراءة أبي متاعا نصب بمتاع لأنه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد
الشاكرين وأعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا وغير إخراج مصدر مؤكد
كقولك هذا القول غير ما تقول أو بدل من متاعا أو حال من الأزواج أي غير مخرجات
والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع
أزواجهم بعدهم حولا كاملا أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن
وكان ذلك في أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشرا وقيل
نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالإرث الذي هو الربع والثمن
واختلف في السكنى فعند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا سكنى لهن فيما فعلن في
أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فإن قلت

فإن خرجن فلا جناح عليكم

أو خ

والله عزيز حكيم

كيف نسخت الآية المتقدمة المتأخرة قلت قد تكون الآية متقدمة
في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تع سيقول السفهاء مع قوله تعالى
قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع عمم المطلقات بإيجاب المتعة
لهن بعد ما أوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على
المتقين كما قال حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وأبي العالية والزهري أنها
واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا
وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب
وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع
لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب روي أن أهل داوردان
قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم
ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد
زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقه وأصابعه
تعجبا مما رأى فأوحي إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فنظر إليهم قياما
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بني إسرائيل
دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام
ثم أحياهم وهم ألوف فيه دليل على الألوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل
عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف متألفون جمع
آلف كقاعد وقعود فإن قلت ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا قلت
معناه فأماتهم وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة

بالمعروف

كذلك يبين الله

لكم آياته

لعلكم

تعقلون

ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم

حذر الموت

ثم أحياهم

رجل واحد بأمر الله تع ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم أمروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله تع إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وبصركم باقتصاص خبرهم أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم البعث والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله واعلموا أن الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن إما المجاهدة في نفسها وإما النفقة في سبيل الله أضعافا كثيرة قيل الواحد بسبع مئة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها إلا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة وإليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم لنبي لهم هو يوشع أو شمعون أو اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها ومن أمرهم بطاعته وامتثال أوامره وروي أنه أمر الناس إذا سافروا أن يجعلوا أحدهم أميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على أنه حال أي ابعثه لنا مقدرين القتال أو استئناف كأنه قال لهم ما تصنعون

إن الله لذو فضل

ولكن أكثر الناس لا يشكرون

وقاتلوا

من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا

بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على أنه صفة لملكا وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه كقوله تع هل أتى على الإنسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا أن لا نقاتل وأي داع لنا إلى ترك القتال وأي غرض لنا فيه وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين إلا قليلا منهم قيل القليل منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد أهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد طالوت اسم أعجمي كجالوت وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رخمانا رخمنا بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا أنى كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له فإن قلت ما الفرق بين الواوين في ونحن أحق

إن كتب عليكم القتال

قالوا

في سبيل الله

فلما كتب عليهم القتال تولوا

وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم

يكون له الملك علينا

بالملك منه

ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا
قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق
التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به
وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام والملك
في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا
فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها
من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قال ان الله اصطفاه عليكم يريد
ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم
الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب
ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك
ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون
جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة
والامتداد وروي ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه يؤتي ملكه
من يشاء اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك
والله واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر
عليم بمن يصطفيه للملك التابوت صندوق التورية وكان موسى عليه السلام
اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائل ولا يفرون والسكينة السكون
والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس كرأس

في حكم واو الحال

وزاده بسطة في العلم والجسم

والله

وقال لهم ان اية ملكه ان يأتيكم

فيه سكينة من ربكم

الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه
كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية هي رضاض الالواح
وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت
به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله طالوت
وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائل بعده يستفتحون به فلما غيرت
بنوا اسرائل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك
طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت
بين اظهرنا فوضعوا على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان
من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي
وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار **فان قلت**
ما وزن التابوت **قلت** لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون
فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف
اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف يوضع فيه الاشياء
وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما كان يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج
اليه من مودعاته واما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه
بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت
من تاء التانيث وقرأ ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب
وقرئ يحمله بالياء **فان قلت** من ال موسى وال هرون **قلت**

رضاض الشيء فتاته وكساره

تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين

مما ترك

الأنبياء من بني يعقوب بعدهما لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب
فكان أولاد يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما ترك موسى وهرون والآل مقحم
لتفخيم شأنهما فصل عن موضع كذا إذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه
ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل
عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما
والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء
لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا
أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختار ثمانون ألفا وكان
الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا فقال إن الله مبتليكم
بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع
فيه فليس مني فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه
لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي ومن لم يطعمه
ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال
وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا ألا ترى كيف عطف عليه البرد
وهو النوم ونحوه ما ذقت غماضا ونحو من الابتلاء ما ابتلي به أهل أيلة
من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وإنما
عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي وإن كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي
وقرئ بنهر بالسكون فإن قلت مم استثني قوله إلا من اغترف قلت
من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها

قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والدليل عليه
قوله تع فشربوا منه أي فكرعوا فيه إلا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر
وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والأعمش إلا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى
والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا
منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق
لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف كأنه قيل لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف
وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل
قال الذين يظنون يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاء الله وأيقنوه
أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون
في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في لا طاقة لنا للكثير الذين
انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر
بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به
ويروى أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت
شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت
بيضته فيها ثلثمائة رطل وثبت أقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب
من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب كان
إيشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير
يرعى الغنم فأوحي إلى اشمويل أن داود بن إيشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه

من ابيه فجاء وقد مرّ في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوّجه طالوت بنته وروى انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة والنبوة وعلّمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك ولولا دفع الله الناس ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض تلك آيات الله يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله فضلنا بعضهم على بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله تعالى بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد به محمدا صلى الله عليه وسلم

فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت

بعضهم

ولكن الله ذو فضل على العالمين

نتلوها عليك

لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكرياء فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى عليهما السلام من بين الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي اوتي منها ما لم يؤت

وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس

أحدٌ في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين. ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضاً ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الأنبياء ومنهم من كفر لإعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة أنفقوا مما رزقناكم أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون أراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ولم يحج ولأنه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيعٌ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي. وسنان أقصده النعاس فرنقت. في عينه سنة وليس بنائم. أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً ومنه حديث موسى عليه السلام أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلثاً ولا يتركوه ينام

من بعد ما جاءتهم البينات

يا أيها الذين آمنوا

ولا شفاعة

الله لا إله إلا هو

لا تأخذه سنة

له ما في السموات وما في الأرض

ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحديهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لكبرياء شأنه وكبريائه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه يستقل بأن يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلاً عن أن يعاوقه عناداً أو مناصبة أي مخاصمة لا أحد إلا يملك أن يتكلم يوم القيمة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء من علمه من معلوماته إلا بما شاء إلا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى إلى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي أنه خلق كرسياً هو بين يدي العرش دونه السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السماوات والأرض وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة فإن قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا والحلي

الملك

من بعد ما جاءتهم البينات

يا أيها الذين آمنوا

ولا شفاعة

الله لا إله إلا هو

لا تأخذه سنة

له ما في السموات وما في الأرض

أحد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين. ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الأنبياء ومنهم من كفر لإعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة أنفقوا مما رزقناكم أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لأن الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون أراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ولم يحج ولأنه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح أن يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي. وسنان أقصده النعاس فرنقت. في عينه سنة وليس بنائم. أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما ومنه حديث موسى عليه السلام أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلثا ولا يتركوه ينام

الا باذنه

ولا يحيطون بشيء

ملكه

ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحديهما على الأخرى فانكسرتا ثم أوحى إليه قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم يوم القيمة إلا إذا أذن له في الكلام كقوله تع لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والأنبياء من علمه من معلوماته إلا بما شاء إلا بما علم الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات والأرض لبسطته وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود كقوله تع وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وإنما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى إلى قوله تع وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ما روي أنه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السماوات والأرض وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة فإن قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها

فالأولى لبيان قيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية
لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق
وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه
بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره **فإن قلت** لم فضلت هذه الآية
حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار إلا
اهتجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي
علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه
سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد
ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله
وتذاكر الصحابة رضي الله عنهم أفضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه أين
أنتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد
البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب
وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد
البقرة آية الكرسي **قلت** لما فضلت له سورة الإخلاص من اشتمالها على
توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما
كان ذكرا له كان أفضل من سائر الأذكار وبهذا يعلم أن أشرف العلوم وأعلاها
منزلة عند الله علم أهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة أعدائه فإن
العرانين تلقاها محسدة ❊ لا إكراه في الدين أي لم يجر الله أمر الإيمان على

(في الهامش: وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور)

الإجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تع ولو شاء ربك لآمن
من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لو شاء
لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار قد تبين الرشد من
الغي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار
الكفر بالشيطان أو الأصنام والإيمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من
الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها أي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر
والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم
اعتقاده والتيقن به وقيل هو إخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين ثم قال
بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في أهل الكتاب
خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم
بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما
وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الأنصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما
الله ولي الذين آمنوا أي أرادوا أن يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتأييده
من الكفر إلى الإيمان والذين كفروا أي صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك أو
الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له
من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم
من نور البينات التي تظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة ألم تر تعجيب من محاجة
نمروذ في الله وكفره به أن آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين أحدهما حاج

(في الهامش: ويؤمن بالله — من الظلمات الى النور — الطاغوت — من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون — الى الذي حاج ابراهيم في ربه)

لأن آتاه الله الملك على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر والعتو
فحاج لذلك أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على
أن آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لأني أحسنت
إليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان ونحوه قوله تعالى
وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون والثاني حاج وقت أن آتاه الله
الملك فإن قلت كيف جاز أن يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه
قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والأتباع وأما التغليب والتسليط
فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده وإذ قال نصب بحاج أو بدل من أن آتاه
إذا جعل بمعنى الوقت أنا أحيي وأميت يريد أعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض
عتيدا ولكن إبرهيم صلى الله عليه لما سمع جوابه الأحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل
إلى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك ليبهته أول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال
للمجادل من حجة إلى حجة وقرئ فبهت الذي كفر أي فغلب إبرهيم الكافر
وقرأ أبو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر
الأصنام وسجنه نمرود عليه اللعنة ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال له
من ربك الذي تدعو إليه فقال ربي الذي يحيي ويميت أو كالذي معناه أو أرأيت
مثل الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز أن يحمل على
المعنى دون اللفظ كأنه قيل أرأيت كالذي حاج إبرهيم أو كالذي مر على قرية
والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة
الاستبعاد التي هي أنى يحيي وقيل هو عزير أو الخضر أراد أن يعاين إحياء الموتى

ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت

قال

قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

والله لا يهدي القوم الظالمين

ليزداد بصيرة كما طلبه إبرهيم وقوله أنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة
طريقة الإحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه
بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الألوف وهي خاوية على عروشها تفسيره
فيما بعد يوما أو بعض يوم بناء على الظن روي أنه مات ضحى وبعث بعد
مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوما ثم التفت فرأى
بقية من الشمس فقال أو بعض يوم وروي أن طعامه كان تينا وعنبا وشرابه
عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير
والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لأن لامها هاء أو واو
وذلك أن الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمإ المسنون
فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز أن يكون معنى لم يتسنه لم تمر
عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كأنه لم يلبث عليه مائة سنة
وفي قراءة عبد الله فانظر إلى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ أبي لم
يسنه بإدغام التاء في السين وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت
وكان له حمار قد ربطه ويجوز أن يراد وانظر إليه سالما في مكانه كما ربطته
وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ
طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد
الموت وحفظ ما معه وقيل أتى قومه راكب حماره وقال أنا عزير فكذبوه
فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب
فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرإ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك

مر على قرية

قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت

قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك

كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاء بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شئ قدير قال اعلم ان الله على كل شئ قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعنى امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم فان قلت فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا ارني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمانينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال

ولكن اطراف الرماح تصورها وقال

وفرع يصير الجيد وحف كأنه

على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتأملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير

ثم نكسوها لحما

واذ قال ابرهيم رب

كيف تحيي الموتى

قال

قال

او لو

وما صب الاعناق فيهم جبلة

واعلم ان الله عزيز حكيم

اموالهم في سبيل الله

انبتت

في كل سنبلة مائة حبة

للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر **فان قلت** كيف صح هذا التمثيل والممثل غير موجود **قلت** بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير **فان قلت** هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر **قلت** هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم ۞ وان امرء اسدى الي صنيعة ۞ وذكرنيها مرة لبخيل ۞ وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ۞ ومن منع نائله وضن ۞ وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن ۞ والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا **فان قلت** اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم **قلت** الموصول لم يضمن ها هنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة

والله واسع عليم

الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى

عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل او ونيل المغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه كالذي ينفق ماله اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق **فان قلت** كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق **قلت** اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ۞ ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه

يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

ولا يؤمن بالله واليوم الآخر

والله لا يهدي القوم الكافرين

ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله

وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها
في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا
من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها
صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت
فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض
نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة
وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها
وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب
الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها
او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل
وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او
قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة
في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلث
واكلها بضمتين الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار
الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال
الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها محبطة فيتحسر عند
ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد
ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه

والله بما تعملون بصير

احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال
ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر
نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله
له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله
من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان
الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت
كيف قال جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل
والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما
وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات
ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر
قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل
يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل
ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم
ومما اخرجنا لكم من الحب والثمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما
اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض
قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا
الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل
الحال وقرا عبد الله ولا تأمموا وقرا ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء وتيممه وتيممه

يا ايها الذين آمنوا انفقوا

واعلموا ان الله غني حميد

وناتموه سواء في معنى قصدك ولستم بآخذيه وحالكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان
تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض
حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح
لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض وقرأ الزهري تُغمِضوا واغمض
وغمض بمعنى وعنه تغمُضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة
تُغمَضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا
مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه

الشيطان

اي يعدكم في الانفاق
الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفُقر بالضم والفَقَر
بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين
كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور
والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها

منه

وفضلا مما انفقتم او ثوابا عليه في الآخرة

والله واسع عليم

يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به

من يشاء

والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله
الحكمة وهكذا قرأ الاعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير

فقد اوتي

كثير وما يذكر الا اولوا الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث
على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او
في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى
عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم

في المعاصي او لا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم
من الله ويمنعهم من عقابه ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي
فنعم شيئا ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء
وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد
الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه
صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها
افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض افضل لنفي التهمة
حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان
يقتدى به كان اظهاره افضل ونكفر قرئ بالنون عطفا على محل ما بعد الفاء او
على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة
ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر مرفوعا والفعل
لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن بالياء
والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم ليس عليك هداهم
لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق
من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء
يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول
عليهم وما تنفقون وليست نفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم
تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف

خير عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون

هذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاخفاء في ايتاء الزكوة احسن فاما اليوم الناس يسيئون الظن فاظهار الزكوة احسن فاما التطوع فاخفاؤه احسن لانه ادل على انه يراد الله تعالى به وحده يقال اخفيت الشيء اخفيه اخفاء اذا سترته وخفيت الشيء اخفيه خفيا اذا اظهرته واهل المدينة يسمون النباش المختفي قال الشاعر في خفيته بمعنى اظهرته فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد تفسير الزجاج

وأنتم لا تظلمون

اليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن
الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة
فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم
من المشركين وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد
كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وعن بعض العلماء
لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة رضي الله عنه
صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره للفقراء متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا
للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله تعالى في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ
محذوف أي صدقاتكم للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب الصفة
وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر
فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار
وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله فمن كان عندهم فضل أتاهم به إذا أمسى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم

لا يسألون الناس إلحافا
وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم

وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من أمتي على
النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من
التعفف مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه
ورثاثة الحال والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه
من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم

إن الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه أنهم
إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف جميعا كقوله

الذين ينفقون أموالهم

على لاحب لا يهتدي بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به بالليل والنهار سرا

فلهم أجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وعلانية يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة
محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال وقيل نزلت في
أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة
بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي
رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم

الذين يأكلون

سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله وعن أبي
هريرة رضي الله عنه كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الربوا كتب بالواو على لغة
من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون
إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبط الشيطان
من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط الضرب على غير

من المس

استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا
أيضا من زعماتهم وأن الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته
الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات
فإن قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون أي لا يقومون من
المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه
والمعنى أنهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند

اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا فاربا الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض ذلك العقاب بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا

بانهم قالوا

فان قلت هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين قلت جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله تع واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقراء ابي والحسن فمن جاءته يمحق الله الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم

من ربه

والله لا يحب

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير
هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف
ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله قلت كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها فان قلت هذا حكمهم اذا تابوا فما حكمهم اذا لم يتوبوا قلت قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرا عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسرها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا

فان لم تفعلوا

ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافا فبين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله ❊ واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ❊ وقوله تع واقام الصلوة وان تصدقوا خير
لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها
كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون انه
خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف
الصاد على حذف التاء ترجعون قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون
بالياء على طريقة الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن
عباس انها اخر اية نزل بها جبرئيل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام
وقيل ثلاث ساعات اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت
الرجل اذا عاملته بدين معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال
رؤبة ❊ داينت اروى والديون تقضى ❊ فمطلت بعضا وادت بعضا ❊ والمعنى
اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم الى اجل مسمى
واى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين قلت
ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال
فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل
وحال فان قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم ان من حق الاجل
ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس

اوله ان الخليط اجدوا البين فانجردوا

واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

يا ايها الذين امنوا

او رجوع الحاج لم تجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وآمن
من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد
به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وعنه رضي الله عنه اشهد ان الله
اباح السلم المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية بالعدل متعلق
بكاتب صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب
ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه
معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها
دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان
يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل
هو كقوله تع واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
بتعليمها وعن الشعبي رضي الله عنه هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان
يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت
ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب
يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب
فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي
عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته في ذمته
واقراره به والاملاء والاملال لغتان وقد نطق بهما القرآن فهي تملى عليه ولا يبخس
منه من الحق شيئا والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها
محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع

وليكتب بينكم كاتب

يكتب

للتاكيد

وليتق الله ربه

فان كان الذي عليه الحق

بالعدل

ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعيّ به او خرس فليملل وليه الذي يلي
امره من وصي ان كان سفيها او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان
يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره
وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان
على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام
عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح
وابن سيرين وعثمان البتي رحمهم الله انها جائزة ويجوز عند ابي حنيفة شهادة
الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان
رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال
مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون

من الشهداء

عدالتهم ان تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل
الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل
فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار
والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة
الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار
ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت
ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان
يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر
وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد

فينتقم الله منه وقرئ ان تُضَل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر

ولا يأب الشهداء

اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما
يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا
يتبعه منهم احد فنزلت كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث

ولا تسأموا

لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب
لكل دين صغيرا او كبيرا كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه

ان

للدين او للحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون
الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته
الذي اتفق فيه الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر

عند الله

اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة
الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا
التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين
من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم

الا ان تكون

من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فان قلت ما معنى تجارة حاضرة
وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت
اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا
بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم
فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل

بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها

هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة
تجارة حاضرة كقوله: بني اسد هل تعلمون بلاءنا، اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا،
اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا
او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم
هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن
رحمه الله ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة
بقل ولا يضار

على البناء للفاعل

يحتمل البناء على الفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه
ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى

كاتب ولا شهيد

نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة
والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه
من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر

وان تفعلوا

وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا
مما نهيتم عنه

واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم

على سفر مسافرين وقرا ابن عباس وابي كتابا وقال
ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا
ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن فالذي يستوثق
به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان
فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد
رهن رسول الله درعه في غير سفر **قلت** ليس الغرض تجويز الارتهان
في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل

الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق
بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك رضي الله عنهما انهما لم يجوزاه الا في حال
السفر اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك رضي الله عنه
يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن
بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرا ابي فان اومن اي امنه
الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله
فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه
وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة
وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة
بعد الذال او ياء فتقول الذي اؤتمن او الذي ايتمن وعن عاصم انه قرا الذي اتمن بادغام
الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة
عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا اثم قلبه خبر ان وقلبه
رفع باثم على الفاعلية كانه قيل فانه ياثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء
واثم خبر مقدم والجملة خبر ان **فان قلت** هلا اقتصر على قوله فانه اثم
وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب وحده **قلت** كتمان الشهادة

الا ما تقدم

هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد
الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته
عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة
التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن

الإثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام
المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه
واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح
وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان
والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب
فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر
الاشراك بالله لقوله تع فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر
لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء
من استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس
وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن
ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس رضي الله عنهما فقال يغفر الله لابي
عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر
ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب
فان قلت كيف يقرا الجازم **قلت** يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم
الراء في اللام لاحن مخطئ خطاء فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه
يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه

الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا
الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم
كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ومعنى
هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى
بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحب زيدا
عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى
البيان والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في
كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدا كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير
كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه
داخرين وقرا ابن عباس رضي الله عنه وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه
الكتاب اكثر من الكتب **فان قلت** كيف يكون الواحد اكثر من الجمع
قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها
لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع
لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقراء
عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين
ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك
لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون
الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه

ويشق عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا إخبار عن عدله ورحمته
كقوله يريد الله بكم اليسر لأنه كان في إمكان الإنسان وطاقته أن يصلي أكثر
من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة وقرأ ابن أبي عبلة
وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها
ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها **فإن قلت**
لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب **قلت** في الاكتساب اعتمال
فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمارة به كانت في تحصيله
أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت
بما لا دلالة فيه على الاعتمال أي لا تؤاخذنا بالنسيان أو الخطاء إن فرط منا
فإن قلت النسيان والخطاء متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة
بهما **قلت** ذكر النسيان والخطاء والمراد بهما ما هما مسببان عنه من
التفريط والإغفال ألا ترى إلى قوله وما أنسانيه إلا الشيطان والشيطان
لا يقدر على فعل النسيان وإنما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي
منه النسيان ولأنهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم
فرطة إلا على وجه النسيان والخطاء فكان وصفهم بالدعاء بذلك إيذانا ببراءة
ساحتهم عما يؤاخذون به كأنه قيل إن كان النسيان والخطاء مما يؤاخذ به فما
فيهم سبب مؤاخذة إلا الخطاء والنسيان ويجوز أن يدعو الإنسان بما علم أنه
حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الإصر
العبء الذي يأصر حامله أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف

الشاق من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك
وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة أبي ولا تحمل علينا بالتشديد **فإن قلت**
أي فرق بين هذه التشديدة والتي في قوله ولا تحملنا **قلت** هذه للمبالغة
في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد إلى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة
لنا به من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الإعفاء عن التكليفات الشاقة
التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل بهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة
عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير
لقوله لا تحمل علينا إصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي
أمورنا فانصرنا فمن حق المولى أن ينصر عبيده أو فإن ذلك عادتك أو فإن
ذلك من أمورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت
وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه
عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي
قبلي وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده
قبل أن يخلق الخلق بألفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن
قيام الليل **فإن قلت** هل يجوز أن يقال قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة
قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة
البقرة وخواتيم سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز
تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه رمى الجمرة ثم قال

من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا
وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة
لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك
وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان
تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول
واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت
للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في
درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا
ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت
تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان
بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين
قلت لان التقاء الساكنين لا يبالي به في باب الوقف وذلك قولك هذا
ابرهيم وداود واسحاق ولو كان التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك
لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت
انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين

فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة
ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح
الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم
ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت
فما وجه قراءة عمرو بن عبيد رحمه الله بالكسر قلت هذه القراءة على توهم
التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة والتورية والانجيل اسمان اعجميان
وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد
كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل
بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل
التورية والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة
وقرأ الاعمش نزل بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى
وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت
ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين
الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلثة وانزل
ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع
وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن
بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم
الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها
ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم لا يخفى عليه شيء في العالم

تعبّر عنه بالسماء والأرض فهو مطّلع على كفر من كفر وإيمان من
آمن وهو مجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس
تصوّركم أي صوّركم لنفسه ولتعبده كقولك أثّلت مالاً إذا جعلته أثلة
أي أصلاً وتأثّلته إذا أثّلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من
زعم أنّ عيسى كان ربّاً كأنّه نبّه بكونه مصوّراً في الرحم على أنّه عبد كغيره
وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من
الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هنّ أمّ الكتاب أي
أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وتردّ إليها ومثال ذلك لا تدركه الأبصار
إلى ربّها ناظرة لا يأمر بالفحشاء أمرنا مترفيها **فإن قلت** فهلّا كان القرآن
كلّه محكماً **قلت** لو كان كلّه محكماً لتعلّق الناس به لسهولة مأخذه ولأعرضوا عمّا
يحتاجون فيه إلى الفحص والتأمّل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطّلوا
الطريق الذي لا يتوصّل إلى معرفة الله وتوحيده إلّا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحقّ والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء وإتعابهم
القرائح في استخراج معانيه وردّه إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمّة
ونيل الدرجات عند الله ولأنّ المؤمن المعتقد أن لا مناقضة في كلام الله تعالى
ولا اختلاف إذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره وأهمّه طلب ما يوفّق بينه ويجريه
على سنن واحد ففكّر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبيّن مطابقة
المتشابه المحكم ازداد طمأنينة إلى معتقده وقوّة في إيقانه الذين في قلوبهم
زيغ هم أهل البدع فيتّبعون ما تشابه منه فيتعلّقون بالمتشابه الذي يحتمل

ما يذهب إليه المبتدع ممّا لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحقّ
ابتغاء الفتنة طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلّوهم وابتغاء تأويله وطلب
أن يأوّلوه التأويل الذي يشتهونه وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم
أي لا يهتدي إلى تأويله الحقّ الذي يجب أن يحمل عليه إلّا الله وعباده الذين رسخوا
في العلم أي ثبتوا فيه وتمكّنوا وعضّوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلّا الله
ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسّرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه
وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والأوّل هو الوجه ويقولون
كلام مستأنف موضّح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنّا به
أي بالمتشابه كلّ من عند ربّنا أي كلّ واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب
كلّ من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف
كتابه وما يذّكّر إلّا أولوا الألباب مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمّل
ويجوز أن يكون يقولون حالاً من الراسخين وقرأ عبد الله إن تأويله إلّا عند الله
وقرأ أبيّ ويقول الراسخون لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد
إذ هديتنا وأرشدتنا لدينك أو لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا من لدنك
رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء
ورفع القلوب جامع الناس ليوم أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم كقوله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامعٌ الناسَ على الأصل إنّ الله لا يخلف الميعاد
معناه أنّ الإلهيّة تنافي خلف الميعاد كقولك إنّ الجواد لا يخيّب سائله والميعاد
الموعد قرأ عليّ رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجدّ في استثقال الحركة

على حروف اللين من في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى
لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل
الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك
اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم
ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها
والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
هم قريظة والنضير الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع
ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة
كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن
تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار
كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما
كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا
تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم قل للذين
كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما
غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي
بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى
فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر في سوق
بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان
ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت

قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن
الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله تع قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت
اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر
بان تخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى
سيغلبون ويحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ
ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون
قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم
مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او
مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم
اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما
امدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي
قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض
لقوله في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم
حتى اجترءوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل
والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون
وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل

يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين
في قوله فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة
في قوله تع إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة
لأنه قليل بالإضافة إلى عشرة الأضعاف وكان الكافرون ثلثة أمثالهم وقراءة
نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء
أي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل
من فئتين وبالنصب على الاختصاص أو على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني
رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما
أيد أهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس المزين الله سبحانه للابتلاء
كقوله إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم وتدل عليه قراءة مجاهد زين للناس
على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لأنا لا نعلم أحدا أذم
لها من خالقها حب الشهوات جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها
مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات
لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية
وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا في النفوس أن
المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الأجناس فيكون أقوى
لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله
والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار
ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا والمقنطرة مبنية

من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة
من السومة وهي العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها والأنعام
الأزواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستأنف
فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندي رجل
من صفته كيت وكيت ويجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون
به ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من
خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا
وبأحوالهم فلذلك أعد لهم الجنات الذين يقولون نصب على المدح أو رفع ويجوز الجر
صفة للمتقين أو للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحد
منها وقد مر الكلام في ذلك وخص الأسحار لأنهم كانوا يقدمون قيام الليل
فيحسن طلب الحاجة بعده إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا في الدعاء
والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم شهد الله شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله
الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة
الإخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك
إقرار الملائكة وأولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل
فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من إنصاف
بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على أنه حال مؤكدة منه كقوله
وهو الحق مصدقا فإن قلت لم جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوف عليه

ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت** إنما جاز هذا لعدم الإلباس
كما جاز في قوله ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة إن انتصب نافلة حالا عن
يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح **فإن قلت**
أليس من حق المنتصب على المدح أن يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد. إنا
معشر الأنبياء لا نورث. إنا بني نهشل لا ندعي لأب **قلت** قد جاء نكرة
كما جاء معرفة وأنشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي. ويأوي إلى
نسوة عطل. وشعثا مراضيع مثل السعالى **فإن قلت** هل يجوز أن يكون
صفة للمنفي كأنه قيل لا إله قائما بالقسط إلا هو **قلت** لا يبعد فقد رأيناهم
يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف **فإن قلت** قد جعلته حالا من فاعل
شهد فهل يصح أن ينتصب حالا أيضا عن هو في لا إله إلا هو **قلت** نعم لأنها
حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي أن يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها
عاملا فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل إلا عبد الله شجاعا وهو
أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح **فإن قلت** هل دخل
قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة وأولي العلم كما دخلت الوحدانية
قلت نعم إذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفي كأنه
قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا إله إلا هو وأنه قائم بالقسط
وقرأ عبد الله القائم بالقسط على أنه بدل من هو أو خبر مبتدأ محذوف
وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به
ذاته من الوحدانية والعدل يعني أنه العزيز الذي لا يغالبه إله آخر الحكيم

الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله **فإن قلت** ما المراد بأولي العلم الذين
عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته
وعدله **قلت** هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين
القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ أنه بالفتح وإن الدين
بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه وقوله إن
الدين عند الله الإسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى **فإن قلت**
ما فائدة هذا التأكيد **قلت** فائدته أن قوله لا إله إلا هو توحيد وقوله
قائما بالقسط تعديل فإذا أردفه قوله إن الدين عند الله الإسلام فقد آذن
أن الإسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده
في شيء من الدين وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدي إليه كإجازة الرؤية
أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الإسلام
وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على أن الثاني بدل من الأول كأنه
قيل شهد الله أن الدين عند الله الإسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى
فكان بيانا صريحا لأن دين الله هو العدل والتوحيد وقرئ الأول بالكسر
والثاني بالفتح على أن الفعل واقع على أن وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا
شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد فترى القراءات كلها
متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا إله إلا هو وقرأ أبي إن الدين
عند الله للإسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية وقرئ
شهداء لله بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله

الذين يقولون ربنا إلى قوله بالأسحار

فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت
على الضمير في شهد وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله
لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله
الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرنه باثبات الوحدانية اثبات
العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين
ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل الذين
اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام
وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة
فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا تجوير لله بغيا بينهم
اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا
بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون
اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به
بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن
بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام
حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها
واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما
جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل
هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله

فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي
لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان
ديني دين التوحيد وهو الدين القيم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي
وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة
بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما
معنى المحاجة فيه ومن اتبعني عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل
ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب
ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله
لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة
ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا ام
لك ومنه قوله عز وعلا فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر
والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف
لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي
الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ
بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص
الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك

ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم

فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل أولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في الدنيا والآخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة **فان قلت** لم دخلت الفاء في خبر ان **قلت** لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهي التوراة ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلما اليها

اولئك الذين حبطت اعمالهم ... وما لهم من ناصرين

الم تر الى الذين

فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك

جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي
من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء
النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان
بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته
ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك
فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون
خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان
الى رسول الله يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق
اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي
منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين
كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان
تبرزوا فنزلت **فان قلت** كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر
قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته
الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعاديك ولان كل افعال
الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك ونزعه

ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي
والميت في اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان
من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير
حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه
العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم
عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى
قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة
بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها
ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض في الله
باب عظيم واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين
مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في
شيء ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه
منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه
متنافيان قال — تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية
قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم
اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة

والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز أن يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة أو تقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه من ولاية الكفار وغيرها مما لا يرضي الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها أن تحذر وتتقى فلا يجسر أحد على قبيح ولا يقصر عن واجب فإن ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الاطلاع على أحواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن أموره لأخذ حذره وتيقظ في أمره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بالك من علم أن العالم الذات الذي يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم إنا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيمة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا ويجوز أن ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود **فإن قلت**

تود لو أن بينها وبينه أي بين النفس وبين ما عملت من سوء من الكشف

فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت **قلت** لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز أن يعطف وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا أي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم أو عمل السوء محضرا كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والأمد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد يعني أن تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لأنهم إذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك إلى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن رحمه الله من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ويجوز أن يراد أنه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم محبة العباد لله مجاز عن إرادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده أن يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى إن كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه وإذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في أنه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته إلا لأنه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله

بجمله ودعا دبه ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها ولربما رأيت المني قد
ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا أردانهم بالدموع لما
رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم من حبه يحبه قال احب ابا ثروان من
حب تمره • واعلم ان الرفق بالجار ارفق • والله لولا تمره ما حببته • ولا كان
ادنى من عبيد ومشرق • فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان
تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم آل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران
موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين
العمرانين الف وثمانمئة سنة وذرية بدل من آل ابرهيم وآل عمران بعضها من بعض
يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون
من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب
ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود
بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تع المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض
والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع
عليم لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة عمران هي
امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وسلامه وهي حنة
بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر
يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر
بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك

ان هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون
قلت كفى بكفالة زكرياء دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكرياء
بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكرياء بنته
ايشاع اخت مريم وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة روي انها كانت
عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له
فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني
ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم
وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه
ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم
كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل
وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت
الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير لما في بطني
وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تأويل الحبلة او
النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها
وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث
لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك
لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل الحبلة او
النسمة فهو ظاهر كأنه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى فان قلت
فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت قالته تحسرا

على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو
وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة وللتكلمها بذلك على وجه التحسر
والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما
وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور
وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت
وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنهما والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك
لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره وقرئ وضعت
بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها
فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى **قلت** هو بيان لما في قوله والله
اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى
التي وهبت لها واللام فيهما للعهد **فان قلت** علام عطف قوله واني سميتها
مريم **قلت** هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى
وانه لقسم لو تعلمون عظيم **فان قلت** فلم ذكرت تسميتها مريم لربها **قلت**
لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعه
طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من
مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان
اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع
الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان

في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا
من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا
ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي • لما تؤذن الدنيا به من صروفها •
يكون بكاء الطفل ساعة يولد • واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا
ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا من نخسه
فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون
القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط ويلد وهو اختصاصه لها
باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها
عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت
المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم
وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا
وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء
ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على حذف المضاف بمعنى
فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون
معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه
وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي
• وخير الامر ما استقبلت منه • وليس بان تتبعه اتباعا • ومنه المثل

خذ الأمر بقوة بلة اي فأخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا
حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها
زكرياء بوزن وعملها وكفّلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب زكرياء والفعل
لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وتؤيدها قراءة ابي
واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ
الامر في الافعال الثلثة ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل
زكريا كافلا لها قيل بنى لها زكرياء عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة
تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع
من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل
عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها
ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف
وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق
الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت
هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها
رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن
الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها
صلى الله عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل

ثم جمع رسول الله علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه
حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها والله يرزق
من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل
بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل
بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب
او في ذلك الوقت فقد تستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم
في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد
اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت
اختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر
ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه قرئ فناداه
الملائكة وقيل ناداه جبرئيل وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل
ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع
من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء
من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة
كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة
من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه
لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا
بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
والسيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه

الجميع

وفا ئقا للناس كلهم نبي انه لم يرتكب سيئة قط وياً لها من سيادة والحصور
الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا
يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل • وشارب مربح بالكأس نادمني
لا بالحصور ولا فيها بسوار • فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي
انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه للعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين
ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين
كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة
كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر
في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون
كذلك اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد
بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر اي على نحو هذه الصفة
الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات
آية علامة اعرف بها الحبل لا تلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر
على تكليم الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن
القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال
واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس
وهي من الآيات الباهرة **فان قلت** لم حبس لسانه عن كلام الناس **قلت**
ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة
الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر

قيل

قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا
من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك
يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا
بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم
وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله • متى ما تلقني فردين ترجف • روانف اليتيك
وتستطارا • بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم
والعشي من حين نزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى
وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين
فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه **قلت** لما ادى
مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم
روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام وارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام
اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك
مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا على نساء العالمين
بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر
القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين
بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين
وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان
يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين
ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم

وعيسى يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي **فإن قلت** لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الأنباء من حفاظها وهو موهوم **قلت** كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم أقلامهم أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها إذ يختصمون في شأنها تنافسا في التكفل بها **فإن قلت** أيهم يكفل بم يتعلق **قلت** بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم كأنه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون المسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء **فإن قلت** إذ قالت بم يتعلق **قلت** هو بدل من وإذ قالت الملئكة ويجوز أن يبدل من إذ يختصمون على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا **فإن قلت** لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم **قلت** لأن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات فأعلمت بنسبته إليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين **فإن قلت** لم ذكر ضمير الكلمة **قلت** لأن المسمى بها مذكر **فإن قلت** لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم وهذه

وهذه ثلثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة **قلت** الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكأنه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه إلى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء ومن بدع التفاسير أن قولها رب نداء لجبرئيل بمعنى يا سيدي ونعلمه عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء **فإن قلت** علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله أني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها **قلت** هو من المضايق وفيه وجهان أحدهما أن يضمر له وأرسلت على إرادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني أن الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بأني قد جئتكم وناطقا بأني أصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول عطفا على كلمة أني قد جئتكم أصله أرسلت بأني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل وأني أخلق نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو

رفع على هي أني أخلق لكم وقرئ إني بالكسر على الاستئناف أي أقدر لكم شيئا
مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير
فيكون طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها قال
• كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما • وقيل لم يخلق غير الخفاش الأكمه الذي ولد أعمى
وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة
السدوسي صاحب التفسير وروي أنه ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من
أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده وكرر
بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي أنه أحيى سام بن نوح وهم
ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا
وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ولأحل رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم
بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أيضا أي جئتكم بآية
وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل
والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل أحل لهم من السمك والطير ما لا
صيصية له واختلفوا في إحلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل
وهو ما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى صلى الله عليه لأن ذكر التوراة دل عليه
ولأنه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة
على صحة رسالتي وهي قولي إن الله ربي وربكم لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول
لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض
فإن قلت كيف جعل هذا القول آية من ربه قلت لأن الله تعالى جعله

له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في أدلة العقل
والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم
بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء
بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ
عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون
فيما أدعوكم إليه ثم ابتدأ فقال إن الله ربي وربكم ومعنى من فتح ولأن الله
ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى
وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما أحس فلما علم منهم
الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس وإلى الله من صلة أنصاري
مضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله وينصرونني
كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أي من أنصاري ذاهبا إلى الله
ملتجئا إليه نحن أنصار الله أي أنصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته
وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال
• فقل للحواريات يبكين غيرنا • ولا يبكنا إلا الكلاب النوابح • وفي وزنه
الحوالي وهو الكثير الحيلة وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيدا لإيمانهم
لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الأنبياء
الذين يشهدون لأممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع أمة
محمد لأنهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم
الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله أن رفع عيسى إلى السماء

والقي شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم
كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير
الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من
ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم
ورافعك الي الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء
جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي
على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك
الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت
نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون
لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه
من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير الحكم قوله تعالى فاعذبهم فنوفيهم اجورهم
وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتداء
خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف ويجوز ان يكون
ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر
يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو بسببه او كانه ينطق
بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم
وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب
ولم يكن ثمه اب ولا ام فكذلك عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير

اب ووجد آدم بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه
دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه
شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان
الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب
بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه
وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له
قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى
احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص
قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من
طين ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال
ماضية الحق من ربك خبر مبتداء محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس
ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات
والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما
جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم
كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع كل مني ومنكم ابناءه
ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب
منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من
قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في
كل دعاء تجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى

نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله
لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم
والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان
ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فاتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي
خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى
وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على
وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك
على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين
وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن
نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة
الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال
والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر
ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء
الحسين فادخله ثم جاء فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت **فان قلت** ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن
خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء **قلت**

ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته
وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب
خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال ان تمت المباهلة وخص
الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه
وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحروب
لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر
على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس
مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان
واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم
اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبا عيسى لهو القصص الحق قرئ بتحريك
الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد
وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان
فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل **قلت** اذا جاز دخولها على الخبر
كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدا منه واصلها ان تدخل على المبتدا
ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى
الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم
بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
قيل هم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا
وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير

الكلمة قوله أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لأن كل
واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من
غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال
نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت
لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى
استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم
الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب
للمغلوب في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة
ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث
توليتم عن الحق بعد ظهوره زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم
كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت
بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة
وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده
بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم
هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبر وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة
الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم

ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون

فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا
ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها انتم هو أأنتم على الاستفهام فقلبت
الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم
صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم
وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود
والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به
واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي
خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه
اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابراهيم ودت طائفة هم اليهود
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود
وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون
على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بآيات الله بالتوراة والانجيل
وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله وغيرها وشهادتهم
اعترافهم بانها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق وقرئ
تلبسون بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق
مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وجه
النهار اوله قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به في آخره

اول
فلا اب وابنا مثل مروان وابنه

لعلهم يشكّون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الّا لامرٍ قد تبيّن
لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال
بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار
وقولوا انّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا
كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شكّ اصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن
القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم
من الصلوة الى الكعبة وصلّوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلّوا الى الصخرة
لعلهم يقولون هم اعلم منّا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى
احدٌ وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم الّا لاهل
دينكم دون غيرهم ارادوا اسرّوا تصديقكم بانّ المسلمين قد اوتوا من كتب الله
مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الّا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا
ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى
والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين
يحاجونكم يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض
قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد
ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيّكم تصديقكم
عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية
والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الّا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان
الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الّا لمن تبع دينكم الّا لمن كانوا تابعين لدينكم

ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان
اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبّرتموه
لا لشيء آخر يعني انّ ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم من فضل
العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير ءان يؤتى
احدٌ بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألان يؤتى احدٌ فان قلت
فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبّرتم ما دبّرتم لان يؤتى احدٌ
مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان
يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احدٌ خبر انّ على معنى قل انّ هدى الله
ان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم
بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ إن يؤتى احدٌ على إن النافية وهو متصل
بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الّا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احدٌ مثل ما
اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب
ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الّا لمن تبع دينكم كانه قيل قل انّ الهدى
هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احدٌ مثل ما اوتيتم لانّ قولهم ولا تؤمنوا الّا لمن تبع دينكم
انكار لان يؤتى احدٌ مثل ما اوتوا عن ابن عباس من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله
ابن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان
تأمنه بدينار فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه
وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل
اليهود لغلبة الخيانة عليهم الّا ما دمت عليه قائما الّا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق

قائما على رأسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة
البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها
وقرأ يحيى بن وثاب تيمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك
اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم
ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون
الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا
على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة
وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق
حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي
الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال
انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال
نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل
انهم اذا ادوا الجزية لم تحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه
من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده
جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع
الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة
والغدر فان الله يحبه **فان قلت** هذا عام يتخيل انه لو وفى اهل الكتاب

قال الازهري هما لغتان دمت ادوم ودمت ادام مثل خفت اخاف

بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله **قلت** اجل لانهم اذا وفوا
بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم
من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه
في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى
على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان
وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء **فان قلت**
فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من **قلت** عموم المتقين قام مقام رجوع
الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب
ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم
والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو
ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا
التوراة وبدلوا صفة رسول الله واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت
جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل
تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم
فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا
فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي
نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل
خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك

أو يمينه فقلت إذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالاً هو فيها
فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق
فحلف لقد أعطي بها ما لم يعطه والوجه نزولها في أهل الكتاب وقوله بعهد الله
يقوي رجوع الضمير في بعهده إلى الله ولا ينظر إليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط
عليهم تقول فلان لا ينظر إلى فلان تريد نفي اعتداده به وإحسانه إليه ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم فإن قلت أي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن
لا يجوز عليه قلت أصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لأن من اعتد بالإنسان
التفت إليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان
وإن لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرداً لمعنى الإحسان
مجازاً عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر لفريقاً هم كعب بن الأشرف ومالك
بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها
بقراءته عن الصحيح إلى المحرف وقرأ أهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله لوّوا
رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه أنهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم
خففوها بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها فإن قلت إلام يرجع الضمير
في لتحسبوه قلت إلى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز
أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب
وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون
هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب
ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورّون وإنما يصرحون بأنه في التوراة هكذا

وقد أنزله الله على موسى كذلك لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من
الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف
غيّروا التوراة وكتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة رسول الله ثم أخذت قريظة ما كتبوا
فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى
وقيل إن أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله أتريد
أن نعبدك ونتخذك رباً فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بغير
عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله
نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من
دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله والحكم والحكمة وهي السنة
ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف
والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن
محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الأمة وعن
الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني
العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب
أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة
وكفى به دليلاً على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة
إلى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها
وقرئ تعلّمون من التعليم وتعلمون من التعلم تدرسون تقرؤون وقرئ تدرّسون
من التدريس وتدرسون على أن أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم وأنزل ونزّل

وتدرسون من التدرس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم تثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته قرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في لا يأمركم وايأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايأمركم للانكار بعد اذ انتم مسلمون دليل ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان يسجدوا له ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل

على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب واللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي آمركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم رسول لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان ما معكم في معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لمّا بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصارت لمّا ومعناه

لانه لابد من الضمير الراجع الى الموصول ق

لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري عهدي
وقرئ أصري بالضم وسمي إصرا لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه
الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعبر وعبر وأن
يكون جمع إصار فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار وأنا على ذلكم
من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من
الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة
فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون أي المتمردون
من الكفار دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى
فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز
أن يعطف على محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول
الذي هو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث أن الإنكار الذي هو معنى
الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل وروي أن أهل الكتاب اختصموا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين إبرهيم عليه السلام وكل واحد
من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين
بريء من دين إبرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت
وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة أبي عمرو لأن الباغين
هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا
بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه وكرها بالسيف أو بمعاينة ما يلجئ
إلى الإسلام كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء

على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال
بمعنى طائعين ومكرهين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخبر عن
نفسه وعمن معه بالإيمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز أن
يؤمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالا من الله لقدر نبيه عليه السلام
فإن قلت لم عدي أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من
مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق
وينتهي إلى الرسل فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر ومن قال إنما قيل علينا
لقوله قل وإلينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لأن الرسول يأتيه
الوحي على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف ألا ترى إلى قوله
بما أنزل إليك وأنزلنا إليك الكتاب وإلى قوله آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا
ونحن له مسلمون موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها
ثم قال ومن يبتغ غير الإسلام يعني التوحيد وإسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه
من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن
يبتغ غير الإسلام بالإدغام كيف يهدي الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من أهل
اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بأنهم كفروا بعد إيمانهم
وبعد ما شهدوا بأن الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر
المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم
بعد أن كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة إيمانهم من
البينات وقيل نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا

بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الأسلت والحارث بن سويد بن الصامت

فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او ودخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة وتاب وقبل رسول الله توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن او كفروا برسول الله بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت

لم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل قلت قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كني عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت

وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان
يراد فلن يقبل من احدهم ملاء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى
به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من احدهم ملاء الارض ذهبا على البناء
للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملاء ومل الرض بتخفيف الهمزتين لن
تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا
بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم
التي تحبونها وتؤثرونها كقوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف
اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال
يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها يا رسول الله حيث اراك
الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى
ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه
وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها
رسول الله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان
اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر
الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت
مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير
ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها
فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في

حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في
مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن في من شيء لتبيين ما تنفقوا
اي من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شيء
تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع الطعام
والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا
وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى
في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجميع قال تعالى لاهن حل لهم
والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها
وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه اكل
الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطباء
باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها
لم تزل حلا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها
لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك الطعام غير المطعوم الواحد الذي
حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب
لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله تعالى عذابا اليما وفي قوله تعالى
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
الى قوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا
مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول

مَنْ حُرِّمَتْ عليه وَمَا هُوَ الا تحريمٌ قديمٌ كانت محرَّمةً على نوح عليه السلام وعلى
ابرهيم صلوات الله عليه وَمَنْ بعده من بني اسرائيل وهلمّ جرّا الى ان انتهى التحريم
الينا فحُرِّمَتْ علينا كما حُرِّمَتْ على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم
بالبغي والظلم والصدّ عن سبيل الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما
عدّد من مساويهم التي كلّما ارتكبوا منها كبيرة حُرِّمَ عليهم نوعٌ من الطيّبات
عقوبةً لهم قُلْ فَأْتُوا بالتوراة فاتلوها امر بأن يحاجّهم بكتابهم ويبكّتهم بما هو
ناطقٌ به من ان تحريم ما حرّم عليهم تحريمٌ حادثٌ بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريمٌ
قديمٌ كما يدّعونه فروي انّهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا
صاغرين وفي ذلك الحجّة البيّنة على صدق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعلى جواز
النسخ الذي ينكرونه فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ بزعمه انّ ذلك كان محرّمًا
على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما لزمهم من الحجّة القاطعة فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البيّنات
قُلْ صَدَقَ اللهُ تعريضٌ بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون
اي ثبت انّ الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وهي ملّة الاسلام التي عليها محمّدٌ ومن آمن معه حتّى تتخلّصوا من اليهوديّة التي
ورّطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرّتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية
اغراضكم والزمتكم تحريم الطيّبات التي احلّها الله لابرهيم ولمن تبعه وُضِعَ
للناس صفةٌ لبيتٍ والواضع هو الله عزّ وجلّ تدلّ عليه قراءة من قرأ وَضَعَ
للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انّه جعله متعبّدا لهم

فكانه قال انّ اوّل متعبّدٍ للناس الكعبة وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
انّه سئل عن اوّل مسجدٍ وُضِعَ للناس فقال المسجد الحرام ثمّ بيت المقدس وسئل
كم بينهما قال اربعون سنةً وعن عليّ رضي الله عنه انّ رجلا قال له أهو اوّل
بيتٍ قال لا قد كان قبله بيوتٌ ولكنّه اوّل بيتٍ وُضِعَ للناس مباركا فيه الهدى
والرحمة والبركة واوّل من بناه ابرهيم ثمّ بناه قومٌ من العرب من جرهم
ثمّ هُدِمَ فبنته العمالقة ثمّ هُدِمَ فبناه قريشٌ وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما
هو اوّل بيتٍ حُجَّ بعد الطوفان وقيل هو اوّل بيتٍ ظهر على وجه الماء عند
خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عامٍ وكان زبدةً بيضاء على الماء فدُحِيَت
الارض تحته وقيل هو اوّل بيتٍ بناه آدم في الارض وقيل لمّا
اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عامٍ
وكان في موضعه قبل آدم بيتٌ يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة
تطوف به ملائكة السموات لَلَّذِي بِبَكَّةَ للبيت الذي ببكّة وهي علمٌ للبلد الحرام
ومكّة وبكّة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضعٍ بالدهناء ونحوه
من الاعتقاب امرٌ راتبٌ وراتمٌ وحمّى مغمطة ومغبطة وقيل مكّة
البلد وبكّة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكّه اذا زحمه لازدحام
الناس فيها وعن قتادة يبكّ الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلّي بعضهم
بين يدي بعضٍ لا يصلح ذلك الّا بمكّة كانّها سمّيت ببكّة وهي الزحمة قال
اذا الشريب اخذته الاكّة فخلّه حتّى يبكّ بكّه وقيل تبكّ اعناق
الجبابرة اي تدقّها لم يقصدها جبّارٌ الّا قصمه الله مُبَارَكًا كثير الخير لما يحصل لمن

الاعتقاب الميم والباء
اغبطت عليه الحمّى دامت ق

[illegible] [illegible] [illegible] اذا
استدخن ومكث [illegible]
[illegible] [illegible] بقول [illegible]
ان يورد ابله الحوض حتّى تبارك عليه [illegible]
[illegible] كذا في الجمهرة ق

يحجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه
على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في
الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم
عطف بيان لقوله آيات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد
قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه
وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد
كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة
الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية
وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابرهيم خاصة وحفظه
مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان
يراد فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع
كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوي ذكر غيرهما دلالة
على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير
سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من
العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر
المدني في رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم
واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن
عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية

واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا
دل على امن داخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى
انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية
بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه
قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة
قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة
فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته
على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه
الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا
معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة
ابرهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم
لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته
حتى يخرج وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى
فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى
يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات
في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ
باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال
يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر

يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار
تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام من استطاع بدل من الناس وروي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن
عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه أكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر
القوة ومذهب مالك أن الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة
وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له
ولا زاد وعن الضحاك إذا قدر أن يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك
فقال إن كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا
فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت أو للحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيل
اليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت
يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته
ومنها انه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من
التأكيد أحدهما أن الإبدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الإيضاح بعد
الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله تع
ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال عليه السلام من
مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة
متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط
والخذلان ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه

ببرهان لأنه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولأنه يدل على الاستغناء
الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت
في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي أنه لما نزل قوله ولله على الناس
حج البيت جمع رسول الله أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا
فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي
اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا
فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل
أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل أن تنبت
في البادية شجرة لا تأكل منها دابة إلا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس
الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر والله شهيد الواو للحال والمعنى
لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال أن الله شهيد على أعمالكم
فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته قرأ الحسن تصدون
من أصده عن سبيل الله عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام
وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم
وقيل أتت اليهود الأوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من العداوات
والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة
فإن قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان أحدهما أنكم
تلبسون على الناس حتى توهموهم أن فيها عوجا بقولكم أن شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم
صفة رسول الله عن وجهها ونحو ذلك والثاني أنكم تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق

وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم وأنتم شهداء
أنها سبيل الله التي لا يصد عنها إلا ضال مضل أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول
يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم أمورهم وهم الأحبار وما الله بغافل
وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال قيل مر شأس بن قيس اليهودي وكان
عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الأنصار
من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا
بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار
فأمر شابا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما
قيل فيه من الأشعار وكان يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه
للأوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال
أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به
عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد
من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فما كان يوم أقبح أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون
معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجيب والمعنى من أين يتطرق إليكم الكفر
والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة
طرية وفيكم بين أظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه ويجوز أن يكون حثا لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار

ومكايدهم فقد هدي فقد حصل لهم الهدى لا محالة كما تقول إذا جئت فلانا
فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد
ظاهر لأن المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح
عنده حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب
المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا
من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر
ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم
ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته
حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه
ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به
على لقاء العدو لا تأتني إلا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الإتيان ولكنك
تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان قولهم اعتصمت
بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي
من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده
والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا
على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه أو واجتمعوا على التمسك بعهده
إلى عباده وهو الإيمان والطاعة أو بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق
ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا

عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين
في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه أو ولا تحدثوا ما يكون
عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها مما يأبى جامعكم
والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالإسلام كانوا في الجاهلية بينهم
الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام
وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخوانا متراحمين متناصحين
مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الأخوة في الله وقيل
هم الأوس والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن أطفأ الله ذلك بالإسلام وألف بينهم برسول
الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على أن تقعوا في نار جهنم لما
كنتم عليه من الكفر فأنقذكم منها بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو
للشفا وإنما أنث لإضافته إلى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة
من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامها واو إلا أنها
في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة
فإن قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما
كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار
بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله
لكم آياته لعلكم تهتدون إرادة أن تزدادوا هدى ولتكن منكم أمة من
للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولأنه

لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف
يباشر فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه
وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين
في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا أو على من الإنكار عليه
عبث كالإنكار على أصحاب المآصر والجلادين وأضرابهم وقيل من للتبيين
بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هم الأخصاء بالفلاح دون
غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل وهو على المنبر من خير الناس
فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم وعنه
عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى (عن المنكر) فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله
وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة رضي الله عنه
يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا
عند إخوانه فاعلم أنه مداهن والأمر بالمعروف تابع للمأمور به إن كان واجبا
فواجب وإن كان ندبا فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع
المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فإن قلت ما طريق الوجوب قلت
قد اختلف فيه الشيخان فعند أبي علي السمع والعقل وعند أبي هاشم السمع
وحده فإن قلت ما شرائط النهي قلت أن يعلم الناهي أن ما ينكره

قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان
الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه
ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث
فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع المعصية
نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه
ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار قلت
يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى
فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر قلت كل مسلم تمكن منه
واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار
لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى
لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف
وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات
حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب
المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره
واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا
بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل
فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف
ولا ينهى عن منكر فان قلت كيف قيل يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص
ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود
والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة
وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والحشوية
والمجبرة واشباههم يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم او باضمار
اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد
والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض
اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه
وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده
واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله
وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله اكفرتم فيقال لهم اكفرتم والهمزة
للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان
تكذيبهم برسول الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين
والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل
اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله عنه هم الخوارج ولما رآهم على درج
دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء
وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء تقوله
برأيك ام شيء سمعته من رسول الله قال بل سمعته من رسول الله غير مرة
قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا

ولا تكونوا كالذين تفرقوا اي بالعداوة واختلفوا اي في الديانة فلم يكن تكرارا وهم اليهود والنصارى اختلفوا فقالت اليهود الدين الحق هو اليهودية وقالت النصارى بل هو النصرانية واختلفوا في الانبياء ايضا فكذبت اليهود عيسى ومحمدا وكذبت النصارى محمدا وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقوله تعالى من بعد ما جاءهم البينات اي الحجج على حقية الاسلام وعلى بطلان قولهم وذلك في القرآن وفي التوراة وفي الانجيل ايضا من التيسير

ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال إن بأرضك منهم لكثيرا فأعاذك الله
منهم وقيل هم جميع الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم
على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد
فإن قلت كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت
موقع الاستيناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة
بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ
أحدا بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما
وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لأحد من خلقه فسبحان عمن يصفه
بإرادة القبائح والرضا بها كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل
الإبهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى
وكان الله غفورا ومنه قوله تع كنتم خير أمة كأنه قيل وجدتم خير أمة وقيل
كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين
به أخرجت أظهرت وقوله تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول
زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الإيمان
بكل ما يجب الإيمان به إيمانا بالله لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول
أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه فكأنه
غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك
سبيلا أولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن أهل الكتاب

مع إيمانهم بالله لكان خيرا لهم لكان الإيمان خيرا لهم مما هم عليه لأنهم آثروا دينهم
على دين الإسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة
والأتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله مع الفوز بما وعدوه
على الإيمان من إيتاء الأجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم
الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا أذى إلا ضررا مقتصرا على أذى
بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين
ولا يضروكم بقتل أو أسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون
منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم
وتهديدهم بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالي به
مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل
فإن قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن
حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت
فأي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت لو جزم لكان نفي النصر
مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا
كأنه قال ثم شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية
أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم
لهم أمر وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
فإن قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء
كأنه قيل أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون

فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار
بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت
ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان
على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر
فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل
النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء
من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم
بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة
وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباؤا بغضب من الله استوجبوه وضربت
عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها
وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوآء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال
ذلك بما عصوا اي ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر
وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق
بالكفر ونحوه مما خطاياهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس
بالباطل الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين وقوله من
اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تامرون
بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت
العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن

في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم
وقيل اعني صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه
اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله
هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع
صفتان لامة اي امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود
من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان
لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان
باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير
راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع
في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة
الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز ان يريد
بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور
حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى
مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها
قلت ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه
وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين
بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى الصر الريح الباردة نحو الصرصر

قال لا تعدلن أتاويين تضربهم • نكباء صر بأصحاب المحلات • كما قالت
ليلى الأخيلية • ولم يغلب الخصم الألد ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر •
فإن قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه أوجه أحدها
أن الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر
كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني أن يكون الصر مصدرا في الأصل بمعنى البرد
فجيء به على أصله والثالث أن يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة ومن قولك إن ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل • قال وفي
الرحمن للضعفاء كاف شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر
وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي
حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به إلى الله مع كفرهم
وقيل ما أنفقوا في عداوة رسول الله فضاع عنهم لأنهم لم يبلغوا بإنفاقه ما
أنفقوه لأجله وشبه بحرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلك عقوبة لهم على معاصيهم
لأن الإهلاك عن سخط أشد وأبلغ فإن قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة
جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل
ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب مر في تفسير قوله تعالى
كمثل الذي استوقد نارا ويجوز أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو
مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير
للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم
حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم أي وما

ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز أن يراد ولكنه
أنفسهم يظلمون على إسقاط ضمير الشأن لأنه إنما يجوز في الشعر بطانة الرجل
ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة
الثوب كما يقال فلان شعاري • وعن النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار شعار
والناس دثار من دونكم من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا
وببطانة على الوصف أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا
يقال ألا في الأمر يألو إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولك لا آلوك
نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال
الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على أن ما مصدرية والعنت شدة الضرر
والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم
أشد الضرر وأبلغه قد بدت البغضاء من أفواههم لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم
أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة
قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك
وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص
في الدين وموالاة أولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه إن كنتم تعقلون ما بين لكم
فعملتم به فإن قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز أن يكون لا يألونكم
صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كأنه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية
بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ أن تكون مستأنفات كلها

على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء
موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا
يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم
تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم
اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحارث
بن ظالم المري • فاقتلا اقواما لئاما اذلة • يعضون من غيظ رؤس الاباهم •
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة
الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل
والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين
من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في
جملة المقول او خارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت
اذا كان داخلا في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا
اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور
فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد
ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو اخفى من ذلك وهو ما اضمروه
في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا

بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله
ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك
الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان
ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير
ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت الحسنة
بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى
واحدا الا ترى الى قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من
موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم
محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره
يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى
المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان
على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من
يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم
فمعاقبهم عليه واذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة
رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها

ما استشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج
إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا
منه فكيف وأنت فينا دعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال
في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال
بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم وقال
عليه السلام إني قد رأيت في منامي بقرًا مذبحة حولي فأولتها خيرًا ورأيت
في ذباب سيفي ثلمًا فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها
المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين
قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم
يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا
نشير على رسول الله والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال
لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة
وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف
أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرًا خارجًا قال تأخر
وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمّر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم
وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف
وقد اتسع في قعد وقام حتى أجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام
في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل أن تقوم من مقامك

من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم إذ همت
بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان حيان من الأنصار بنو سلمة
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف وقيل في تسعمائة وخمسين
والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبد الله بن أبي
بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم
الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم
قتالًا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله
وعن ابن عباس رضي الله عنه أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من
بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه
كما قال عمرو بن الإطنابة • أقول لها إذا جشأت وجاشت • مكانك تحمدي
أو تستريحي • حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي
في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة ولو كانت عزيمة
لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز أن يراد والله ناصرهما
ومتولي أمرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله فإن قلت ما معنى
ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به
وقد أخبرنا الله بأنه ولينا قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل
لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة
غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببًا لنزولها والفشل الجبن

والحول وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما
يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة
والأذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم
كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب
وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر على البعير الواحد وما كان معهم إلا
فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرتها
ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة
والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون
بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى
تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول ظرف لنصركم
على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقوله لهم يوم أحد
فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة **قلت**
قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث
خالفوا أمر رسول الله فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت
وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا
بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة
وإنما جيء بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة
عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى إيجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم

الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال إن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر
من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا
من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان
ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رضي الله عنه الأمر على الفور لا على
التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت
به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره
كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم
ربكم بالملائكة في حال إتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم
إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزّلين بالتشديد ومنزِلين بكسر الزاء بمعنى
منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلَمين ومعلِمين أنفسهم
أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك
معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة
أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير
كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة
قد تسومت وما جعله الله الهاء لأن يمددكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة
إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت
السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا
من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة

ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على
قلوب المجاهدين العزيز لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه
لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم
بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من
رؤساء قريش وصناديدهم او يكبتهم او تخزيهم ويغيظهم بالهزيمة
فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده
بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لا كبت حاسدا واري عدوا
هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر او بقوله
وما النصر الا من عند الله او يتوب عطف على ما قبله وليس لك من الامر شيء
اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب
عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء
انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب
باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر او على شيء اي ليس لك
من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او
التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني
حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او
يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو

نيل
ذو يدك ايها الملك الجليل
تمادوعدك ما تنيل
وجودك بالمقام ولو قليلا
فما نجود به قليل

يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت
وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن
يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء
ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب
اليه ويعذب لمن لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم
فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن
اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط
عشواء ويطيبون نفوسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنه من قولهم
يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تأكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه
كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف
مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رضي الله عنه
يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة
للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق
رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل في
هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله
وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا
ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة
رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه في مصاحف اهل المدينة والشام

سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبي وعبد الله وسا
ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما تستحقان به عرضها السموات
والأرض كقوله عرضها كعرض السماء والأرض والمراد وصفها بالسعة والبسطة
فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في العادة
أدنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من إستبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه
كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض في السراء والضراء في حال
الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بأن ينفقوا في كلتا الحالتين
ما قدروا عليه من قليل أو كثير كما يحكى عن بعض السلف أنه ربما تصدق
ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها أنها تصدقت بحبة عنب أو في جميع الأحوال
لأنها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا تمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء
من المعروف وسواء عليهم كان الواجد منهم في عرس أو في حبس فإنه لا يدع
الإحسان وافتتح بذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص
ولأنه كان في ذلك الوقت أعظم الأعمال للحاجة إليه في مجاهدة العدو ومواساة
فقراء المسلمين كظم القربة إذا ملأها وشد فاها وكظم البعير إذا لم يجتر
ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه
أمنا وإيمانا وعن عائشة رضي الله عنها أن خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى
ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه
وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم

إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل وخلاه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد
كانوا كثيرا في الأمم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز أن تكون اللام للجنس
فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وأن تكون للعهد فتكون
إشارة إلى هؤلاء والذين عطف على المتقين أي أعدت للمتقين وللتائبين
وقوله أولئك إشارة إلى الفريقين ويجوز أن يكون والذين مبتدأ خبره أولئك
فاحشة فعلة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم أو أذنبوا أي ذنب كان مما
يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة
وغيرها وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله
تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية
والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن
يغفر الذنوب إلا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب
من الذنب كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه وأن
عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى
ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط
للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن
عفوه أجل وكرمه أعظم والمعنى أنه وحده معه مصححات المغفرة وهذه
جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح
فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر

وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع
الإصرار وهم يعلمون حال من فعل الإصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى
وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها
لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا
على ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين دون
المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال أجر العاملين بعد قوله
جزاؤهم لأنهما في معنى واحد وإنما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على أن ذلك
جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي أن الله عز
وجل أوحى إلى موسى ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف أجود برحمتي
على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق
وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة
برحمتي واقتسموها بأعمالكم وعن رابعة البصرية أنها كانت تنشد ترجو
النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص
بالمدح محذوف تقديره ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت
من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الأمم المكذبين من وقايعه كقوله تع
وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا
سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه
من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون

من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيها
للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز
أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يستحق به
ما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص وبين
من أمر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله تع
لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا
عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا
تحزنوا على من قتل منكم وجرح وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب
لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون
شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر
ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة
أي وأنتم الأعلون في العاقبة وإن جندنا لهم الغالبون إن كنتم مؤمنين
متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب
قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي
إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة قرئ قرح
بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح
كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر
ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى

كذا قال ابن دريد

انْ لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل
كان ذلك يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان تخالفوا امر رسول الله **فان قلت**
فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين **قلت** بل
كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله
وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما
اريكم ما تحبون وتلك الايام تلك مبتدأ والايام صفته ونداولها خبره ويجوز
ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد
بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء
وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما
نساء ويوما نسر وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد
الجبل يوم احد فمكث ساعة ثم قال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين
ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا عمر
فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه
لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا
اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاودة وقال يرد المياه فلا يزال متداولا
في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم
الله الذين آمنوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز
الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى
فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت

والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم
علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون
العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت
وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة ليست بواحدة ليسليهم عما جرى
عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر ان لله
في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناسا منكم بالشهادة
يريد المستشهدين يوم احد وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة
بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا
يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من
هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله المحصين من الذنوب والتمحيص
التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين
فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين
فلمحقهم ومحو آثارهم ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يعلم الله بمعنى
ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف
بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما
بمعنى لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه
فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما ~~يفعل كذا~~ تريد ولم يفعله
وانا اتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة
ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع

كعوّلك لا تاكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث
عن ابي عمرو ويعلم بالرفع على ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون
ولقد كنتم تمنون الموت خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا فكانوا يتمنون ان يحضروا
مشهدا مع رسول الله ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين
الحّوا على رسول الله في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم
تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه
وانتم تنظرون اى رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من
اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا
له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده **فان قلت**
كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم **قلت** قصد متمني الشهادة
الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كما ان من يشرب
دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله ان فيه
جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة
رضي الله عنه حين نهض الى مؤتة وقيل له ردكم الله لكنني اسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ
الاحشاء والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثي ارشدك الله من غاز وقد
رشدا لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله بحجر فكسر رباعيته وشج
وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر
ويوم احد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه رسول الله فقال قد قتلت محمدا وصرخ

صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في
الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله يدعو الى عباد الله حتى
انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله
فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين
فنزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله
بن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان
نبيا ما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر عم انس
بن مالك رضي الله عنهما يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت
وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على
ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما
جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه
مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال
ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت
من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد
خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول
تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افان مات الفاء
معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا
خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم
ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد
صلى الله عليه وسلم

لا للانقلاب عنه **فإن قلت** لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل **قلت**
لكونه مجوزا عند المخاطبين **فإن قلت** أما علموه من ناحية قوله والله
يعصمك من الناس **قلت** هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ألا يرى
أنهم سمعوا الخبر قتله فهربوا على أنه يحتمل العصمة من فتنة الناس وإضلالهم
والانقلاب على الأعقاب الإدبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم
به من أمر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم
إلا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان
منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله وإسلامه فلن يضر الله شيئا يعني
فما ضر إلا نفسه لأن الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله
الشاكرين الذين لم ينقلبوا كأنس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لأنهم
شكروا نعمة الله ونعمة الإسلام فيما فعلوا المعنى أن موت الأنفس محال
إلا بمشيئة الله فأخرجه مخرج فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه إلا أن يأذن
له الله فيه تمثيلا ولأن ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له أن يقبض نفسا إلا بإذن
من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو بإعلامهم
أن الحذر لا ينفع وأن أحدا لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خوض المهالك واقتحم
المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه
وإسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل كتابا مصدر
مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم
ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد

نؤته منها أي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله
فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما قرئ قاتل وقتل
وقتل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه
بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الأول وعن
سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال الربيون الربانيون وقرئ
بالحركات الثلث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب وقرئ
فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده
وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الإرجاف
بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين
أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان
وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب والإسراف إلى أنفسهم
مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما
على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم إلى
ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب إلى الاستجابة فآتاهم الله ثواب
الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن
دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله
يريد الآخرة إن تطيعوا الذين كفروا قال علي رضي الله عنه نزلت في قول
المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن
إن تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لأنهم كانوا يستغوونهم ويوقعون

لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبياً حقاً لما غلب ولما اصابه ما اصابهم
وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوماً له ويوماً عليه وعن السدي ان تستكينوا
لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع
الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم
وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون
معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله مولاكم سنلقي قرئ
بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين
الرعب يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل
ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئاً قتلنا منهم ثم تركناهم
ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم
فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم
اشراكهم به ما لم ينزل به سلطاناً آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت
كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك
حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد
نفي الحجة ونزولها جميعاً كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده
وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس
من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله

جعل احداً خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا
في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل
الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم تحسونهم اي تقتلونهم قتلاً ذريعاً حتى اذا فشلتم والفشل الجبن
وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا
وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير
امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة
ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة
وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبوراً وكانت صبا
حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم
على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم
على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل
عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم
لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين متعلق حتى اذا
قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى
صدقكم وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله
ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه
يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة
وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون

في الوادي وقرأ أبو حيوة إذ تصعّدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعّد
في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون
ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول إليّ عباد الله إليّ عباد الله
أنا رسول الله من يكرّ فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي
المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم
بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله
غمّا حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غمّ أذقتموه رسول الله بعصيانكم له
أو غمّا مضاعفا غمّا بعد غمّ وغمّا متصلا بغمّ من الاغتمام بما أرجف به من قتل
رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا
لتتمرّنوا على تجرّع الغموم وتضرّوا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت
من المنافع ولا على مصيب من المضارّ ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول
أي فآساكم في الاغتمام وكما غمّكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجّة وغيرهما
غمّه ما نزل بكم فأثابكم غمّا بغمّ اغتمّه لاجلكم بسبب غمّ اغتممتموه لاجله ولم يثرّبكم
على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسلّيكم وينفّس عنكم لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من نصر الله البيّن ولا على ما أصابكم من غلبة العدو وأنزل الله الأمن
على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم عن أبي طلحة
غشينا النعاس ونحن في مصافّنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط
فيأخذه وما أحد إلا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع

قول معتّب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما
قتلنا هاهنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرّة من
الأمن ونعاسا بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا منه
مقدّمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز
أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبارّ وبررة
يغشى قرئ بالياء والتاء ردّا على النعاس أو على الأمنة طائفة منكم هم أهل
الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمّتهم أنفسهم ما بهم إلا همّ أنفسهم
لا همّ الدين ولا همّ رسول الله والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حلّ بهم
في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباثّ غير الحق في حكم المصدر ومعناه
يظنّون بالله غير الظنّ الحقّ الذي يجب أن يظنّ به وظنّ الجاهلية بدل منه
ويجوز أن يكون المعنى يظنّون بالله ظنّ الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنّون
كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظنّ الجاهلية كقولك
حاتم الجود ورجل صدق تريد الظنّ المختصّ بالملّة الجاهلية ويجوز أن يراد
ظنّ أهل الجاهلية أي لا يظنّ مثل ذلك الظنّ إلا أهل الشرك الجاهلون بالله
يقولون لرسول الله يسألونه هل لنا من الأمر من شيء معناه معاشر المسلمين
من أمر الله نصيب قطّ يعنون النصر والإظهار على العدو قل إن الأمر كله لله
ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي وإنّ
جندنا لهم الغالبون يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون فيما
يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون

هل لنا

على النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله
لو كان لنا من الامر شيء اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله
ولاوليائه وانهم هم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه
المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله انه يقتل ويصرع في هذه المصارع
وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم
الذين علم الله انهم يقتلون الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون
والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم هم
الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين
كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم
على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير
من شيء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد
وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا
من التدبير شيئا لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله
عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم
لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء
للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين
من الاخلاص وليمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح
جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة
قلت قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم

انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون
فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسألة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن قلت
كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون
وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون
والاجود ان يكون استئنافا استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما
كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في
توليهم انهم اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية
القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي وانما دعاهم
اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر
الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة
وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه
فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها
فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت
لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله
عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا
لاخوانهم لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى في قوله
عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة

فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية
كقوله حين يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا
اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم
عدوا وحزنا او لا تكونوا يعني لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده
ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى
اسناد الفعل الى الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل عند اعتقادهم
ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة
فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عز وعلا
كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك
اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة
في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر
الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء
والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا المغفرة
جواب القسم وهو ساد مساد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين
اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين
عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه
من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت

في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس
خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله
تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع
اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس
بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما مزيدة
للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق
والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا
امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من
حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر يعني في امر الحرب
ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم
والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد
ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا
لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب
رسول الله وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم
فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم
وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الرأي على شيء بعد
الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك

لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم الله يوم بدر فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل عليه والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية ويقال اغل الجازر اذا سرق شيئا من اللحم مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله عليه السلام هدايا الولاة غلول وعنه عليه السلام ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه عليه السلام لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح ان يوجد غالا وما يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا

يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان تكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه عليه السلام بعث طلايع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلايع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل الجازر يأت بما غل يوم القيمة يعني يأت بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه فان قلت هلا قيل ثم يوفى ما كسبت ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي فموفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعة

مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه
هم درجات اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصب للمنية تعتريهم
رجالي او هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين
منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم
باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله
من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا
مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان
كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه
عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى
تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك
وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضي الله عنها من انفسهم اي من
اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف
ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد
صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد
حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم
وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه
وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا
محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ
عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان

ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة
او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى
لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية
لم يسمعوا شيئا من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر
ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث وقيل ويأخذ منهم الزكوة
ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم
من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة
من المثقلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره وان الشأن والحديث
كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم
يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين
ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين
اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام
عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم
الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ
كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا لقوله من عند انفسكم وقوله من عند الله
والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم
المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم
ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة
ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمعكم وجمع المشركين فهو كائن

بإذن الله أي بتخليته استعار الإذن لتخليته الكفار وأنه لم يمنعهم منهم ليبتليهم
لأن الإذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون
والمنافقون وليظهر إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة
عطف على نافقوا وإنما لم يقل فقالوا لأنه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين
لهم إلى القتال كأنه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز أن تقتصر الصلة
على نافقوا ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة
كما يقاتل المؤمنون وبين أن يقاتلوا إن لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن أنفسهم وأهليهم
وأموالهم فأبوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك
ما روي أن عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل أو ادفعوا
العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو
ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري
ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك
قال لقوله أو ادفعوا أراد أكثر سوادهم ووجه آخر وهو أن يكون معنى قولهم
لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطاء
رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء بالأنفس
إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة في المدينة وما كان يستصوب الخروج
هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون
بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين
وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر

وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المسلمين
بالانخزال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم لا يتجاوز إيمانهم أفواههم ومخارج
الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير لنفاقهم
وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة
قلوبهم لأفواههم والله أعلم بما يكتمون من النفاق وما يجري بعضهم مع بعض من ذم
المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك
علما مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في
إعرابه أوجه أن يكون نصبا على الذم أو على الرد على الذين نافقوا أو رفعا على هم الذين
نافقوا أو على الإبدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بأفواههم
أو قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم بدلا من الضمير لإخوانهم لأجل إخوانهم
من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد أو إخوانهم في النسب وفي سكنى الدار وقعدوا
أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من القعود وو افقونا
فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن أنفسكم الموت معناه قل إن كنتم صادقين
في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت
سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إن دفعتم القتل الذي هو أحد
أسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق
بكم بعضها وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فإن قلت
فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا القتل عن أنفسهم بالقعود فما معنى قوله إن كنتم
صادقين قلت معناه أن النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن

القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله تع فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء فالمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذو وزلفى كقوله فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من

خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ان لا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثله في قوله تعالى وعد

الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول
قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك
لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان
الناس قد جمعوا لكم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما
كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله
الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا
فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا
يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج
محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي اتوكم
في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد
جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب
من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم
فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو
لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل
وقيل هي الكلمة التي قالها ابرهيم صلوات الله عليه حين القي في النار
حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا
خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة

جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون
المثبطون والاخرون ابو سفيان واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان
كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال
فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه
حين قال ذلك لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح
كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان قلت الام رجع المستكن في فزادهم
قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قال كقولك
من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت
كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت لما لم يسمعوا قوله واخلصوا
عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك
اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان
خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من
جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما
قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه
الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه انه كان
يأخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه رضي الله عنه لو وزن
ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا
يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل عليه انه بمعنى المحسب انك تقول

هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لأن إضافته لكونه بمعنى اسم الفاعل غير
حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول إليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر
بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة
كقوله تع ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا
ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجرأتهم وخروجهم والله
ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف
عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروي أنهم
قالوا هل يكون هذا غزوا فأعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم الشيطان خبر
ذلكم بمعنى إنما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف أولياءه جملة مستأنفة
بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر والمراد
بالشيطان نعيم أو أبو سفيان ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى إنما ذلكم قول الشيطان أي قول إبليس لعنه الله يخوف أولياءه يخوفكم
أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس وابن
مسعود يخوفكم أولياءه وقوله ولا تخافوهم وقيل يخوف أولياءه
القاعدين عن الخروج مع رسول الله فإن قلت فإلام رجع الضمير في فلا
تخافوهم على هذا التفسير قلت إلى الناس في قوله إن الناس قد جمعوا
فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافوني فجاهدوا مع رسولي
وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن
تؤثروا خوف الله على خوف الناس قال تعالى ولا يخشون أحدا إلا الله يسارعون

في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا
من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الإسلام فإن قلت فما معنى
قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد
قلت معناه لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك ألا ترى إلى
قوله إنهم لن يضروا الله شيئا يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير
أنفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود الوبال عليهم بقوله
يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب
عذاب عظيم وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه فإن قلت هلا قيل لا
يجعل الله لهم حظا في الآخرة وأي فائدة في ذكر الإرادة قلت فائدته
الإشعار بأن الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف
قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه
حتى إن أرحم الراحمين مريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله
إما أن يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم بما أضاف إليهم وإما
أن يكون عاما للكفار والأول خاصا فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن
الإسلام أو على العكس وشيئا نصب على المصدر لأن المعنى شيئا من الضرر وبعض
الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وأنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل منه
أي ولا تحسبن أنما نملي للكافرين خير لهم وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين
كقوله تع أم تحسب أن أكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن أن
إملاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في

ولهم عذاب أليم — بمعنى تحسبن — ولا تحسبن — موصولة كذا في نسخة المصنف — غير موصولة في نسخة المصنف — أنما

الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت
كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان
على مفعول واحد قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه
في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك
على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير
لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم
تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء
وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم
من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة
دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل الجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون
الاملاء خيرا فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون
ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل
علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد
مخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد
الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة
للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله
المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه
على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا تحسبن

بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون
وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض
بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا
انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب
مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم
وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين اللام
لتاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين والمنافقين حتى
يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفي
رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم
قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر
المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف
مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه
واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله
ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل
واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها
وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا
وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في قلبه الاخلاص فيعلم الرسول ذلك من
جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم
مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي

لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد
وإنفاق الأموال في سبيل الله فجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم
حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على
ذات الصدور والاطلاع عليها فإن ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع
أحدا على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله
بأن تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وأن تنزلوهم منازلهم
بأن تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون إلا ما علمهم الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم
الله من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون إن كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا تحسبن من قرأ بالتاء
قدر مضافا فحذفوا أي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من
قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ومن جعل فاعله
الذين يبخلون كان المفعول الأول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين
يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل
وقرأ الأعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم أي سيلزمون وبال
ما بخلوا به إلزام الطوق وفي أمثالهم تقلدها طوق الحمامة إذا جاء بهنة يسب بها
ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيامة
تنهشه من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك وعن النبي
صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة يطوق بشجاع أقرع وروي بشجاع أسود

وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والأرض وله ما فيهما
مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله
ونحوه قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما يعملون بالياء
والتاء فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والياء على الظاهر
قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فلا يخلو إما أن يقولوه عن اعتقاد لذلك أو عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان
فالكلمة عظيمة لا تصدر إلا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له أنه لم
يخف عليه وأنه أعد له كفاءه من العذاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة
أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فإن قلت كيف قال
لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود
السماع أولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا
أبدا إثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الأنبياء وجعل قتلهم الأنبياء قرينة
له إيذانا بأنهما في العظم أخوان وبأن هذا ليس بأول ما ركبوه من العظائم وأنهم
أصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه
الاجتراء على مثل هذا القول وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتب مع أبي بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام
وإلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص
اليهودي إن الله فقير حين سأل القرض فلطمه أبو بكر رضي الله عنه في
وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجحد ما قاله فنزلت ونحو قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا وننتقم
منهم بأن نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما أذقتم المسلمين الغصص
يقال للمنتقم منه أحس وذق وقال أبو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق
وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والأعرج
سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا ذلك إشارة إلى
ما تقدم من عقابهم وذكر الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بهن فجعل
كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب فإن قلت فلم عطف قوله تعالى وأن
الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت أيديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد
شريكا لاجترامهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام
للعبيد أنه عادل عليهم ومن العدل أن يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن عهد
إلينا أمرنا في التوراة وأوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة
وهو أن يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان أنبياء بني إسرائيل
تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله
وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان لم يوجب الإيمان
للرسول الآتي به إلا لكونه آية ومعجزة فهو إذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز
أن يعينه الله من بين الآيات وقد ألزمهم الله أن أنبياءهم جاءوهم بالبينات
الكثيرة التي أوجبت عليهم التصديق وجاءوهم أيضا بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم
إن كانوا صادقين أن الإيمان يلزمهم بإتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره
السلطان فإن قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه ومعنى الذي

قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله تعالى ثم يعودون لما قالوا
أي لمعنى ما قالوا في مصاحف أهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير
التوراة والزبور والإنجيل وهذه تسلية لرسول الله من تكذيب قومه وتكذيب
اليهود قرأ اليزيدي ذائقة الموت على الأصل وقرأ الأعمش ذائقة الموت
بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله إلا قليلا فإن قلت كيف اتصل
به قوله تعالى وإنما توفون أجوركم قلت اتصاله به على أن كلكم تموتون لا
بد لكم من الموت ولا توفون أجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم
وإنما توفونها يوم قيامكم من القبور فإن قلت فهذا يوهم نفي ما يروى أن القبر
روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل
هذا الوهم لأن المعنى أن توفية الأجور وتكميلها تكون ذلك اليوم وما يكون
قبل ذلك فبعض الأجور الزحزحة والتنحية والإبعاد تكرير الزح وهو الجذب
بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية
للفوز وراء النجاة من سخط الله تعالى والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم
المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الآخر ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه وهذا شامل للمحافظة
على حقوق الله وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام
ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس
الغرور وعن سعيد بن جبير إنما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة

بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما
سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون
لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه
والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب
وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من
اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن
وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله وتحريض المشركين ومن فنحاص
ومن بني قريظة والنضير فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك
عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله واذكر وقت
اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان
الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن
فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب
عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا
الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية
مما لا دليل ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال

لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم
كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان
يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ ليبيننه
ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا
الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله واحد المفعولين
الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا
تحسبنهم فائزين وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا
يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو
بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول
الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة وفلا يحسبنهم تأكيد ومعنى
بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده
مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا
بمعنى اعطوا وعن علي رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة
منه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة
فكتموا الحق واخبروا بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا
بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا يحسبن
اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان يحمدوا بما لم
يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون

بما اوتوا او توه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت الرسول
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابرهيم عليه السلام حيث ادعوا
ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو
مع رسول الله فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا
اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان
للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان
الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من ياتي
بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد
وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم وهو على كل شيء قدير
فهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر
حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار
ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار
املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة
مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر
وعن ابن عمر رضي الله عنه قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي
فدخل تحت لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي الليلة
في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني احب قربك واحب هواك قد اذنت لك
فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا

من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه
وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه
بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا
ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات
والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه
ولم يتامل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام
من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي
ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبدها
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك
قال ما اذكر فقالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت
فما اتيت الا من ذلك يذكرون الله ذكرا دائبا على اي حال كانوا من قيام
وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن
الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال
بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله
على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة
فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم
تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي رحمه الله

اضطجاع

في اضطجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة رضي الله عنه انه
يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على
ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات
والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر
فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء
سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه
الى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته
وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر
الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله
اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل
الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات
وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم
مثل عمل اهل الارض قالوا انما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب
لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا
باطلا على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين
والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان
تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب
معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع

فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق
كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منهما ويجوز
ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت
هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه
من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه
وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك
ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار
واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها تقول سمعت
رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع
لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف
او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت
فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم
مقيدا بالايمان تفخيما لشأن المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان
ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب
الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية
بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي الطريق
ويهدي لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام
فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا

وندبه له واليه وناداه له واليه ونحو هداه للطريق واليه وذلك ان
معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول
ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا
او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيآتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في جملتهم والابرار جمع برّ او بارّ كربّ وارباب وصاحب واصحاب
على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى
ما وعدتنا على تصديق رسلك الاتراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو
الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما
منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك قال تعالى
ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء
فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد **قلت** معناه
طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى الله
تعالى والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام يستغفرون مع علمهم انهم
مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذي هو
سيماء العبودية فاستجاب له واستجابه بمعنى كقوله فلم يستجبه عند ذاك
مجيب اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول
وقرئ لا اضيّع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي
يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله
او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه

جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين
وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا
يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم
له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة
عن اوطانهم فارين الى الله تعالى بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج
من ديارهم التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في
سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين
واستشهدوا وقرئ وقتّلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف
والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا
على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند
الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم وعنده مثل اي يختص به
وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد
يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله تعالى
كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام
بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر
على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا
يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق
رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى مما يخاف
واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا

ثم أخبر أنه استجاب لهم إلا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا
بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لكل أحد أي لا تنظر إلى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك
العاجل وإصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الأرض
وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم أهل مكة
وقيل هم اليهود وروي أن ناسا من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب
والرخاء ولين العيش فيقولون إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من
الجوع والجهد فإن قلت كيف جاز أن يغتر رسول الله بذلك حتى ينهى عن الاغترار
به قلت فيه وجهان أحدهما أن مدره القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم
خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزام
كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين
وهذا في النهي نظير قوله في الأمر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا
وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب
منزلة المسبب لأن التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ
لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي ذلك متاع قليل
وهو التقلب في البلاد أراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب
ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو أراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل
قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل

أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لأنفسهم
النزل والنزل ما يقام للنازل قال أبو الشعر الضبي وكنا
إذا الجبار بالجيش ضافنا ۞ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ۞ وانتصابه إما
على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى
مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير
الدائم خير للأبرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب
والأعمش نزلا بالسكون وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد
وإن من أهل الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة
أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وقيل في
أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه
لما مات نعاه جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم فخرج إلى البقيع ونظر إلى
أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون
انظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت
لام الابتداء على اسم إن لفصل الظرف بينهما كقوله تع وإن منكم لمن ليبطئن
وما أنزل إليكم من القرآن وما أنزل إليهم من الكتابين خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن لأن من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم

اي ما تختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم

مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء

فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد انما توعدون لآت

قريب بعد ذكر الموعد اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله

في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا

والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا

لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين

مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل

صيام شهر وقيامه ولا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة ۞ عن النبي

صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر

جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة

صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس ۞ والله اعلم بالصواب ۞

تم تفسير فاتحة الكتاب والزهراوين بحمد الله تعالى

من كتاب الكشاف والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا

وباطنا وهو بكل شيء عليم واليه يرجع الامر كله

في عاشر محرم الحرام شهور سنة ست وتسعين وسبعمائة

وفرغ من قراءته العبد الضعيف كاتبه حسن بن يوسف

لطف الله بهما على الشيخ العلامة مولانا وسيدنا

سيف الملة والدين الكيدافي المدرس يومئذ

في خانقاه المرحوم ... ومدرسة السلطان

الملك الظاهر ابي سعيد برقوق

نصره الله تعالى ورضي عن الشيخ

... والده يوم الاربعا

بعد الظهر التاسع

والعشرين من

جمادى الاولى

سنة ... كاتبه

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ يا ايها الناس يا بني

آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم فان قلت

علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على

محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف

لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب

وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث

فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم

ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى

خلقكم من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا

كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم

الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف

كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكر موجبا للتقوى وداعيا اليها

قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء

ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه

ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم

من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق

بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم

صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه

وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتداء محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراآيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر • فاذهب فما بك والايام من عجب • والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل

إذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال تع ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه وسئل ابن عيينة رضي الله عنه عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تع واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم وانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات **فان قلت** كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى **قلت** فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم

فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار
فان قلت فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم قلت اما ان يراد باليتامى
الصغار وبإيتائهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء
وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة
واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر
كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم
عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى
والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما
بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها
العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه
فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره
يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ثبت الاجر ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر
فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم
وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه او لا تستبدلوا
الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها ح
والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار
قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل اراد

وبالايتاء الاموال

ويا لوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا ويأخذ جيدا
وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل
الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا
اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق
حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه
وبين الحلال فان قلت قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم
فلم ورد النهي عن اكله معها قلت لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال
اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ
والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر
لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلم ان طلاق ام ايوب لحوب
فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرا الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب
حوبا وقرئ حابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد
ولما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء
ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم
وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم
بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من
تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله ~~لان من تحرج من ذنب او تاب عنه~~
~~وهو مرتكب مثله~~ فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب

في ق أعظم

ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايائم ويتايم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تع او ما ملكت ايمانهم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال من ما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا **فان قلت** الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة

ت
طاب

ولو افردت لم يكن له معنى **فان قلت** فلم جاء العطف بالواو دون او **قلت** كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان ياخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرا ابرهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت عنهن ام لم تعزل وقرا ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا الا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه

قال الزجاج في معاني القرآن واما من قال الا تعولوا الا يكثر عيالكم فزعم جميع اهل اللغة ان هذا خطاء لان الواحدة يعولها واباحة كل ما ملكت اليمين ازيد في العيال من اربع ق

انه فسر ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم

كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما

يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام

العلم وايمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف

تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في

اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام

الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا

ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت

كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهاير قلت ليس كذلك لان الغرض

بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن

فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة

الى تزوج الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه

القراءة تعضد قول الشافعي رحمه الله من حيث المعنى الذي قصده صدقاتهن مهورهن

وفي حديث شريح قضى ابن عباس رضي الله عنهما لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد

وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة

بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة

كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه

نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية

وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء

صدقاتهن نحلة اي اعطوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات

اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله تعالى عطية من عنده وتفضلا منه

عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اي يدين به

والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات

اي دينا من الله شرعة وفريضة والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا

ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون

تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه

قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم بخير

من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن

رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او

يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن

لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله تعالى فاصدق واكن من الصالحين لانه في الاصل اصدق مجزوما فلما جاء

بالفعل نصبه واكن على اصل اصدق ولان الفاء عارض كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها

لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق

وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة

اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد

الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي رحمه الله ان رجلا اتى مع امراته

الى شريح في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال

الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت

فيه وعنه اقبلها فيما وهبت ولا اقبله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط
اعطته امرأته الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى
عبد الملك بن مروان فقال الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين
الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب
الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع
فذلك لها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه
الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طايعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان
ولا يواخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء
مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة
فكلوه سائغا هنيئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما
بان المراعي تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عنها بعثا لهن على تقليل
الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها
ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى
الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق
كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ
الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل
والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام
من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف

للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد
يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدر
كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة السفهاء
المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها
والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به
الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم
جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها
قيامكم وانتعاشكم وروي قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر
لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك ما لا يحاسبني
الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها
لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا فقال لئن
ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان
اذا احتاج احدكم كان اول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلا في جنازة فقالوا له
اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها
وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل
هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امرأة
يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة

خديعة

عن شيء منه
ولم يقل فان طبن لكم

لا تنغيص

وتوري

لا يبتذل لي بالتردد اليهم والدخول عليهم وطلب ما في ايديهم

إن صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وإن
غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا
الله وإياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من
قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى
واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تيقنتم
منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح
ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس
الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند
أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أن يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى تستبين حاله
فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما
الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي رحمهما الله الابتلاء أن
تتبع احواله وتصرفه في الأخذ والاعطاء وتبصر مخايله وميله الى الدين
والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فإن قلت فإن لم
يونس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند أبي حنيفة رضي الله عنه
ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة
فإن زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام
مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه رحمهم الله
لا يدفع اليه ماله ابدا الا بايناس الرشد فإن قلت ما معنى تنكير الرشد
قلت معناه نوعا من الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة

من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فإن قلت كيف نظم هذا الكلام
قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي
تقع بعدها الجمل كالتي في قوله ❊ فما زالت القتلى تمج دماءها ❊ بدجلة حتى ماء دجلة أشكل ❊
والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط
بلغوا النكاح وقوله تع فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط
وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو بلغوا النكاح فكأنه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد وقرأ ابن
مسعود رضي الله عنه فإن احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس
وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم
او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان
يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا
وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله
من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا
في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ
الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال أفأضربه فقال مما كنت ضاربا
منه ولدك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله
قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب

غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف
ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة
ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير
فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول
عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد رضي الله عنه يستسلف فاذا ايسر ادى وعن
سعيد بن جبير رضي الله عنه ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره
من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي في مال الله منزلة والي اليتيم
ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت
واستعفف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم
تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد
وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق
مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم وعند مالك والشافعي رحمهما الله
لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى
التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة
عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب الاقربون
هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل مما ترك
بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثروا به ويجوز ان ينتصب انتصاب

في الصحاح التقزم والتقرم الاكل الضعيف

يعين

ولا يستأثرون به

المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس
بن ثابت الانصاري ترك امرأته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون
النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز
الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت
اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال
اوس شيئا فان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت
يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر
القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك
الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون
ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم
الله تعالى تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد
ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهم
قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا
هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآية الميراث كالوصية
وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها
مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا رحمكم الله
خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا
يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي رحمهما الله ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات

والمساكين واليتامى من العين يعنيان الذهب والفضة فاذا قسم الورق والذهب
وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا
يقولون لهم بورك فيكم لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا
بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم
لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا
على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع
وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله
شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد
المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان
يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى
والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضايعين محتاجين هل
كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة **فان قلت** ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه
صلة للذين **قلت** معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا
خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم
وكاسبهم كما قال القائل • لقد زاد الحياة الي حبا • بناتي انهن من الضعاف
احاذر ان يرين البوس بعدي • وان يشربن رنقا بعد صاف • وقرئ ضعفاء
وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا
اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني
ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك

فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك
اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم
يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث
ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظلما ظالمين او على وجه
الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه
وفي بعض بطنه قال • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ومعنى يأكلون نارا يأكلون
ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة
والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان
يأكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها
سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم
في شأن ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر **قلت**
ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين
قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى
وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره
عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل
كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع
ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به **فان قلت** فان حظ الانثيين الثلثان
فكأنه قيل للذكر الثلثان **قلت** اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع

الذكر والأنثيان كان له سهمان كما أن لهما سهمين وأمّا في حال الانفراد فالابن
يأخذ المال كله والبنتان تأخذان الثلثين والدليل على أن الغرض حكم الاجتماع
أنه أتبعه حكم الانفراد وهو قوله تعالى فإن كنّ نساءً فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك
والمعنى للذكر منهم أي من أولادكم فحذف الراجع إليهم لأنه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم
فإن كنّ نساءً أي فإن كانت البنات أو المولودات نساءً خلّصًا ليس معهنّ رجل يعني
بنات ليس معهنّ ابن فوق اثنتين يجوز أن يكون خبرًا ثانيًا لكان وأن يكون صفة لنساءٍ
أي نساءً زائدات على اثنتين وإن كانت واحدة وإن كانت البنت أو المولودة منفردة
فذّة ليس معها أخرى فلها النصف وقرئ واحدةٌ بالرفع على كان التامّة والقراءة
بالنصب أوفق لقوله تعالى فإن كنّ نساءً وقرأ زيد بن ثابت النُّصف بالضم والضمير
في ترك للميت لأن الآية لمّا كانت في الميراث علم أن التارك هو الميت فإن قلت
قوله للذكر مثل حظ الأنثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الأولاد لا لبيان حظ الأنثيين
فكيف صحّ أن يردف قوله فإن كنّ نساءً وهو لبيان حظ الإناث قلت وإن
كان مسوقًا لبيان حظ الذكر إلا أنه لمّا فقه منه وتبيّن حظ الأنثيين
مع أخيهما كان كأنه مسوق للأمرين جميعًا فلذلك صحّ أن يقال فإن كنّ نساءً فإن قلت
هل يصحّ أن يكون الضميران في كنّ وكانت مبهمين ويكون نساءً وواحدة تفسيرًا لها على
أن كان تامّة قلت لا أبعد ذلك فإن قلت لم قيل فإن كنّ نساءً ولم يقل
فإن كانت امرأة قلت لأن الغرض ثمّة خلوصهنّ إناثًا لا ذكر فيهنّ ليمتاز بين ما
ذكر من اجتماعهنّ مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الأنثيين وبين انفرادهنّ وأريد هنا
أن يميّز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فإن قلت

قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال
الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر
قلت أمّا حكمهما فمختلف فيه فابن عباس رضي الله عنهما أبى تنزيلهما منزلة
الجماعة لقوله تعالى فإن كنّ نساءً فوق اثنتين فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر
مكشوف وأمّا سائر الصحابة رضي الله عنهم فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلّل
به قولهم أن قوله تعالى للذكر مثل حظ الأنثيين قد دلّ على أن حكم الأنثيين حكم الذكر
وذلك أن الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين فلمّا
ذكر ما دلّ على حكم الأنثيين قيل فإن كنّ نساءً فوق اثنتين فلهنّ ثلثا ما ترك على معنى
فإن كنّ جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهنّ ما للأنثيين وهو الثلثان لا يتجاوزنه
لكثرتهنّ ليعلم أن حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل إن البنتين أمسّ
رحمًا بالميت من الأختين فأوجبوا لهما ما أوجب الله للأختين ولم يروا أن يقصروا
بهما عن حظ من هو أبعد رحمًا منهما وقيل إن البنت لمّا وجب لها مع أخيها الثلث
كان أحرى أن يجب لها الثلث إذا كانت مع أخت مثلها ويكون لأختها معها مثل
ما كان يجب لها أيضًا مع أخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولأبويه
الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل
أنه لو قيل ولأبويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه
السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فإن قلت
فهلّا قيل ولكل واحد من أبويه السدس وأيّ فائدة في ذكر الأبوين أوّلًا ثم في
الإبدال منهما قلت لأن في الإبدال والتفصيل بعد الإجمال تأكيدًا وتشديدًا

فإنّا ما ذكر عن ابن عباس أن البنتين بمنزلة البنت فلا أحسب هذا عن ابن عباس صحيحًا وهو يحيل في القياس لأن منزلة الاثنين منزلة الجمع والواحد ... عن الاثنين
ح الزجاج

التسوية

كالذي تراه في الجمع بين المفسَّر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لأبويه
والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدْس بالتخفيف
وكذلك الثلْث والربْع والثمْن والولد يقع على الذكر والأنثى ويختلف حكم الأب
في ذلك فإن كان ذكرا اقتصر بالأب على السدس وإن كان أنثى عصب مع إعطاء
السدس فإن قلت قد بيّن حكم الأبوين في الإرث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا
قيل فإن لم يكن له ولد فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه قلت معناه فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فحسب فلأمه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد
منهما السدس مما ترك لأنه إذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين كان للأم ثلث ما بقي
بعد إخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك إلا عند ابن عباس رضي الله عنهما والمعنى أن
الأبوين إذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين فإن قلت
ما العلة في أن كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان أحدهما
أن الزوج إنما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فأشبه الوصية في قسمة
ما وراءه والثاني أن الأب أقوى في الإرث من الأم بدليل أنه يضعّف عليها إذا
خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الأمرين فلو ضرب لها الثلث كملا
لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار
للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب حازت الأم سهمين والأب سهما واحدا
فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين فإن كان له إخوة فلأمه
السدس الإخوة يحجبون الأم عن الثلث وإن كانوا لا يرثون مع الأب فيكون لها
السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا إلا عند ابن عباس وعنه
أنهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الأم فإن قلت فكيف صح أن يتناول

الإخوة الأخوين والإخوة جمع والجمع خلاف التثنية قلت الإخوة تفيد
معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية
وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالإخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة
إتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية من بعد وصية
متعلق بما تقدم من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصباء
من بعد وصية يوصي بها وقرئ يوصّي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء
للمفعول مخففا فإن قلت ما معنى أو قلت معناها الإباحة وأنه
إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين
فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة قلت
لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها
مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط
بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على
وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما
في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم أي لا تدرون من
أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني
أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم
نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة
أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن
كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة

فلأمه الثلث وأي فائدة في قوله وورثه أبواه قلت معناه فإن لم يكن له ولد

فصار

بأدائه

وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن
ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابوه اليه فيرفع وكذلك الاب
ان كان ارفع درجة من ابنه سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب
لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا
ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب عليه النفقة على الابن
اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري ايهما اقرب نفعا
وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا بمجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية
ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت
نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل
ما فرض وقسم من المواريث وغيرها فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت المرأة
على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء
في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث منه وهو صفة
لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر
كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد
على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به **فان قلت** ما الكلالة **قلت**
تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين
وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول
ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب
القوة من الاعياء قال الاعشى فآليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت

للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل
صفة للموروث او الوارث فالمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي
ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق **فان قلت** فان جعلتها اسما
للقرابة في الآية فعلام تنصبه **قلت** على مفعول له اي يورث لاجل الكلالة
او يورث غيره لاجلها **فان قلت** فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورث
فما وجهه **قلت** الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث **فان قلت** فالضمير
في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ **قلت** الى الرجل والى اخيه او اخته
وعلى الاول اليهما **فان قلت** اذا رجع الضمير اليهما افاد استواءهما في حيازة
السدس من غير مفاضلة الذكر والانثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه
قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير
فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه سئل
عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني
ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عطاء والضحاك
ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد
اولاد الام ويدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن
ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة
للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال
فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه
يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الوالد والولد من سائر الاخوة

الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير
مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته
مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة
وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه
الاقرار وصية من الله مصدر مؤكد اي يوصيكم الله بذلك وصية كقوله تع فريضة
من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما
دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه
في الوصية وتنصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة
والله عليم بمن جار او عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت
في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت
كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت
فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرا يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت
يضمر يوصي فتنتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم ان ثمه موصيا كما قال تع
يسبح له فيها بالغدو والاصال على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح
فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها
تلك اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها
حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها
ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق ندخله قرئ بالياء والنون وكذلك ندخله نارا
وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال

فان قلت هل يجوز ان تكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا على غير
من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها ياتين الفاحشة
يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح
فامسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن
في اول الاسلام ثم نسخ بقوله الزانية والزاني الاية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان
يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد ان
يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال
او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد
لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فان قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي
والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت قلت يجوز ان يراد حتى يتوفاهن
ملائكة الموت كقوله تع الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم
ملك الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفي ارواحهن واللذان ياتيانها منكم يريد
الزاني والزانية فاذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما
الله فان تابا واصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان
التوبة تمنع عن استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على
سرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا
قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات
وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذاْن بالهمز وتشديد النون

التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب
على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب
القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى
الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب والزمان القريب ما
قبل حضرة الموت الا يرى الى قوله تع حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار
هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي
ما لم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن
الحسن رضي الله عنه ان ابليس قال حين اهبط من الجنة الى الارض وعزتك لا افارق
ابن آدم ما دامت روحه في جسده فقال وعزتي وجلالي لا اغلق عليه باب التوبة
ما لم يغرغر **فان قلت** ما معنى من في قوله من قريب **قلت** معناه
التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو
تائب من بعيد **فان قلت** ما فائدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما
التوبة على الله لهم **قلت** قوله تعالى انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب
على العبد بعض الطاعات وقوله تعالى فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه
واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون
عطف على للذين يعملون السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين

ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت
على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد
منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا لهم في الوعيد نظير قوله تعالى فاولئك
يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة **فان قلت**
من المراد بالذين يعملون السيئات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان
الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا واصلحا ويكون قوله تع وهم كفار
واردا على سبيل التغليظ كقوله تع ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله عليه السلم
فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا
ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك
الا قلب مصمت كانوا يبلون النساء بضروب البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم
فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى عليها
ثوبه وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن
على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها
حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم
وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي
منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان
ياتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء

والسلاطة أي الآن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل
عليه قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل
لزوجها أن يسألها الخلع وقيل كان إذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق
إليها وأخرجها وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن
قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وإن زنت وقيل نسخ ذلك
بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة
في المبيت والنفقة والإجمال في القول فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس
وحدها فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما
هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وكان الرجل إذا طمحت عينه إلى استطراف
امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه
إلى تزوج غيرها فقيل وإن أردتم استبدال زوج الآية والقنطار المال الكثير العظيم
من قنطرت الشيء إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد قال

كقنطرة الرومي أقسم ربها ۝ لتكتنفن حتى تشاد بقرمد ۝ وعن عمر رضي الله عنه
أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا
أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق امرأة من
نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم
تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه
كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا فلا تنكرونه علي
حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح تقذفه به

بلغ

وهو بريء منه لأنه يبهت عند ذلك أي يتحير وانتصب بهتانا على الحال أي باهتين
وآثمين أو على أنه مفعول له وإن لم يكن غرضا كقولك قعد عن الحرب جبنا والميثاق
الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كأنه قيل وأخذن أي بإفضاء بعضكم إلى بعض ووصفه
بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين
الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد أنكحتك على ما في كتاب الله
من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا
بالنساء خيرا فإنهن عوان في أيديكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه
نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثمة قيل ومقتا كأنه قيل هو فا
حشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين
وقرئ لا تحل لكم على أن ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة
والإكراه وقرئ بفاحشة مبينة من أبانت بمعنى تبينت أو بينت كما قرئ
مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على أنه في موضع الحال وآتيتم إحداهن
بوصل همزة إحداهن فإن قلت تعضلوهن ما وجه إعرابه قلت النصب
عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن
فإن قلت أي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت
إذا عدي بالباء فمعناه الأخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به وأما الإذهاب
فكالإزالة فإن قلت الآن بأتين ما هذا الاستثناء قلت
هو استثناء من أعم عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل ولا تعضلوهن في جميع الأوقات

الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة
فان قلت من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت
من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم
قلت كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا
ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد
الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج
الجمل في سم الخياط. معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن كما يفهم من تحريم الخمر
تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة
وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة
اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير
المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها
خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها
من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز
للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان
المعنى في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز
ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب
اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان

الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها فان قلت
هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب
فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب
فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع
احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن
واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول
بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة في
خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق
به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال
كقوله تع المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وكقوله فاني لست منك ولست مني
ولا انا من دد ولا الدد مني. وامهات النساء متصلات لانهن امهاتهن كما ان الربائب
متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم
دون الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها
ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما ان الام تحرم
بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم
انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا

وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده واخذ ميراثها
كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت
مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من غير زوجها ربيبا
وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما
فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم
وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم
بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم
المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في
العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم
وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هي كناية عن الجماع
كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس
ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية
فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته
بعد موته وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر
وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده
بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها
وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا
تحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما وطاوس وعمرو بن دينار رحمهم الله
ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج

رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة
بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين
حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم
الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما
الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعن علي رضي الله عنهما انهما قالا احلتهما اية وحرمتهما
اية يعنيان هذه الاية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي رضي الله عنه التحريم
وعثمان رضي الله عنه التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله تعالى
ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن
مصرف انه قرا بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن
بالتزوج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت
ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين
وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق ٭ وذات حليل انكحتها رماحنا ٭
حلال لمن يبني بها لم تطلق ٭ كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله
ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم فان قلت
علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله
اي كتب الله تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم وتدل عليه قراءة اليماني كتب
الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع
اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرا واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه
على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل وما يحرم ارادة ان
تبتغوا

يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما تخرج في المناكح **فان قلت** اين مفعول تبتغوا **قلت** تجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم وتجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استنفعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فاتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله تع ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه وتجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فاتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحطه من المهر او تهب له من كله او تزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما

عطف على ان لا تعدو على سبيل البيان

عطف على قوله وان تبتغوا باموالكم منصوب له وط

بيان الاشتقاق

ولا جناح عليكم

ان الله كان عليما حكيما

بما يعطيها وعن عمر لا أوتى برجل تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال لقد زادني حبا لنفسي انني ❊ بغيض الى كل امرئ غير طائل ❊ ومنه قولهم ما خلي منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس رضي الله من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله واما ابو حنيفة رضي الله عنه فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله تع من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان

ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت ايمانكم

ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل
فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة **قلت** لما فيه
من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة
مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة
من صفات المؤمنين وقوله تع من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم
وهم المخالفون في الدين **فان قلت** فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم
قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه
ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة
افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل
الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم
من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل
حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج
به لقول ابي حنيفة رضي الله عنه ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر
اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن
بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز **فان قلت** الموالي هم
ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن **قلت**
لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله
فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفايف والاخدان الاخلاء في السر
كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن

غير مسافحات ولا متخذات اخدان

فاذا اتين بفاحشة

نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله تع وليشهد عذابهما
ويدرء عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح
الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة
واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر
اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها
فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح
الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت
والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت
اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى
يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم
مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم
لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات
لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون
به ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما
وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع
الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون
بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال

ويهديكم سنن الذين من قبلكم

نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط
الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا
اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء
والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرا ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل
ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات في سورة النساء هي خير لهذه
الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم
يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله
بعذابكم بالباطل بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار
وعقود الربا الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون
التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة
عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة
اي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها
متعلق بها والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب
والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله تفرقهما
عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن
الحسن رحمه الله لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة
وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما

ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم
ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم
تلك التكاليف الصعبة ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس
عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر ونصليه بتخفيف اللام
وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه
بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا نارا مخصوصة شديدة
العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم
او نحوه كبائر ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي
التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نمط ما تستحقونه من العقاب
في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم
الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا
بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير
اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة
الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر
سبع الشرك والقتل والقذف والزنا ومال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب
بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بضم
الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل

الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا مما ترك على ان من صلة موالي لانهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون والذين عاقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة

وللنساء نصيب مما اكتسبن

نصيب صح

إن الله كان على كل شيء شهيدا

٢٢٥

كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رحمه الله لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت ايمانكم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروي ان سعد بن الربيع

فنسخ صح

عاقدتهم صح

والكفاية

ويقال للرجال زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء لان طبع الرجال غلب عليه الحرارة واليبوسة فتكون فيه قوة وشدة وطبع النساء غلبت عليه الرطوبة والبرودة فيكون فيها معنى اللين والضعف فجعل لهم حق القيام عليهن بذلك

وكان نقيباً من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امراً واراد الله امراً والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن بحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اي حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن في المضاجع في المراقد اي لا تداخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقرئ في المضجع وفي المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن

في حال الغيبة صح

واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن

اولاً ثم بهجرهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضرباً غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظماً ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام رضي الله عنه فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن سبيلاً فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان علياً كبيراً فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاماً له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان علياً كبيراً وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاقاً بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقاً والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكماً من اهله رجلاً مقنعاً رضياً يصلح للحكومة

وان خفتم

فابعثوا حكماً من اهله

العدلُ والإصلاح بينهما وإنّما كان بعثُ الحكمَين من أهلهما لانّ الاقارب أعرفُ
ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح وانما يسكنُ اليهم نفوسُ الزوجين ويبرُزان اليهم
ما في ضمائرهما من الحبّ والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك
ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبّان أن يطّلعوا عليه **فإن قلتَ**
هل يليان الجمع بينهما والتفريق إن رأيا ذلك **قلتُ** قد اختُلف فيه فقيل
ليس اليهما ذلك الّا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جُعلا حكمَين الّا واليهما
بناءُ الأمر على ما يقتضيه اجتهادُهما وعن عَبيدة السلماني شهدتُ عليًّا رضي الله عنه
وقد جاءته امرأةٌ وزوجها ومع كلّ واحدٍ فئامٌ من الناس فأخرج هؤلاء حكمًا وهؤلاء
حكمًا فقال عليّ رضي الله عنه للحكمين أتدريان ما عليكما انّ عليكما ان رأيتما ان تفرّقا
فرّقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج امّا الفرقة فلا فقال عليّ رضي الله عنه
كذبتَ والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيتُ بكتاب
الله لي وعليّ وعن الحسن يجمعان ولا يفرّقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والألف
في ان يريدا اصلاحًا ضمير الحكمين وفي يوفّق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح
ذات البين وكانت نيّتهما صحيحةً وقلوبهما ناصحةً لوجه الله تعالى بورك في وساطتهما
واوقع الله بطيب نفسيهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والألفة والقى في
نفوسهما المودّة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات
البين والنصيحة للزوجين يوفّق الله بينهما فيتّفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان
في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتمّ المراد وقيل الضميران للزوجين
اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما

الألفة وأبدلهما بالشقاق وفاقًا وبالبغضاء مودّةً ان الله كان عليمًا خبيرًا
يعلم كيف يوفّق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقتَ ما في الارض
جميعًا ما ألّفتَ بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم وبالوالدين احسانًا واحسنوا بهما
احسانًا وبذي القربى وبكلّ من بينكم وبينه قربى من اخ وعمّ او غيرهما
والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب البعيد جواره وقيل الجار
القريب النسب والجار الجنب الأجنبي ۞ وأنشد لبلعاء بن قيس ۞ ۞
۞ لا يجتوينا مجاورٌ أبدًا ۞ ذو رحمٍ او مجاورٌ جُنُبُ ۞ وقرئ
والجارَ ذا القربى نصبًا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى تنبيهًا على عظم حقّه لإدلائه بحقّ الجوار والقربى والصاحب بالجنب
هو الذي صحبك بأن حصل بجنبك امّا رفيقًا في سفرٍ وامّا جارًا ملاصقًا
وامّا شريكًا في تعلّم علمٍ او حرفةٍ وامّا قاعدًا الى جنبك في مجلسٍ او مسجدٍ او
غير ذلك من ادنى صحبةٍ التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحقّ
ولا تنساه وتجعله ذريعةً الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة
وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف والمختال التيّاه الجهول
الذي يتكبّر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفّى بهم
ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجَنْب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون
بدلٌ من قوله تعالى من كان مختالًا فخورًا او نصبٌ على الذمّ ويجوز ان يكون رفعًا
عليه وان يكون مبتدأً خبره محذوفٌ كأنّه قيل الذين يبخلون ويفعلون
ويصنعون احقّاء بكلّ ملامةٍ وقرئ بالبُخل بضمّ الباء وفتحها وبفتحتين

ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا

وضنين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره قال

وان امرأ ضنت يداه على امرئ ۞ بنيل يد من غيره لبخيل

ولقد راينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رياء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر

ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن ابي عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنهما بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من ضعف واضعف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على

هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا لو تسوّى بهم الارض
لو يدفنون فيسوّى بهم الارض كما تسوّى بالموتى وقيل يودّون انهم لم يبعثوا
وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودّون حالها ولا يكتمون
الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال
اي يودّون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم
والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم
عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر
عليهم يتمنون ان تسوّى بهم الارض وقرئ تَسوّى بحذف التاء من تتسوّى يقال
سوّيته فتسوّى نحو لوّيته فتلوّى وتسّوّى بادغام التاء في السين كقوله تع يسّمّعون
وماضيه اسّوّى كازّكّى روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما
وشرابا فدعى نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة
فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدّموا احدهم ليصلّي بهم فقرأ
اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في اوقات
الصلوة فاذا صلّوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا
ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها
واجتنبوها كقوله تع ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا
مواضعها وهي المساجد كقوله صلى الله عليه وسلم جنّبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم
وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله وراثوا بسكر سناتهم كل الزيون
وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر

يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون

قال الطرماح
مخافة ان يرين النوم فيهم
بسكر سناتهم كل الريون

علة تلحق او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسُكرى
بضم السين كحبلى على ان تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكُسلى
بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله تع وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب
على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد
والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا
عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت
كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة
في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل
عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة
جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت
كيف يصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم
يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا
مسافرين وقال من فسّر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا
الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او الماء فيه كان او احتلمتم فيه
وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة
ولا يجدون ممرّا الا في المسجد فرخّص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمرّ فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه
لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم
المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر

او كان الماء فيه

وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم

بالتيمم عند عدم الماء منهم **قلت** الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى
اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك
اذا عدموا الماء في السفر لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه
لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره
وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره
وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه **فان قلت** فما يصنع بقوله تعالى
في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى
في الصخر الذي لا تراب عليه **قلت** قالوا ان من لابتداء الغاية **فان قلت**
قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم من قول القائل مسحت برأسه
من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض **قلت** هو كما تقول
والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص
والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر ان يكون
ميسرا غير معسر **فان قلت** كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين
وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب
لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل **قلت** اراد سبحانه
ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب فخص
اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة
لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من
وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق

في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط
قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر من رؤية القلب
وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا
من الكتاب حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها
بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها
المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون
ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بفتح الضاد والياء وبكسرها والله اعلم منكم
باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم
ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
فثقوا بالله وليا بولايته ونصرته دونهم ولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم
مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى
وقوله تع والله اعلم وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض
او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله تع
ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون الكلم
عن مواضعه صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله

وما الدهر الا تارتان فمنهما ❊ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه
لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها

وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم
طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله **فان قلت** كيف قيل
هاهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه **قلت** اما عن مواضعه
فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت
شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع
هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه
ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون
اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قوله تع غير مسمع حال من المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع
وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت
دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت
دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك
فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز
على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان
اذنك لا تعيه بل تنبو عنه ويحتمل المدح اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك
اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اي ارقبنا
وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا
فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة
والاهانة ويظهرون التوقير والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اي
يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع

وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم

موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه
من التوقير نفاقا **فان قلت** كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد
ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا **قلت** جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر
والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز
ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرأ ابي وانظرنا
من الانظار وهو الامهال **فان قلت** الام يرجع الضمير في قوله تع لكان خيرا لهم
قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم
ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم
وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم
بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله

قليل التشكي للمهم يصيبه * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

اي عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها
من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي
الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا
بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها
فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب
والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اي من قبل
ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم
الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير **فان قلت**

يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل

لمن الراجع في قوله او نلعنهم **قلت** للوجوه ان اريد بها الوجهاء او لاصحاب
الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة
الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت **فان قلت** فاين
وقوع الوعيد **قلت** هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر
ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه
منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤساهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان
احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر
اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله
من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع
احد الامرين ان لم تؤمنوا **فان قلت** قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن
تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء **قلت** الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت
جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء
ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير
لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله
ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى اثما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه
الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل
الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم

ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت
ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى
عند الله **فان قلت** اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في
السماء امين في الارض **قلت** انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل
في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان بين من شهد الله
له بالتزكية وبين من زكى نفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء
اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل
للتزكية ومعنى يزكي من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء
فوصفهم به ولا يظلمون اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم
او من يشاء يثابون على زكاهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن
اتقى كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم
هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت
الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة
مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا
حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا
يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا
نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم

فقال أنتم أهدى سبيلا ووصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما أوتوا
من النعمة ويتمنون أن تكون لهم نعمة غيرهم فقال أم لهم نصيب من الملك على أن أم منقطعة
ومعنى الهمزة لإنكار أن يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فإذا لا يؤتون أي لو كان
لهم نصيب من الملك فإذن لا يؤتون أحدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة
في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك إما ملك أهل الدنيا
وإما ملك الله تع كقوله تع قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذن لأمسكتم خشية
الإنفاق وهذا أوصف لهم بالشح وأحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز أن
يكون معنى الهمزة في أم لإنكار أنهم قد أوتوا نصيبا من الملك وكانوا أصحاب أموال
وبساتين وقصور مشيدة كما تكون أحوال الملوك وأنهم لا يؤتون أحدا مما يملكون شيئا
وقرأ ابن مسعود فإذا لا يؤتوا على إعمال إذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في
قراءة العامة كأنه قال فلا يؤتون الناس نقيرا إذن أم يحسدون الناس بل يحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على إنكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم
على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا إلزام
لهم بما عرفوه من إيتاء الله الكتاب والحكمة آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد عليه السلام
وأنه ليس ببدع أن يؤتيه الله مثل ما أوتي أسلافه وعن ابن عباس رضي الله عنهما الملك
في آل إبراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وقيل استكثروا نساءه
فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهرية وسبعمائة
سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به أي بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه
وأنكره مع علمه بصحته أو من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من أنكر

قيل

من فضله

آل إبراهيم

نبوته أو من آل إبرهيم من آمن بإبرهيم ومنهم من كفر كقوله تع فمنهم مهتد وكثير
منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها أبدلناهم إياها فإن قلت كيف تعذب
مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي
لا الجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل
جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس
ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز أعزك الله أي أدامك على عزك
وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب إلا بعدل من يستحقه
ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما
أشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه
ولا برد وليس ذلك إلا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف إليه التفيؤ تحت ذلك
الظل وفي قراءة عبد الله يأمركم بالياء أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها الخطاب عام
لكل أحد في كل أمانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان
سادن الكعبة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح
أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه وقال لو علمت
أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي رضي الله عنه يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله
وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فنزلت فأمر عليا أن يرده إلى عثمان ويعتذر إليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت
ثم جئت ترفق فقال لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فهبط جبريل وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم

إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا

وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل

الحجبي من بني عبد الدار

عليه وسلم

ان الديانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات
والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به ما اما ان تكون
منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة كانه قيل نعم شيئا يعظكم
به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو
المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر الولاة
باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم
والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون
على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما
في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن
تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي
عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله تع
واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله تع فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله ومن يطع اميري فقد اطاعني
ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين
ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم
واولوا الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله والى رسوله اي ارجعوا فيه
الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر
بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات

يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم

وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا
يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما
يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر
عند الله وعند رسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي الرد
الى الكتاب والسنة خير واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن
تاويلا من تاويلكم انتم روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي عليه السلام ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى النبي صلى
فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي
لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال
نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به
عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت
وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا
لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم على
التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله تع وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا ابن الفضل ان يكفروا بها
ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله تع اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرا الحسن تعالوا
بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية

كما فيه وكما قال الكسائي في آية إن أصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام
وقعت واو الجمع بعد الميم من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول أهل مكة
تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني مخاطب الحمامة . تعالي أقاسمك الهموم تعالي .
والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني أنهم يعجزون عند ذلك فلا
يصدرون أمرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم إلى غيرك
واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون إليك ويحلفون ما أردنا
بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحسانا لا إساءة وتوفيقا بين الخصمين لا مخالفة لك ولا تسخطا
لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وأنهم سيندمون عليه حين
لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء أولياء
المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما أردنا بالتحاكم إلى عمر إلا أن يحسن
إلى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا أنه يحكم بما
حكم به فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة
عما هم عليه وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف والإنذار **فإن قلت**
بم يتعلق قوله تع في أنفسهم **قلت** بقوله تع بليغا أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم
مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد
بالقتل والاستئصال إن نجم منهم النفاق وأطلع قرنه وأخبرهم أن ما في نفوسهم من الدغل
والنفاق معلوم عند الله وأنه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة إلا لإظهاركم
الإيمان وإسراركم الكفر وإضماره فإن فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق إلا
السيف أو يتعلق بقوله قل لهم أي قل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق

أوله: أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا

أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم

قولا بليغا وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم
وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك
من انتقامه وشرا من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا
لهم بالنصيحة لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم
وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولا قط إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذن الله في
طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة
الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ويجوز أن يراد بتيسير الله
وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤك تائبين
من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار
إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا
لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات
تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على أن شفاعة
من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله تع فوربك لنسألنهم
ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب
القسم **فإن قلت** هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون **قلت**
يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
إنه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل
أغصانه حرجا ضيقا أي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لأن الشاك في
ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك

واستغفر لهم الرسول

رحيما

حتى يحكموك

ثم لا يجدوا في أنفسهم

مما قضيت

لا يعارضونه بشيء من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا
جعلها سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه
انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي
وقيل في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير
ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر
واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة
له وللخصم فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا
على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد
فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا في حيوة موسى عليه السلم مرة فدعانا الى التوبة
منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا
فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل
نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان في امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من
الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا
لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شأن حاطب ونزلت في شأن
هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم
مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من

عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من
الواو في فعلوا وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا
ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به
لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم
واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه واذن جواب لسؤال مقدر كانه
قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل واذن لو ثبتوا لاتيناهم لان اذن
جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء
المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين
تقدموا في تصديقهم كابي بكر رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب
للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده
وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله
بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه
وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه
ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك

[يا أيها الذين آمنوا]

هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
فذاك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن
عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك
عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز
أن يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى أن ما أعطي المطيعون من الأجر العظيم
ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه
أو أراد أن فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله
عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالإثر
والأثر يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي
بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم
فانفروا إذا نفرتم إلى العدو إما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية وإما

[أو انفروا] جميعا أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وقرئ
فانفروا بضم الفاء اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله إن الله لغفور وفي ليبطئن
جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة
من والضمير الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن
ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ
ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وأبطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك
فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه

عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد

[ولئن أصابكم] فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة فضل من الله فتح أو غنيمة ليقولن وقرأ
الحسن ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن قوله لمن ليبطئن في معنى
الجماعة وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين
مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون
المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر
أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون

[فوزا عظيما] بالمودة إلا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم
الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز أن يكون خبر مبتدأ
محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال
ابن مفرغ: وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه. فالذين

[ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما] يشرون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق
ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون
هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى إن
صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون
ووعد المقاتل في سبيل الله ظافرا أو مظفورا به الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله

[من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا] والمستضعفين فيه وجهان أن يكون مجرورا عطفا على سبيل الله أي في سبيل الله وفي
خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين
لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار

من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة
فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد فكانوا يدعون الله
بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل
الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولي ونصرهم
أقوى النصر ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة
كما أرادوا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها
من الظلمة **فإن قلت** لم ذكر الولدان **قلت** تسجيلا بإفراط ظلمهم
حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاما لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم
ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم
الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس عليه السلام وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان
ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر وبالولدان العبيد والإماء لأن العبد
والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور
على الإناث كما يقال الآباء والإخوة **فإن قلت** لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث
قلت هو وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطي إعراب القرية لأنه
صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها ولو أنث
فقيل الظالمة أهلها لجاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث
فإن قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها **قلت** نعم كما تقول
التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا

من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا

الذين آمنوا

رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله فهو
وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان وكيد
الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه كفوا أيديكم أي
كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا
يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين
ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت كخشية الله
من إضافة المصدر إلى المفعول **فإن قلت** ما محل كخشية الله من الإعراب **قلت**
محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي
مشبهين لأهل خشية الله أو أشد خشية بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد
معطوف على الحال **فإن قلت** لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر
يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله **قلت** أبى ذلك قوله أو أشد
خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية لم يكن إلا
حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لأنك لا تقول خشي فلان أشد
خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر إنما تقول أشد خشية فتجرها وإذا نصبتها
لم يكن أشد خشية إلا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية
ذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله
أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجرورا عطفا على خشية الله
تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة
الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله تعالى لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ولا تظلمون

والذين كفروا

الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا

ألم تر إلى الذين قيل لهم

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس

وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى

فتيلا ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون
بالياء قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت
وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع
أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين
فرفع كما زهير بقوله لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه ويجوز أن يتصل
بقوله ولا تظلمون فتيلا أي ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب
أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة
من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة
بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر قارضها
السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال تع إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى
وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط وشدة
أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله تع عن قوم
موسى عليه السلام وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح عليه السلام
قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم قل كل من عند الله
يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثا فيعلموا أن الله
هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما أصابك يا إنسان
خطابا عاما من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلا منه وإحسانا وامتنانا وامتحانا

تمامه
والشر بالشر عند الله مثلان

شعر
يدعون العلوم في كل شيء
لا يكادون يفقهون حديثا

وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن عندك لأنك السبب فيها بما كسبت
يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن
عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله أكثر وأرسلناك للناس
رسولا أي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم أنت رسول العرب والعجم
كقوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم
جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لأحد أن يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع
الرسول فقد أطاع الله لأنه لا يأمر إلا بما أمر الله به ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه فكان
طاعته في امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى الله عنه طاعة لله وروي أنه قال عليه السلام
من أحبني فقد أحب الله ومن أطاعني فقد أطاع الله فقال المنافقون ألا تسمعون
إلى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو نهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا
الرجل إلا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة
فأعرض عنه فما أرسلناك عليهم حفيظا إلا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم
وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما أنت عليهم بوكيل ويقولون إذا أمرتهم
بشيء طاعة بالرفع أي أمرنا وشأننا طاعة ويجوز النصب بمعنى أطعناك طاعة وهذا
من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب
الموثوق بهم يقال له كيف أصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كأنه قال أمري
وشأني حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات
الطاعة واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذي تقول
فإذا برزوا من عندك

خلاف ما قلت وما أمرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لأنهم أبطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل يقال هذا أمر بيّت بليل أو من أبيات الشعر لأن الشاعر يدبّرها ويسوّيها والله يكتب ما يبيّتون يثبته في صحايف أعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على أسرارهم فلا تحسبوا أن إبطانهم يغني عنهم فأعرض عنهم ولا تحدّث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله في شأنهم فإن الله يكفيك معرّتهم وينتقم لك منهم إذا قوي أمر الإسلام وعزّ أنصاره وقرئ بيّت طائفة بالإدغام وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي ولأنها في معنى الفريق والفوج تدبّر الأمر تأمّله والنظر في أدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمّل فمعنى تدبّر القرآن تأمّل معانيه وتبصّر ما فيه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حدّ الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم أنه ليس إلا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه أحد سواه **فإن قلت** أليس نحو قوله تعالى فإذا هي ثعبان مبين كأنها جانّ فوربك لنسألنهم أجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانّ من الاختلاف **قلت** ليس باختلاف عند المتدبّرين هم ناس من

وكفى بالله وكيلا

أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله

وإذا جاءهم أمر من الأمن

من ضعفة المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردّوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أولي الأمر وهم كبار الصحابة البصراء بالأمور والذين كانوا يؤمّرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء فيعود إذاعتهم مفسدة ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم وفوّضوه إليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبّرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من أفواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الأمر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع أو لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال أذاع السرّ وأذاع به قال

أذاع به في الناس حتى كأنه ٭ بعلياء نار أوقدت بثقوب ٭

ويجوز أن يكون المعنى فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وقرئ لعلمه الذين باسكان اللام كقوله

فإن أهجه يضجر كما ضجر بازل ٭ من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه ٭

والنبط الماء يخرج من البئر أول ما تحفر وإنباطه واستنباطه إخراجه واستخراجه

ولو ردوه الى الرسول

فاستعين لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل
ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب
والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا
لما ذكر في الآي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها
قال تع فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير
نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك
كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان
واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج
وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وقرئ لا تكلف بالجزم
على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين
وما عليك في شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا
وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد
الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد بأسا من قريش واشد
تنكيلا تعذيبا الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب
اليه خير وابتغي بها وجه الله ولم يؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من
حدود الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع
شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال له لو علمت ما في قلبك
لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم
لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها

استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك
مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء اي اقتدر على الشيء قال
الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على اساءته مقيتا
وقال السموأل اليهودي الي الفضل ام علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت
واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها الاحسن منها ان يقول وعليكم
السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال عليه السلام وعليك
السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال عليه السلام وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال عليه السلام وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى
وتلا الآية فقال عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها
او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجع جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره
وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله
من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي رحمه الله السلام
سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر
على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث
وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على
لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر

وكان الله على كل شيء مقيتا

واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها

في الحمام او غيره وذكر الطحاوي رحمه الله ان المستحب رد السلام على الطهارة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا
يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على
راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي
حنيفة رضي الله عنه لا تجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون
السام عليكم وروى لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن
يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقول ورحمة الله فانها استغفار وعن
الشعبي رحمه الله انه قال لنصراني سلم عليه عليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال
اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء رحمهم الله في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام
اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي رحمه الله وعن ابي حنيفة
رضي الله عنه لا تبدأه بسلام ولا غيره وعن ابي يوسف رحمه الله لا تسلم عليهم ولا تصافحهم
واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه
على كل شيء حسيبا اي محاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو اما خبر للمبتداء واما
اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه
والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تع
يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز
عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه
قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه

[margin:] ولا تتركه — في كتاب — ان الله كان — لا ريب فيه

كانه اشار بوصفه بالذي الى قبح الكذب ذاتي

ان يكذب
يحتاج الى الكذب ليجر به منفعة او ليدفع به مضرة او هو غني عنه الا انه
يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره
ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء
انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما تركته ولا فارقته وقيل
لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم
الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر
القبائح فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا
لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم
هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم
فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء
المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا
يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم
في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فئتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم
والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين
واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا
فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل
الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم

[margin:] فما لكم في المنافقين — فئتين

ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا

ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله

ودكسوا فيها فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ولرسوله لا لغرض من أغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن أبي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من هو من انسابهم والقوم هم الأسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الأسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال بن عويمر ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاؤكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كأنه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كأنه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله تعالى فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم **فان قلت** كل واحد

بينكم وبينهم ميثاق

من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين لان الاتصال بهؤلاء او بهؤلاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم **قلت** هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وحصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم **فان قلت** كيف يجوز ان يسلط الله تعالى الكفرة على المؤمنين **قلت** ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم

او يقاتلوا قومهم

الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم

فلم يقاتلوكم

يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم

كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فحيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسليطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله تعالى وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها ان يقتل مؤمنا ابتداء من غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطاء **فان قلت** بم انتصب خطأ **قلت** بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطاء وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطاء وان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطأ والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف بيت حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم فنزل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامهما وحر الوجه اكرم موضع منه ومنه قولهم لليئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن رحمه الله لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعي رحمه الله كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارثا فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها عمر رضي الله عنه

فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم

ومن قتل مؤمنا خطأ

مؤمنة

ودية

وعن ابن مسعود رضي الله عنه يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى
من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة رحمه الله الغرة لام الجنين وحدها وذلك
خلاف قول الجماعة **فان قلت** على من تجب الرقبة والدية **قلت**
تجب على القاتل الا ان الرقبة في ماله وتتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة
فهي في بيت المال فان لم تكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية
ومعناه العفو لقوله تعالى الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرا ابي الا ان يتصدقوا
فان قلت بم تعلق ان يصدقوا وما محله **قلت** تعلق بعليه او
بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها
النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز
ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين فان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب
وذلك نحو رجل مسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى
قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون
وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين
فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين
الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين
فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فعليه صيام شهرين
متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته
يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه هذه الآية

والدية

فان كان

اسلم

بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة
الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة

وكان الله عليما حكيما

فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم
روي عن ابن عباس ما روي ان توبة قاتل المسلم المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان
رضي الله عنه كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء
بسنة الله تعالى في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك
بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله تعالى من قتل امرئ
مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه
ان هذا الانسان بنيان الله تعالى ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على
قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله
والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث
القطيعة وقول ابن عباس رضي الله عنه مع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم
وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما تخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في
العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها
ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ لما عسى ان يقع من نوع
تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسما للاطماع واي حسم ولكن
لا حيوة لمن تنادي **فان قلت** هل فيها دليل على خلود من لم يتب من
اهل الكبائر **قلت** ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله تعالى ومن
يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه
الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله فتبينوا وقرئ
فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه
ولعنه واعد له عذابا عظيما

اول
ونار لو نفخت بها اضاءت
ولكن انت تنفخ في رماد
لقد اسمعت لو ناديت حيا

مع

يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم
في سبيل الله

ولا تقولوا لمن ألقى إليكم

تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلم وهما الاستسلام وقيل
الإسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام لست مؤمنا وقرئ مؤمنا
بفتح الميم من آمنه أي لا نؤمنك وأصله أن مرداس بن نهيك رجلا من أهل
فدك أسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى
الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل
وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد
واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا فقال
قتلتموه إرادة ما معه فقرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال
عليه السلام فكيف بلا إله إلا الله قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت أن لم
أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة تبتغون عرض الحياة
الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم إلى ترك التثبت
وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة تغنمونها تغنيكم عن
قتل رجل يظهر الإسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم
من قبل أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم كلمة الشهادة فحصنت
دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لألسنتكم
فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم فيه وأن صرتم
أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا
ظاهر الإسلام في المكافة ولا تقولوا إن تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية

فتجعلوه سلما إلى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله تعالى وقوله تعالى فتبينوا
تكرير للأمر بالتبين ليؤكد عليهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا
محترزين محتاطين في ذلك غير أولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة
للقاعدون والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض
أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه
كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه
على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف
لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى
يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال
اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير أولي الضرر قال
زيد أنزلها الله تعالى وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع
في الكتف وعن ابن عباس رضي الله عنه لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون إليها
وعن مقاتل رضي الله عنه إلى تبوك فإن قلت معلوم أن القاعد بغير عذر
والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الإذكار
بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن
انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به إلى
التعلم ولينهض بنفسه عن ضعة الجهل إلى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة
لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك

لا يستوي القاعدون من المؤمنين

والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

بأموالهم وأنفسهم

والمعنى على القاعدين غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى أي المثوبة الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت أفئدتهم تهوي إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره **فإن قلت** قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم **قلت** أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية **فإن قلت** لم نصب درجة وأجرا ودرجات **قلت** نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة وأما أجرا فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل فضلهم تفضيلات ونصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعلهما أي وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة إن الذين توفاهم يجوز أن يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا

الحسنى

وفضل الله المجاهدين على القاعدين

حين كانت الهجرة فريضة **فإن قلت** كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء **قلت** معنى فيم كنتم التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أرادوا إنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون إلى أرض الحبشة وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين لا تنحصر أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق إبراهيم عليه السلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إن كنت تعلم أن هجرتي إليك لم تكن إلا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من أهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية إلى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة أو ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فإني لست من المستضعفين وإني لا أهتدي الطريق والله لا أبيت الليلة

قالوا

فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا

كما يجب

استوجبت

ولا يهتدون سبيلا

إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان

وفي التيسير جندب بن ضمرة الليثي الجندعي

بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم **فان قلت** كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا **قلت** الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال **فان قلت** الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها **قلت** هي صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله

ولقد امر على اللئيم يسبني

فاولئك

فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع **قلت** للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض

مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدي

كطود يلاذ باركانه ٭ عزيز المراغم والمذهب ٭

ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم

وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدإ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله

من عنزي سبني لم اضربه ٭

وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله ٭ والحق بالحجاز فاستريحا ٭ فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو انه توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله تعالى

وكان الله غفورا رحيما

وإذا ضربتم

الضرب في الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة رضي الله عنه مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلثة ايام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي رحمه الله مدة السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي رحمه الله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت

اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة
قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال
عليه السلام احسنت يا عائشة وما عاب عليه السلام علي وكان عثمان رضي الله عنه
يتم ويقصر وعند ابي حنيفة رضي الله عنه القصر في السفر عزيمة غير رخصة
لا تجوز غيره وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان
نبيكم عليه السلام وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت
ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر **فان قلت** فما تصنع بقوله
فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة **قلت** كانهم الفوا الاتمام فكانوا
مظنة لان تخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم
بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة
بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب
في حال الخوف خاصة وهو قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا واما
في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة ان يفتنكم ليس فيه ان خفتم
على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة يتعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان
الايمة نواب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به
فكان الخطاب له عليه السلام متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف
فعليه ان يؤمهم كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها

والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم
احداهما معك فصل بهم وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين او لغيرهم فان
كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف
والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا فليكونوا يعني
غير المصلين من ورائكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي
حنيفة رضي الله عنه ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة
ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي
بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بازاء العدو وتأتي الاخرى وهي الاولى فتؤدي
الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة
وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند مالك
رحمه الله بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما
حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى
تتم صلوتها ويسلم ويعضده قوله تعالى ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا
معك وقرئ وامتعاتكم **فان قلت** كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر
في الاخذ **قلت** جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي
فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم
فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون
عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب

ما يبلّهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا
فيهجم عليهم العدو **فان قلت** كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله
اعدّ للكافرين عذابا مهينا **قلت** الامر بالحذر من العدو يوهم توقّع غلبته
واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخباره ان الله تعالى يهين عدوهم ويخذله
وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما
هو تعبّد من الله تعالى كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا قضيتم
الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما
مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين
بالجراح فاذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة
فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها
على اي حال كنتم من خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في
ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة
اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رضي الله عنه
فهو معذور في تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة
الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد
في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف
وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجاء اليه فاذا اطمأننتم فاذا امنتم
فاقيموا الصلوة فاتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم

في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله تع ان تكونوا تألمون
اي ليس ما تكابدون من الالم بالقتل والجرح مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم
وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا
تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون
من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الاخرة وقرأ الاعرج
ان تكونوا تألمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تع فانهم
يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فانهم يئلمون كما تئلمون وروي ان هذا في بدر
الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم
ولا ينهاكم الا بما هو عالم به مما يصلحكم روي ان طعمة بن ابيرق احد بني
ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر
الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد
له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي
فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل همّ عليه
ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا
بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك
وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان ذلك لا يجعله الله

وترجون من الله ما لا يرجون

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس

فان الله لم يجعله الا للنبي

الا لنبيه عليه السلام ولكن ليجتهد رأيه لان الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين
خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر
واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية
كقوله تع علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم
لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين
ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان
بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه
جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه
فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله تعالى عالما
من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك
في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه
انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها
فاعف عنه فقال كذبت ان الله تعالى لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون
يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خافية
من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية
من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا
غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون

ان الله كان غفورا رحيما
ولا تجادل عن الذين
ان الله لا يحب من كان

وكان الله بما يعملون محيطا

واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في
دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما
هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد
بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوركه الذنب على اليهودي
ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة
لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على
نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى
هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا
اخذهم الله تعالى بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من
بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل
طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل
ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة
على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه بما فرط
منهم من نصرته والذب عنه فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعدى ضرره الى غيره فليبق
على نفسه من كسب السوء خطيئة صغيرة او اثما كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة
زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع
بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة
واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحي
اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء

عنهم في الحيوة الدنيا فمن
يجادل الله عنهم يوم القيمة
ام من يكون عليهم

ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما

وكان الله عليما حكيما

ومن يكسب اثما

ومن يكسب

بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بأن الجاني هو صاحبهم فقد روي أن ناسا
منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون إلا أنفسهم لأن وباله عليهم وما
يضرونك من شيء لأنك إنما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك أن الحقيقة
على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الأمور وضمائر القلوب أو
من أمور الدين والشرائع ويجوز أن يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم
إلى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس
إلا من أمر بصدقة إلا نجوى من أمر بصدقة على أنه مجرور بدل من كثير كما تقول
لا خير في قيامهم إلا قيام زيد ويجوز أن يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر
بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل إغاثة الملهوف
وقيل هو عام في كل جميل ويجوز أن يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف
ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله
عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى وسمع
سفيان رجلا يقول ما أشد هذا الحديث فقال ألم تسمع الله يقول لا خير
في كثير من نجواهم فهذا هو بعينه أوما سمعته يقول والعصر إن الإنسان لفي
خسر فهذا هو بعينه وشرط في استيجاب الأجر العظيم أن ينوي فاعل الخير عبادة
الله تعالى والتقرب به إليه وأن يبتغي به وجهه خالصا لأن الأعمال بالنيات
فإن قلت كيف قال إلا من أمر ثم قال ومن يفعل ذلك **قلت**
قد ذكر الأمر بالخير ليدل به على فاعله لأنه إذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين
كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد

وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة

أو معروف أو إصلاح بين الناس

فهو هذا ق

فهو هذا ق

ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما

بالأجر العظيم ويجوز أن يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الأمر بالفعل كما يعبر به عن
سائر الأفعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي
هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها
كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لأن الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل
غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد
فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى
من الضلال بأن نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله
بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه إلى مكة إن الله
لا يغفر أن يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي
أنه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به
ولم أتخذ من دونه وليا ولم أوقع المعاصي جرأة على الله تعالى ولا مكابرة له وما
توهمت طرفة عين أني أعجز الله تعالى هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما ترى
في حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه
إلا إناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن رحمه الله لم يكن حي من أحياء
العرب إلا ولهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان وقيل كانوا يقولون
في أصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله
وقرئ أنثا وأنثى جمع أنيث أو إناث ووثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن
كقولك أسد وأسد وقلب الواو ألفا نحو أجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى

وساءت مصيرا

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا

إن يدعون من دونه

أوثانا وإن يدعون وإن يعبدون بعبادة الأصنام إلا شيطانا لأنه هو الذي أغراهم
على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة ولعنه الله وقال لأتخذن صفتان
يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا
مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه
قال الحسن رحمه الله من كل ألف تسع مائة وتسعين إلى النار ولأمنينهم
الأماني الباطلة من طول الأعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة
والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم
بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا
وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي وإعفاؤه
عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم وأما
في بني آدم فمحظور وعند أبي حنيفة رضي الله عنه يكره شراء الخصيان وإمساكهم
واستخدامهم لأن الرغبة تدعو إلى خصائهم وقيل فطرة الله التي فطر
الناس عليها هي دين الإسلام وقيل للحسن إن عكرمة رضي الله عنه قال هو الخصاء
فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو الوشم وعنه
لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل
التخنث وعد الله حقا مصدران الأول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن أصدق
من الله قيلا تأكيد ثالث بليغ فإن قلت ما فائدة هذه التوكيدات
قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه
بوعد الله الصادق لأوليائه ترغيبا للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجز وعد الله

من عباده

ولأضلنهم

ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام

ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا

على ما تجرعون في عاقبته من غصص إخلاف مواعيد الشيطان في ليس ضمير وعد الله
أي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب والخطاب للمسلمين
لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم
في الإيمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني
ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا
من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا
العمل من قبل وقيل إن المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن أولى منكم
نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل
أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم
وأحسن حالا لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى وكان أهل الكتاب يقولون
نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ويعضده تقدم ذكر
أهل الشرك قبله وعن مجاهد رضي الله عنه أن الخطاب للمشركين قوله تعالى من
يعمل سوءا يجز به وقوله تع ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني أهل الكتاب
نحو من قوله تع بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله تع والذين آمنوا
وعملوا الصالحات عقيب قوله تع وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة
وإذا أبطل الله الأماني وأثبت أن الأمر كله معقود بالعمل وأن من أصلح عمله
فهو الفائز ومن أساء عمله فهو الهالك تبين الأمر ووضح ووجب قطع الأماني
وحسم المطامع والإقبال على الأعمال الصالحة ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا يلقى

العمل الصالح

ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا

من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا

إليه الأذهان **فإن قلت** ما الفرق بين من الأولى والثانية **قلت** الأولى
للتبعيض أراد ومن يعمل بعض الصالحات لأن كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الأحوال
وإنما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا زكاة ولا جهاد
ويسقط عنه الصلوة في بعض الأحوال والثانية لتبيين الإبهام في ومن يعمل **فإن قلت**
كيف خص الصالحون بأنهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك **قلت** فيه وجهان
أحدهما أن يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني
أن يكون ذكره عند أحد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لأن كلا الفريقين مجزيون
بأعمالهم لا تفاوت بينهم ولأن ظلم المسيء أن يزاد في عقابه وأرحم الراحمين معلوم أنه
لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه وأما المحسن فله ثواب وتوابع
للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز أن ينقص من الفضل لأنه ليس بواجب فكان
نفي الظلم دلالة على أنه لا يقع نقصان في الفضل

ومن أحسن دينا ممن

أسلم وجهه لله أخلص نفسه لله وجعلها
سالمة له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات

واتبع ملة إبراهيم

حنيفا حال من المتبع أو من إبراهيم كقوله تع بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من
المشركين وهو الذي تحنف أي مال عن الأديان كلها إلى دين الإسلام واتخذ الله إبراهيم
خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله
والخليل هو المخال الذي يخالك أي يوافقك في خلالك أو يسايرك في طريقك
من الخل وهو الطريق في الرمل أو يسد خللك كما تسد خلله أو يداخلك خلال
منازلك وحجبك **فإن قلت** ما موقع هذه الجملة **قلت** هي جملة
اعتراضية لا محل لها من الإعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة

فائدتها تأكيد وجوب اتباع ملته لأن من بلغ من الزلفى عند الله تعالى أن اتخذه
خليلا كان جديرا بأن تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها
لم يكن لها معنى وقيل إن إبراهيم عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة
أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه
لفعلت ولكنه يريدها للأضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر
حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه
وعمدت امرأته إلى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت واستنبه إبراهيم
عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم فقالت امرأته من خليلك
المصري فقال عليه السلام بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا
ولله ما في السموات وما في الأرض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين
ومعناه أن له ملك أهل السموات والأرض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل
شيء محيطا فكان عالما بأعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم أن يختاروا لأنفسهم
ما هو أصلح لها

ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن

ما يتلى في محل الرفع أي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى
يعني قوله تع وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك أعجبني زيد وكرمه
ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أنها جملة معترضة
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وأن العدل والنصفة في
حقوق اليتامى من عظائم الأمور المرفوعة الدرجات عند الله تعالى التي تجب مراعاتها
والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله تعالى ونحوه في تعظيم القرآن
وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز أن يكون مجرورا على القسم كأنه قيل

قل الله يفتيكم فيهن وأقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم أيضا بمعنى التعظيم
وليس بسديد أن يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى **فإن قلت**
بم تعلق قوله تعالى في يتامى النساء **قلت** في الوجه الأول هو صلة يتلى أي
يتلى عليكم في معناهن ويجوز أن يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن وأما في
الوجهين الآخرين فبدل لا غير **فإن قلت** الإضافة في يتامى النساء
ما هي **قلت** إضافة بمعنى من نحو قولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى
النساء بيائين على قلب همزة أيامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله
لهن أي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة إلى نفسه ومالها
فإن كانت جميلة تزوجها وأكل المال وإن كانت دميمة عضلها عن التزوج
حتى تموت فيرثها وترغبون أن تنكحوهن يحتمل في أن تنكحوهن لجمالهن وعن أن تنكحوهن
لدمامتهن وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا جاءه ولي اليتيمة
نظر فإن كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك
وإن كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فأنت أحق بها والمستضعفين مجرور
معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية إنما يورثون الرجال القوام بالأمور
دون الأطفال والنساء ويجوز أن يكون خطابا للأوصياء كقوله تعالى ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب وأن تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي
المستضعفين وفي أن تقوموا ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى ويأمركم أن تقوموا
وهو خطاب للأئمة في أن ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا أحدا يهتضمهم
خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته والنشوز أن

اللاتي

لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما

وإن امرأة

يتجافى عنها بأن يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وأن
يؤذيها بسب أو ضرب والإعراض أن يعرض عنها بأن يقل محادثتها ومؤانستها وذلك
لبعض الأسباب من طعن في سن أو دمامة أو شيء في خلق أو خلق أو ملال أو طموح عين
إلى أخرى أو غير ذلك فلا بأس بهما في أن يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى
يتصالحا ويصطلحا ونحو أصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد
من الأفعال الثلاثة ومعنى الصلح أن يتصالحا على أن تطيب له نفسا عن القسمة أو
عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت أن يفارقها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعرفت مكان عائشة رضي الله عنها من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي
أن امرأة أراد أن يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني
أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال إن كان هذا يصلح فهو أحب إلي فأقرها
أو تهب له بعض المهر أو كله أو النفقة فإن لم تفعل فليس له إلا أن يمسكها بإحسان
أو يسرحها والصلح خير من الفرقة أو النشوز والإعراض وسوء العشرة أو هو خير
من الخصومة في كل شيء أو الصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور
وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح ومعنى إحضار الأنفس الشح
أن الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها أبدا ولا تنفك عنه يعني أنها مطبوعة عليه
والغرض أن المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح
بأن يقسم لها وأن يمسكها إذا رغب عنها وأحب غيرها وإن تحسنوا بالإقامة على
نسائكم وإن كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق
الصحبة وتتقوا النشوز والإعراض وما يؤدي إلى الأذى والخصومة فإن الله

أو إعراضا

فلا جناح عليهما

أو من النشوز

ولا تنفك عنها

كان بما تعملون من الإحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان
الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فأجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت
الحمد لله فقال ما لك فقالت حمدت الله على أني وإياك من أهل الجنة قال كيف
قالت لأنك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده
الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ومحال أن تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية
حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم
تمام العدل وغايته وما كلفتم منه إلا ما تستطيعون بشرط أن تبذلوا فيه وسعكم
وطاقتكم لأن تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد
وقيل معناه أن تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا
أملك يعني المحبة لأن عائشة رضي الله عنها كانت أحب إليه وقيل إن العدل
بينهن أمر صعب بالغ في الصعوبة حدا يوهم أنه غير مستطاع لأنه يجب أن
يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والإقبال والممالحة والمفاكهة
والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة
هذا إذا كن محبوبات كلهن فكيف إذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل
الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا
منها يعني أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع
منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي
ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي إلا حظة أو تطليقة أو صلف أو بين

بين النساء

ولو حرصتم

ذلك تعليق وفي قراءة أبي رضي الله عنه فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت
له امرأتان يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروي أن عمر بن الخطاب
بعث إلى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضي الله عنها أإلى كل
أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث إلى القرشيات
بمثل هذا وإلى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول إلى عمر رضي الله عنه فأخبره فأتم
لهن جميعا وكان لمعاذ رضي الله عنه امرأتان فإذا كان عند إحداهما لم يتوضأ في بيت
الأخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وإن تصلحوا ما مضى من ميلكم
وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم قرئ وإن يتفارقا بمعنى وإن
يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا
أهنى من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر من قبلكم متعلق
بوصينا أو بأوتوا وإياكم عطف على الذين أوتوا والكتاب اسم جنس يتناول
الكتب السماوية أن اتقوا بأن اتقوا أو تكون أن المفسرة لأن التوصية في معنى
القول وقوله تع وإن تكفروا عطف على اتقوا لأن المعنى أمرناهم وأمرناكم بالتقوى
وقلنا لهم ولكم إن تكفروا فإن لله والمعنى أن لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم
والمنعم عليهم بأصناف النعم كلها فحقه أن يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون
عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الأمم السالفة وو
أن اتقوا الله يعني أنها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين
لأنهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم إن تكفروا

رضي الله عنه

فإن الله كان غفورا رحيما ٢ وإن يتفرقا

ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب

ما في السموات وما في الأرض

وصيناكم

فان لله في سماواته وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله تع لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت باخرين ويوجد انسا اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت بناس اخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او ابائكم او اقاربكم **فان قلت** الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى على نفسه **قلت** هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى

حميدا

ايها الناس

وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين امنوا كونوا

او الوالدين والاقربين

وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر **فان قلت** لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين **قلت** قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور اخرا فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرا عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا المعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوا والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله تع وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام بن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله

لقوا

فلا تتبعوا الهوى

بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله

انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وبكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا **فان قلت** كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل **قلت** كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل الله من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به انما هو المعجز ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به ايمانا لاجل المعجز لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجز فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا **فان قلت** لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل **قلت** لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله تع ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعرف منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم

فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمالؤن الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد لاوليائه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين • ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشأن كذا والشأن ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله تع واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزؤن فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقين فقيل لهم انكم

Margin: بان لهم عذابا اليما

Margin: يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة

Margin: وقد نزل عليكم في الكتاب

Margin: كان

إذا مثل الإجبار في الكفر إن الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين
والمقعود معهم **فإن قلت** الضمير في قوله تعالى فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع
قلت إلى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين
بها والمستهزئين بها **فإن قلت** لم يكونون مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت
الخوض **قلت** لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر
كافر **فإن قلت** فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين
من المشركين منافقين **قلت** لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء
لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم الذين يتربصون إما
بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون
بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق ألم نكن معكم مظاهرين
فأسهموا لنا في الغنيمة ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا
لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم عليكم
فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب بإضمار أن قال الحطيئة
ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء **فإن قلت**
لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا **قلت** تعظيما لشأن
المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب
السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة
من الدنيا يصيبونها يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان

فإن كان لكم فتح من الله قالوا

وإن كان للكافرين نصيب قالوا

فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا إن المنافقين

وإبطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم
معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم
يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل
من خادعته فخدعته إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط
نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون
انظرونا نقتبس من نوركم كسالى قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان
كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا
على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة
ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين
عن عيون الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا
مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل
إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام
والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا
يستغرق به أوقاته لم يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم **فإن قلت**
ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية **قلت** فيها وجهان أحدهما أن المرائي
يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن تكون من المفاعلة بمعنى التفعيل
فتقول راءى الناس بمعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق
روى أبو زيد رأت المرأة المرآة إذا أمسكتها لترى وجهها وتدل عليه قراءة
ابن أبي إسحاق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراءونهم

وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا

كذلك مذبذبين إمّا حال نحو قوله تعالى ولا يذكرون أي يراؤونهم غير ذاكرين مذبذبين
أو منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان بين الكفر والإيمان فهم مترددون
بينهما متحيّرون وحقيقة المذبذب الذي يذبّ عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا
يقرّ في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في
الذبّ كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذبّ عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى
يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل
وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله رضي الله عنه متذبذبين وعن أبي جعفر
مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبّة وتارة في دبّة فليسوا
بماضين على دبّة واحدة والدبّة الطريقة ومنها دبّة قريش ذلك إشارة إلى الكفر
والإيمان لا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا إلى هؤلاء ولا منسوبين
إلى هؤلاء فيكونوا مشركين لا تتخذوا الكافرين أولياء لا تتشبهوا بالمنافقين
في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء سلطانا مبينا حجة بيّنة يعني أن
موالاة الكافرين بيّنة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ
له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن
وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار
سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ
بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم فإن قلت لم كان
المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأنه مثله في الكفر وضم إلى كفره
الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم

فيسمّوا

من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم

إن المنافقين في

إلا الذين تابوا

في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به كما يثق المؤمنون الخلّص وأخلصوا دينهم
لله لا يبتغون بطاعاتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين فهم أصحاب المؤمنين
ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما فيشاركونهم
فيه ويساهمونهم فإن قلت من المنافق قلت هو في الشريعة
من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب ما يفسّق به بالمنافق
فللتغليظ كقوله عليه السلام من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه
السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم من
إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة
من المنافق فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر رضي الله عنهما
ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا
نعدّه من النفاق وعن الحسن رضي الله عنه أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه
فأصبح قد عمّم وقلّد وأعطي سيفا يعني الحجاج بن يوسف ما يفعل الله بعذابكم
أيتشفّى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به
ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك
وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن قمتم بشكر نعمته وآمنتم
به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا
أجوركم عليما بحق شكركم وإيمانكم فإن قلت لم قدّم الشكر على
الإيمان قلت لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه
للمنافع فيشكر شكرا مبهما فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر

رضي الله عنه

إن شكرتم

شكرا منفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان فكانه اصل التكليف ومداره قوله تع

الا من ظلم الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان

يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد

على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح

شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل

للانقطاع اى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر له بالسوء ويجوز ان يكون

من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني

زيد الا عمرو بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب

الا الله ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار

بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل

في الكرم والتخشع في العبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو

ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير

وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه

قوله تعالى فان الله كان عفوا قديرا اى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام

فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله

وآمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا

من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان

والكفر كقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا

اى طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول

ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء

ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا

لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال تع اولئك هم الكافرون حقا اى هم الكاملون في

الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو كونهم

في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه

فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت

ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم

الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان والمعنى لم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة

ومنه قوله تع لستن كاحد من النساء سوف نؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن

لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متأخرا روي ان كعب

بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت

نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام فنزلت وقيل

كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل

وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن رحمه الله ولو سألوه لكي يتبينوا الحق

لاعطاهم اياه ذلك وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت

ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم

في ايام موسى عليه السلام وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم

ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى ارنا نره جهرة بظلمهم بسبب سؤالهم

الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم

عليه السلام ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة

ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم

كاملين

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك

يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء

فاخذتهم الصاعقة

ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك

ورفعنا فوقهم الطور

وقلنا لهم

بأن يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين عجيبا فهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا وأطعنا ومعاهدتهم على أن يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ ولا تعتدوا ولا تعدّوا بإدغام التاء في الدال فيما نقضهم بنقضهم وما زائدة للتوكيد **فإن قلت** بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد **قلت** إما أن تتعلق بمحذوف كأنه قيل فيما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا وإما أن تتعلق بقوله تع حرمنا عليهم على أن قوله تع فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله تع فيما نقضهم ميثاقهم وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك.

وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف

فإن قلت هلا زعمت أن المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله تع بل طبع الله عليها فيكون التقدير فيما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم **قلت** لم يصح هذا التقدير لأن قوله تع بل طبع الله عليها بكفرهم رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك لأنهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف أن الله خلق قلوبنا غلفا أي في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة كما حكى الله تع عن المشركين وقالوا لو شاء الله ما عبدناهم وكمذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الألطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا أن تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قوله **فإن قلت** علام عطف قوله تع وبكفرهم **قلت** الوجه أن يعطف على فيما نقضهم ويجعل قوله تع بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله تع وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله تع بكفرهم **فإن قلت** ما معنى المجيء

بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل الإضراب أو على ما بعده وهو قوله تع وكفرهم بآيات الله وقوله تع بكفرهم **قلت** قد تكرر منهم الكفر لأنهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم أجمعين فعطف بعض كفرهم على بعض أو عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق وكفرهم بآيات الله وقتل الأنبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم أو بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية **فإن قلت** كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله **قلت** قالوه على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ويجوز أن يضع الله تع الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما أرادوا بمثله كقوله تع ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهادا روي أن رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب أمي فمسخ الله تع من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تع بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال عليه السلام لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله تع شبهه عليه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى عليه السلام فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم

وقولهم على مريم بهتانا عظيما

وقولهم

والذي

وما قتلوه وما صلبوه

فدخل بيت عيسى ورفع عيسى عليه السلام وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه
فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله
وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا
وان كان صاحبنا فأين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا **فان قلت** شبه مسند الى ماذا
ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى
المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر **قلت** هو مسند الى الجار والمجرور وهو
لهم كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع التشبيه لهم ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول
لأن قوله تعالى انا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن
استثناء منقطع لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن
فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا
بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين **قلت**
اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك
وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا او وما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم
انا قتلنا المسيح او تجعل يقينا تأكيدا لقوله تعالى وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا
اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما
اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لأنه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق
ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم ليؤمنن به جملة قسمية
واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه

وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم

بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما

وان من اهل الكتاب الا

وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى ما من اليهود والنصارى احد
الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبد الله ورسوله اذا عاين
قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن
حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية
وقال اني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك
فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله
أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني أتاك
عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه
ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني
محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من
عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت لما اردت الى ان تقول حدثني
محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لأنه
مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له
عكرمة رضي الله عنه فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى
يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال
يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة أبي رضي الله عنه
الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون
به قبل موتهم لأن احدا يصلح للجمع **فان قلت** ما فائدة الاخبار
بايمانهم بعيسى قبل موتهم **قلت** فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم لا بد

لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها
على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله تع
ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه
ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت
عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر
الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام
ويهلك الله تع في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل
والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل
الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله تع يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله
وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله
وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم من الذين هادوا فبأي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا
عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات
التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله تع وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان
وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم
في تحريف الكتاب لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم
الثابتون فيه المتفقهون المتبصرون والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من
المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح

واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس

المتقنون المستبصرون

يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك

والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما

لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع وقد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى
ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب
ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه
ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في
الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله تع ثلمة ليسدها من
بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون
بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء عليهم السلام وفي مصحف عبد الله والمقيمون
بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي رحمهم الله انا اوحينا
اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم
كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شأنه في الوحي اليه كشأن سائر الانبياء عليهم السلم
الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاء جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر في
معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي
قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب
انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح
الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان
ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على
الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله تع من الادلة التي النظر فيها
موصل الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة
ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون

كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا

ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما

وكان الله عزيزا حكيما

على النظر كما يرى علماء أهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل أمور الدين
وبيان أحوال التكليف وتعليم الشرائع فكان إرسالهم إزاحة للعلة وتتميما لإلزام
الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب
الانتباه له قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد **فإن قلت** الاستدراك لا بد
له من مستدرك فما هو في قوله تع لكن الله يشهد **قلت** لما سأل أهل الكتاب إنزال
الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله تع إنا أوحينا إليك قال لكن الله
يشهد بمعنى أنهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل إنا أوحينا إليك قالوا
ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله تع بما أنزل إليه إثباته
بصحته بإظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم
بأنه حق وصدق **فإن قلت** بم يجابون لو قالوا بم يعلم أن الملائكة
يشهدون بذلك **قلت** يجابون بأنه يعلم بشهادة الله لأنه لما علم بإظهار
المعجزات أنه شاهد بصحته علم أن الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته
لأن شهادتهم تبع لشهادته **فإن قلت** ما معنى قوله أنزله بعلمه وما موقعه
من الجملة التي قبله **قلت** معناه أنزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه
على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة
المفسرة لأنه بيان للشهادة وأن شهادته بصحته أنه أنزله بالنظم المعجز الفائت
للقدر وقيل أنزله وهو عالم بأنك أهل لإنزاله إليك وأنك مبلغه وقيل
أنزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل أنه أنزله وهو عالم به
رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك

بما أنزل إليك

كما قال تع في آخر سورة الجن الآية إلى قوله تع وأحاط بما لديهم والإحاطة بمعنى العلم وكفى
بالله شهيدا وإن لم يشهد غيره لأن التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل أي شيء
أكبر شهادة قل الله كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي أو كان بعضهم كافرين
وبعضهم ظالمين أصحاب كبائر لأنه لا فرق بين الفريقين في أنه لا يغفر لهما إلا
بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل إلى جهنم أو
لا يهديهم يوم القيمة طريقا إلا طريقها يسيرا أي لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم
وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لما بعثهم على الإيمان وعلى الانتهاء
عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال خيرا لكم أي اقصدوا أو ائتوا أمرا خيرا لكم
مما أنتم فيه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد لا تغلوا في دينكم غلت اليهود
في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفعه
عن مقداره حيث جعلوه إلها ولا تقولوا على الله إلا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد
قرأ جعفر بن محمد إنما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لأنه
وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه
لذلك لأنه ذو روح من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الأب الحي وإنما
اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى ألقاها إلى مريم أوصلها إليها وحصلها
فيها ثلثة خبر مبتدإ محذوف فإن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد
ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بأقنوم
الأب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلثة
وإلا فتقديره الآلهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح

إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا
إن الذين

إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله

يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما

يا أهل الكتاب

عيسى بن مريم رسول الله وكلمته

وروح منه فآمنوا بالله ورسله
ولا تقولوا

انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد

ومريم ثلاثة آلهة وأن المسيح ولد الله من مريم ألا ترى إلى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الأب والأم ويدل عليه قوله تع إنما المسيح عيسى بن مريم فأثبت أنه ولد لمريم اتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم وأن اتصاله بالله عز وجل من حيث أنه رسوله وأنه موجود بأمره وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى أن يتصل به اتصال الأبناء بالآباء وقوله تع سبحانه أن يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه أن يكون له ولد أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون أي سبحانه ما يكون له ولد على أن الكلام جملتان له ما في السموات وما في الأرض بيان لتنزهه عما نسب إليه يعني أن كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على أن الجزء إنما يصح في الأجسام وهو متعال عن صفات الأجسام والأعراض وكفى بالله وكيلا يكل إليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء إليه لن يستنكف لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع إذا نحيته عن خدك بإصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو أعلى منه قدرا وأعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومن في طبقتهم **فإن قلت** من أين دل قوله تع ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من فوقه **قلت** من حيث أن علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام إنما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب أن يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كأنه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل:

وما مثله ممن يجاود حاتم … ولا البحر ذو الأمواج يلتج زاخر

أي لا يجاوده حاتم لا شبهة في أنه قصد بالبحر ذي الأمواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله تع ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ علي رضي الله عنه عبيدا لله على التصغير وروي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال عليه السلام ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله ورسوله قال إنه ليس بعار أن يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو أولى بأن يستنكف لأن العار ألصق به **فإن قلت** علام عطف قوله تع ولا الملائكة **قلت** لا يخلو إما أن يعطف على المسيح أو على اسم يكون أو على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل عبد أبوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لأداء غيره إلى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو أن المسيح لا يأنف أن يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية أو أن يعبد الله تع هو ومن فوقه **فإن قلت** قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يراد ولا كل واحد من الملائكة أو ولا الملائكة المقربون أن يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه إيجازا وأما إذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون **فإن قلت** التفصيل غير مطابق للمفصل لأنه

أن يكون عبدا لله

اشتمل على الفريقين والمنفصل على فريق واحد **قلت** هو مثل قولك جمع الإمام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين أحدهما أن تحذف ذكر أحد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولأن ذكر أحدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف أحدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو أن الإحسان إلى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة إذا رأى أجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله تعالى البرهان والنور المبين القرآن أو أراد بالبرهان دين الحق أو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم إليه إلى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الإسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم وروي أنه آخر ما نزل من الأحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فأتاه جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت إن امرؤ هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز إيقاعه على الذكر وعلى الأنثى لأن الابن يسقط الأخت ولا يسقطها البنت إلا في مذهب ابن عباس رضي الله عنهما وبالأخت التي هي لأب وأم أو لأب دون التي لأم لأن الله تعالى فرض لها النصف وجعل أخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الأنثيين وأما الأخت للأم فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها وهو يرثها

يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم

يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة

وأخوها يرثها إن قدرنا الأمر على العكس من موتها وبقائه بعدها إن لم يكن لها ولد أي ابن لأن الابن يسقط الأخ دون البنت **فإن قلت** الابن لا يسقط الأخ وحده فإن الأب نظيره في الإسقاط فلم اقتصر على نفي الولد **قلت** بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى عصبة ذكر والأب أولى من الأخ وليسا بأول حكمين بين أحدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز أن يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لأن الولد أقرب إلى الميت من الوالد فإذا ورث الأخ عند انتفاء الأقرب فأولى أن يرث عند انتفاء الأبعد ولأن الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء أحدهما دالا على انتفاء الآخر **فإن قلت** إلى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وإن كانوا إخوة **قلت** أصله فإن كان من يرث بالأخوة اثنتين وإن كان من يرث بالأخوة ذكورا وإناثا وإنما قيل فإن كانتا وإن كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالإخوة الإخوة والأخوات تغليبا لحكم الذكورة أن تضلوا مفعول له ومعناه كراهة أن تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم تمت

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد وأوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق

فلهما الثلثان مما ترك

رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين

والله بكل شيء عليم

ونحوه قال

شبه بعقد الحبل ونحوه قول الحطيئة، قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم، شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا، وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها إياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وأنه كلام قدم مجملاً ثم عقب بالتفصيل وهو قوله تع أحلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات أربع في البر والبحر وإضافتها إلى الأنعام للبيان وهي الإضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الأنعام إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله تع حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه والأنعام الأزواج الثمانية وقيل بهيمة الأنعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم أرادوا ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الأنياب فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد وعن الأخفش أن انتصابه عن قوله تع أوفوا بالعقود وقوله تع وأنتم حرم حال عن محلي الصيد كأنه قيل أحللنا لكم بعض الأنعام في حال امتناعكم من الصيد وأنتم محرمون لئلا نحرج عليكم إن الله يحكم ما يريد من الأحكام ويعلم أنه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعاراً وعلماً للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والأفعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدي ما أهدي إلى البيت ويتقرب

أحلت لكم بهيمة الأنعام

يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد

به إلى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل أو عروة مزادة أو لحاء شجر أو غيره وآمين البيت الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار وإحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وأن يحال بينها وبين المتنسكين وأن يحدثوا في أشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وأن يتعرض للهدي بالغصب أو بالمنع من بلوغ محله وأما القلائد ففيها وجهان أحدهما أن يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لأنها أشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كأنه قيل والقلائد منها خصوصاً والثاني أن ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى لا تحلوا قلائدها فضلاً أن تحلوها كما قال تع ولا يبدين زينتهن فنهى عن إبداء الزينة مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوماً قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلاً من ربهم وهو الثواب ورضواناً وهو أن يرضى عنهم أي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيماً لهم واستنكاراً أن يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرموا حرامها قال الحسن ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المسلمون والمشركون يحجون جميعاً فنهى الله المسلمين أن يمنعوا أحداً عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي رضي الله عنهما لا تحلوا نسخ بقوله تع واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بأن المشركين كانوا يظنون في أنفسهم

أن يتعرض

أنهم على سداد من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله فوصفهم الله تعالى بظنهم وقرأ عبد الله ولا
آمي البيت الحرام على الإضافة وقرأ حميد بن قيس والأعرج تبتغون بالتاء على خطاب
المؤمنين فاصطادوا إباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كأنه قيل وإذا حللتم فلا
جناح عليكم أن تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند
الابتداء وقرئ وإذا أحللتم يقال حل المحرم وأحل جرم يجري مجرى كسب في تعديه
إلى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته إياه ويقال
أجرمته ذنبا على نقل المتعدي إلى مفعول بالهمزة إلى مفعولين كقولهم أكسبته ذنبا وعليه
قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء وأول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين
والثاني أن تعتدوا وأن صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن
شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لأن صدوكم
الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ إن صدوكم على الشرطية وفي قراءة عبد الله
إن يصدوكم ومعنى صدهم عن المسجد الحرام منع أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بإلحاق مكروه بهم
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والإغضاء ولا تعاونوا على الإثم والعدوان
على الانتقام والتشفي ويجوز أن يراد العموم لكل بر وتقوى وكل إثم وعدوان فيتناول
بعمومه العفو والانتصار فاصله كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة
التي تموت حتف أنفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم
من فزد له وما أهل لغير الله به أي رفع الصوت لغير الله وهو قولهم باسم اللات
والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت أو انخنقت بسبب

وإذا حللتم — شنآن قوم — أن تعتدوا — حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير — والموقوذة

والمتردية — والنطيحة

التي أثخنوها ضربا بعصا أو حجر حتى ماتت والتي تردت من جبل أو في بئر فماتت والتي
نطحتها أخرى فماتت بالنطح وما أكل السبع بعضه إلا ما ذكيتم إلا ما أدركتم ذكاته
وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب أوداجه وقرأ عبد الله والمنطوحة وفي
قراءة أبي عمرو والسبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وأكيل السبع وما
ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم
عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به إليها تسمى الأنصاب والنصب واحد
قال الأعشى: وذا النصب المنصوب لا تعبدنه لعاقبة والله ربك فاعبدا
وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وأن تستقسموا
بالأزلام وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان أحدهم إذا أراد سفرا أو غزوا
أو تجارة أو نكاحا أو أمرا من معاظم الأمور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها
نهاني ربي وعلى بعضها أمرني ربي وبعضها غفل فإن خرج الآمر مضى لطيته وإن
خرج الناهي أمسك وإن خرج الغفل أجالها عودا فمعنى الاستقسام بالأزلام
طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالأزلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور
على الأنصباء المعلومة ذلكم فسق الإشارة إلى الاستقسام أو إلى تناول ما حرم
عليهم لأن المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فإن قلت لم كان
استقسام المسافر وغيره بالأزلام لتعرف الحال فسقا قلت لأنه دخول
في علم الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والأرض
الغيب إلا الله واعتقاد أن إليه طريقا وإلى استنباطه وقوله أمرني ربي ونهاني
ربي افتراء على الله تعالى وما يدريه أنه أمره أو نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة

رواية: ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

وان كان اراد بالرب الصنم فقد دوي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فان قيل
ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه
من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا
تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحو الآن في قوله
الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل اريد
يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع
يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان ترجعوا محللين
لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه
لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد اظهار
الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا
غالبين واخشوني واخلصوا لي الخشية اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم
وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا
ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت
لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع
وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها
آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لا يحج معكم مشرك ولا
يطوف معكم عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه
قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة
الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا بمعنى اخترته لكم من بين سائر الاديان

وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه
امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله تعالى فمن اضطر في مخمصة غير
قلت بذكر المحرمات وقوله تعالى ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم
وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة
او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله
غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك في السؤال معنى القول فلذلك
وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل
لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو
قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا واحل لهم خبره كقولك اي شيء
احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من
خبيثات المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث
منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح
عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل
ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم كالكلب والفهد
والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التاديب والتثقيف واشتقاقه
من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه
او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك

فأكله السبع أو من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا إذا كان
ضارياً به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فإن قلت ما فائدة هذه الحال
وقد استغني عنها بعلمتم قلت فائدتها أن يكون من يعلم الجوارح نحريراً
في علمه مدرباً فيه موصوفاً بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية أو استيناف
وفيه فائدة جليلة وهي أن على كل من أخذ علماً أن لا يأخذه إلا من أقتل أهله
علماً وأنحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وإن احتاج إلى أن يضرب إليه
أكباد الإبل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع أيامه وعض عند لقاء النحارير
أنامله مما علمكم الله من علم التكليب لأنه إلهام من الله ومكتسب بالعقل أو مما
عرفكم أن تعلموه من اتباع الصيد بإرسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
بدعائه وإمساك الصيد عليه وأن لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف

فكلوا مما أمسكن عليكم

وأفعل وفعل يشتركان كثيراً والإمساك على صاحبه أن لا يأكل منه لقوله
صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رضي الله عنه وإن أكل منه فلا تأكل
فإنما أمسكه على نفسه وعن علي رضي الله عنه إذا أكل البازي فلا تأكل

إنما أمسك

وفرق العلماء رحمهم الله فاشترطوا في سباع البهائم ترك الأكل لأنها تؤدب
بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الأكل أصلاً
ولم يفرق بين إمساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة
رضي الله عنهم إذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل
فإن قلت إلام يرجع الضمير في قوله تعالى واذكروا اسم الله عليه قلت
إما أن يرجع إلى ما أمسكن على معنى وسموا عليه إذا أدركتم ذكاته أو إلى ما علمتم

من الجوارح أي سموا عليه عند إرساله وطعام الذين أوتوا الكتاب قيل
هو ذبائحهم وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي
أنه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها
إلا شرب الخمر وبه أخذ الشافعي رحمه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين
وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله وحكم الصابئين حكم أهل الكتاب
عند أبي حنيفة رضي الله عنه وقال صاحباه رحمهما الله هم صنفان
صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتاباً
ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب وأما المجوس فقد سن
بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم
وقد روي عن ابن المسيب أنه قال إذا كان المسلم مريضاً فأمر المجوسي أن
يذكر اسم الله فلا بأس وقال أبو ثور وإن أمره بذلك في الصحة فلا بأس
وقد أساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم أن تطعموهم لأنه لو كان حراماً عليهم

من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن

طعام المؤمنين لما ساغ لهم إطعامهم والمحصنات الحرائر أو العفائف وتخصيصهن
بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والإماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق
وكذلك نكاح غير العفائف منهن وأما الإماء الكتابيات فعند أبي حنيفة
هن كالمسلمات وخالفه الشافعي رحمه الله وكان ابن عمر رضي الله عنهما
لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
ويقول لا أعلم شركاً أعظم من قولها إن ربها عيسى وعن عطاء رحمه الله

قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان
صدايق والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرايع الاسلام
وما احل الله وحرم اذا قمتم الى الصلوة كقوله تع فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل **فان قلت**
لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل **قلت** لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل
عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيته فكما عبر عن القدرة على
الفعل بالفعل في قولهم ان الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران
والابصار ومنه قوله تع نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا
قادرين على الاعادة فكذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل
عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام
ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل
المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى
اذا قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا
له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه **فان قلت** ظاهر الآية
يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه **قلت**
يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون
للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده رضي الله عنهم انهم كانوا
يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ على طهر كتب الله له
عشر حسنات وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم

فقد حبط عمله وهو في
الآخرة من الخاسرين
يا ايها الذين آمنوا

الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر رضي الله عنه
صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز
فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على
وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب **قلت** لا لان تناول الكلمة الواحدة لمعنيين
مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا
اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر
يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله تع فنظرة الى ميسرة لان الاعسار
علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في
كلتي الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب
الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان
الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله تعالى
الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط
فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود رحمهما الله بالمتيقن فلم يدخلاها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد
الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه
وقد اخذ مالك رحمه الله بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف
الرواية واخذ الشافعي رحمه الله باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ
ابو حنيفة رضي الله عنه ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روي انه عليه السلام

فاغسلوا وجوهكم وايديكم

مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس. قرأ جماعة وأرجلكم بالنصب فدل
على أن الأرجل مغسولة. فإن قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح
قلت الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت
مظنة للإسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه
على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل إلى الكعبين فجيء بالغاية إماطة لظن
ظان يحسبها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه
أنه أشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للأعقاب من النار
فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر رضي الله عنهما كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم وأعقابهم بيض تلوح فقال ويل للأعقاب
من النار وفي رواية جابر رضي الله عنه ويل للعراقيب من النار وعن عمر رضي الله عنه
أنه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فأمره أن يعيد الوضوء وذلك للتغليظ
عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا أحب إلي من أن أمسح على القدمين بغير خفين
وعن عطاء رضي الله عنه والله ما علمت أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس إلى ظاهر العطف فأوجب المسح وعن
الحسن رحمه الله أنه جمع بين الأمرين وروي عن الشعبي رحمه الله نزل القرآن بالمسح
والغسل سنة وقرأ الحسن رحمه الله وأرجلكم بالرفع بمعنى وأرجلكم مغسولة أو ممسوحة
إلى الكعبين وقرئ فاطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله
فأموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم
في التيمم ولكن يريد ليطهركم بالتراب إذا أعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم

وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه

وليتم برخصه إنعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله
عليكم وهي نعمة الإسلام وميثاقه الذي واثقكم به أي عاقدكم به عقدا وثيقا
وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا
سمعنا وأطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدي يجرمنكم
بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن
يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا فحذف مع أن ونحوه قوله عليه السلام
من أتبع على مليء فليتبع لأنه بمعنى أحيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في
المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل
فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا مما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب
ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد أو ما أشبه
ذلك اعدلوا هو أقرب نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف
فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر
بالعدل وهو قوله تعالى هو أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى وأدخل في
مناسبتها أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن
وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة
فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه لهم مغفرة وأجر
عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قال قدم لهم وعدا فقيل أي
شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم

إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن

بيعة الرضوان هي التي كانت تحت الشجرة

قوم على أن لا تعدلوا

واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو بجعل وعد
واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه
قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم هذا القول من لا يخلف الميعاد فقد وعدهم
مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة
فيسرون به ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل
الوصول إلى الثواب. روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرم
وأصحابه رضي الله عنهم قاموا إلى صلوة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان
في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها
صلوة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلوة العصر. وهموا بأن يوقعوا
بهم إذا قاموا لها فنزل جبرئيل عليه السلام بصلوة الخوف. وروي أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم
يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا
بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تع يده
ونزل جبرئيل عليه السلام فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في
العضاة يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه على شجرة
فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقال من
يمنعك مني فقال الله قالها ثلثا فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقب يقال بسط إليه لسانه إذا شتمه وبسط إليه

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم

يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد
مدها إلى المبطوش به ألا ترى إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف
أيديهم عنكم منعها أن تمد إليكم. لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون
أمرهم الله تعالى بالمسير إلى أريحا أرض الشام. وكان يسكنها الكنعانيون
الجبابرة وقال لهم إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها
فإني ناصركم وأمر موسى عليه السلام بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على
قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل
وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم
موسى عليه السلام أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوفنا من سبط
يهوذا ويوشع بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف عليه السلام وكانا من النقباء
والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لأنه يتعرفها
إني معكم ناصركم ومعينكم وعزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو
ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال
عزرت الرجل إذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لأنصرنك
نصرا مؤزرا أي قويا وقيل معناه ولقد أخذنا ميثاقهم بالإيمان والتوحيد وبعثنا
منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
واللام في لئن أقمتم موطئة للقسم وفي لأكفرن جواب له وهذا الجواب ساد
مسد جواب القسم والشرط جميعا بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فإن قلت

واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا

وقال الله

لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي

وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر

بعد ذلك منكم

من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل **قلت** اجل ولكن الضلال
بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت
النعمة زاد قبح الكفر وتمادى لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا
وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم
ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة
حتى قست وقرا عبد الله قسية اي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي
وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين وان المغشوش فيه
يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة
وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة
اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا
وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني ان تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ
عظيم او قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية
وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبيان نعته ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان
عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك
ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة
على خيانة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة كقولهم رجل راوية
للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة

فبما نقضهم ميثاقهم

مغل الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم
فاعف عنهم بعث مخالفتهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل فاعف
عن مؤمنيهم ولا تواخذهم بما سلف منهم اخذنا ميثاقهم اخذنا من النصارى
ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى عليه السلام اي مثل ميثاقهم بالايمان
بالله ورسله وبافعال الخير او اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك **فان قلت**
هلا قيل من النصارى **قلت** لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تع
وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية
وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه
ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى
المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا اهل الكتاب خطاب لليهود
والنصارى مما كنتم تخفون من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة
دينية ولم تكن فيه فائدة الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك
الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن رحمه الله ويعفو عن كثير
منكم لا يواخذه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه
ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر
الاعجاز من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من
عذاب الله او سبل الله قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح

ومن الذين قالوا انا نصارى

فنسوا حظا مما ذكروا به

العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون

من الكتاب

ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا

لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن
مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا ان اراد ان يهلك من دعوه
الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من في
الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق
ما يشاء اي يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق
من غير ذكر وانثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر
المجري على يده ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب
وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول رهط مسيلمة نحن انبياء الله ويقول
اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم
فلم يعذبكم بذنوبكم فان صح لكم انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون
بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله
لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم
احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر من جملة من خلق من البشر
يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة يبين لكم
اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول
لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون
المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة متعلق

جميعا
والله على كل شيء قدير
وقالت اليهود والنصارى نحن
قل
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا

بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا
كراهة ان تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم
وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل
ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون سنة وقال الكلبي رضي الله عنه
كان بين موسى وبين عيسى عليهما السلام الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد
بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار
الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى
الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم
جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم
ملوكا لانه ملككم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم
تكاثر الانبياء عليهم السلام وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى
انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له
بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق ما لم
يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم الارض المقدسة ارض بيت
المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق
وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم عليه السلام ميراثا لولده حين رفع
على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء

ما جاءنا من بشير ولا نذير
بشير ونذير والله على كل شيء قدير
وآتاكم
يا قوم ادخلوا

ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا
على أدباركم ولا تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل
لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر فقالوا
تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز أن يراد لا ترتدوا على أدباركم
في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة
الجبار فعال من جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على
ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل
رجلان من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبابرة وهما رجلان منهم أنعم الله عليهما
بالإيمان فآمنا قالا لهم إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم
فإنكم غالبوهم تشجيعا بهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك
أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين وقيل هو من الإخافة ومعناه من الذين يخوفون
من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب **فإن قلت**
ما محل أنعم الله عليهما **قلت** إن انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف
لرجلان فمرفوع وإن جعل كلاما معترضا فلا محل له **فإن قلت** من أين علما
أنهم غالبون **قلت** من جهة إخبار موسى عليه السلام بذلك وقوله كتب الله لكم
وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنيع
الله لموسى عليه السلام في قهر أعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم لن
ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس وأبدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر

قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون

فتنقلبوا

قالوا يا موسى إنا

المتطاول وما داموا فيها بيان للأبد فاذهب أنت وربك يحتمل أن لا يقصدوا
حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الإرادة والقصد للجواب
كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة
مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي
عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليها مقابلة ذهابهما بقعودهم
ويحكى أن موسى عليهما السلام وهرون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا
برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله تعالى لتجدن أشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا
ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هرون عليه السلام
قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والحزن والشكوى
الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه
قول يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه
أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما أجابه إلا رجلان فتنفس
الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وذكر في إعراب أخي وجوه أن
يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في إني بمعنى لا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك
إلا نفسه ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون
كذلك لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير
في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور إلا بتكرير الجار **فإن قلت**
أما كان معه الرجلان المذكوران **قلت** كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن

فقاتلا إنا هاهنا قاعدون

الى نبأهما لماذا وقع على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلوّنهم
وقسوة قلوبهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز
ان يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد
ومن يواخيني على ديني فافرق بيننا فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق
وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها
محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم
كقوله نجني من القوم الظالمين فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها
ولا يملكونها **فان قلت** كيف توفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد
قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا
مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني
اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل
لما مات موسى عليه السلام بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره
بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم
وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال
انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذراريهم فقاتلوا الجبارين
ودخلوها والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى يتيهون في الارض
يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي
انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سموا

وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود
من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم
ولد كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله **فان قلت** هل كان معهم في التيه موسى
وهرون عليهما السلام **قلت** اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا
وقد طلب موسى عليه السلام الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم
الا انه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لابراهيم عليه السلام وملائكة
العذاب وروي ان هرون عليه السلام مات في التيه ومات موسى عليه السلام بعده فيه
بسنة ودخل يوشع عليه السلام اريحا بعد موته بثلثة اشهر ومات النقباء في التيه
بغتة الا كالب ويوشع بن نون فلا تأس فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم
وقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم هما ابنا آدم عليه السلام لصلبه
قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأمة
الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما
آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته
فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل
بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتل نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين
او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه او اتل عليهم وانت محق صادق واذ قربا
نصب بالنبإ اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبإ اي اتل
عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان اسم ما يتقرب به الى الله

على القوم الفاسقين واتل عليهم نبأ ابني آدم

قربانا

من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم لما يحلى اي يعطى يقال قرب صدقة
وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع
فيعدي بالباء حتى يكون بمعنى قرب **فان قلت** كيف كان قوله تعالى انما
يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك **قلت** لما كان الحسد لاخيه على تقبل
قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اوتيت من قبل نفسك لانسلاخها
من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله
التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان
الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن
عامر بن عبد الله انه بكا حين حضرته الوفاة فقيل له وما يبكيك فقد كنت وكنت
فقال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم
له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي
فان قلت كيف يحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى **قلت**
المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته
تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه السلام
المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي عليه اثم سبه
ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه
معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الا ترى الى قوله عليه السلام ما لم يعتد المظلوم

تقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال

لئن بسطت الي يدك لتقتلني

لانه اذا خرج عن حد المكافاة واعتدى لم يسلم **فان قلت** فحين كف هابيل عن قتل
اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله
فيجتمع عليه الاثمان **قلت** هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قيل اني
اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذي
من اجله لم يتقبل قربانك **فان قلت** كيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه
بالنار **قلت** كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله تعالى
وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد
الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب
فان قلت لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله
لئن بسطت ما انا بباسط **قلت** ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف
الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه
فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت له
نفسه وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه
كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة
حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا روي انه
اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به
فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه

فقتله فاصبح من الخاسرين

في الحفرة فقال يا ويلتا أعجزت ويروى أنه لما قتله إسودّ جسده وكان أبيض
فسأله آدم عليه السلام عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلاً فقال بل قتلته
ولذلك اسودّ جسدك وروي أن آدم عليه السلام مكث بعد قتله مائة سنة
لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون
وقد صح أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر ليريه ليريه الله
أو ليريه الغراب أي ليعلمه لأنه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه
على سبيل المجاز سوءة أخيه عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسده
والسوءة الفضيحة لقبحها قال يا القوم للسوءة السوآء أي للفضيحة
العظيمة فكنى بها عنها فأواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على
فأنا أواري أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله
لما تعب فيه من حمله وتحيّره في أمره وتبيّن له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد
لونه وسخط أبيه ولم يندم ندم التائبين من أجل ذلك بسبب ذلك وبعلته
وقيل أصله من أجل شراً إذا أجناه يأجله أجلاً ومنه قول الشاعر

وأهل خباء صالح ذات بينهم ۞ قد احتربوا في عاجل أنا آجله

كأنك إذا قلت من أجلك فعلت كذا أردت من أن جنيت فعله وأوجبته
ويدل عليه قولهم من جرّاك فعلته أي من أن جررته بمعنى جنيته وذلك إشارة
إلى القتل المذكور أي من أن جنى ذلك القتل الكتب وجرّ كتبنا على بني إسرائيل
ومن لابتداء الغاية أي ابتدأ الكتب ونشأ من أجل ذلك ويقال فعلت كذا لأجل كذا
وقد يقال أجل كذا بحذف الجار وإيصال الفعل قال أجل أن الله قد فضلكم

وقرئ من أجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لإلقاء حركتها عليها وقرأ أبو جعفر
من أجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فإذا خفف كسر النون ملقياً لكسرة الهمزة عليها بغير
نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص أو فساد عطف على نفس بمعنى أو بغير فساد
في الأرض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن أحياها ومن استنقذها من بعض
أسباب الهلكة قتل أو غرق أو حرق أو هدم أو غير ذلك فإن قلت
كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لأن كل إنسان يدلي بما
يدلي به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فإذا قتل فقد أهين ما كرم على الله
وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق إذاً بين الواحد والجميع في ذلك فإن قلت
فما الفائدة في ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب
ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لأن المتعرض
لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك
الذي أراد إحياءها وعن مجاهد رضي الله عنه قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله
والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك وعن الحسن رحمه الله يا ابن
آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعاً أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازي ذلك
فيغفر لك به كلا إنه شيء سوّلته لك نفسك والشيطان فكذلك إذا قتلت
واحداً بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات لمسرفون يعني
في القتل لا يبالون بعظمته يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة
المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الأرض فساداً مفسدين أو لأن سعيهم في الأرض
لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون في الأرض فانتصب فساداً على المعنى

ويجوز أن يكون مفعولا له أي للفساد نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فأوحى الله تعالى إليه أن من جمع بين القتل وأخذ
المال قتل وصلب ومن أفرد القتل قتل ومن أفرد أخذ المال قطعت يده لأخذ المال ورجله
لإخافة السبيل ومن أفرد الإخافة نفي من الأرض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق
كافرا كان أو مسلما ومعناه أن يقتلوا من غير صلب إن أفردوا القتل أو يصلبوا مع القتل
إن جمعوا بين القتل والأخذ قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن
حتى يموت أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف إن أخذوا المال أو ينفوا من الأرض
إذا لم يزيدوا على الإخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي رحمهما الله أن الإمام
مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي الحبس عند أبي حنيفة
رضي الله عنه وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب
فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد باليمن في أقصى تهامة
وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة خزي ذل وفضيحة إلا الذين استثناء من المعاقبين
عقاب قطع الطريق خاصة وأما حكم القتل والجراح وأخذ المال فإلى الأولياء إن
شاؤوا عفوا وإن شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه أن الحارث بن بدر جاءه تائبا
بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة الوسيلة كل ما يتوسل به
أي يتقرب به من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى
من فعل الطاعات وترك المعاصي وأنشد للبيد. أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
ألا كل ذي لب إلى الله واسل. ليفتدوا به ليجعلوه فدية لأنفسهم وهذا تمثيل

للزوم العذاب لهم وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به
فيقول نعم فيقال له قد سئلت ما هو أيسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر أن
فإن قلت لم وحد الراجع في ليفتدوا به وقد ذكر شيئان **قلت**
هو نحو قوله فإني وقيار بها لغريب. أو على إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة
كأنه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز أن يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع
إليه **فإن قلت** فبم ينتصب المفعول معه **قلت** بما يستدعيه
لو من الفعل لأن التقدير لو ثبت أن لهم ما في الأرض قرأ أبو واقد أن يخرجوا
بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله وما هم بخارجين وما يروى
عن عكرمة رضي الله عنه أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس رضي الله عنهما
يا أعمى البصر أعمى القلب تزعم أن قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم
بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس
بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهر أعضاده من قريش وأنضاده من بني عبد المطلب
وهو حبر الأمة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله أحد من أهل
الدنيا وبرفعه إلى عكرمة دليلين ناصين أن الحديث فرية ما فيها مرية
والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه
كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما ووجه آخر
وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا أيديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط

والاسم

الشرط

لان المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ايديهما لان اسم الموصول يضمن معنى
وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا
فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما
اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة
عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق فى الشريعة من سرق
من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذى يجب به القطع
عشرة دراهم عند ابى حنيفة رضى الله عنه وعند مالك والشافعى رحمهما الله ربع دينار
وعن الحسن رحمه الله درهم وفى مواعظه احذر من قطع يدك فى درهم جزاء ونكالا
مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصى
عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا يسقطه
التوبة عند ابى حنيفة واصحابه رضى الله عنهم وعند الشافعى فى احد قوليه تسقطه
من يشاء من يجب فى الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين
وقيل يسقط حد الحربى اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد
من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان فى اقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم
فى القصاص حيوة **فان قلت** لم قدم التعذيب على المغفرة **قلت**
لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون
والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين فى الكفر اى فى اظهاره بما يلوح منهم
من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فانى ناصرك عليهم وكافيك شرهم
يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم

في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول
قالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون
اى ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على
هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما
يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك
يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يعنى اليهود
الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة
البغضاء وتبالغ من العداوة اى قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين فى العداوة
الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل
والتغيير سماعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل قوم آخرين من اليهود لعلهما
وجهوهم ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون
يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها
فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن
مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه وافتاكم محمد بخلافه
فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروى ان شريفا من خيبر زنى
بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا
منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم
محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم

عيونا مع جواسيس

والتحميم تسويد الوجه بالفحم

وتحميم الوجه

فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم
ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
قالوا نعم هو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق
آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من
احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان
ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها
من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي
الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند
باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا
فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يمنحهم من الطافه
ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم السحت كل ما
لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال الله تعالى
يمحق الله الربوا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين
على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون
الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن رحمه الله كان الحاكم في بني اسرائيل اذا
اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر
الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه

فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي من القوم نحن
كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء
والنخعي والشعبي رحمهم الله انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا
وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله تع وان احكم بينهم بما انزل الله
وعند ابي حنيفة رضي الله عنه ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى
منهم رجل بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا
يرون اقامة الحدود يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود
ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك
شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان
الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء
بان يعادوه ويضاروه فامن الله تع سربه بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم
بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم
منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون
من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين
بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم
فان قلت فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب **قلت** اما ان
ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك

[illegible]

ف الموماة المفازة والدوداة الارجوحة الصبي

وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة
لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب
فما تصنع بغيره **فان قلت** لم انث التوراة **قلت** لكونها نظيرة
لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب **فان قلت** علام عطف ثم يتولون
قلت على يحكمونك فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم وانبهم
من الاحكام الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات
الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود
وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان
اليهودية بمعزل منها وقوله تع الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون
والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين
وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من
التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من
كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام
التوراة النبيون بين موسى وعيسى عليهما السلام وكان بينهما الف نبي وعيسى للذين
هادوا يحملونهم على احكام التوراة لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد
وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم
من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير
في استحفظوا للانبياء عليهم السلام والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله

ف الادهان المداراة والملاينة وترك الجد

اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم
غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية
سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا
ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس
كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة
فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون
والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا بآيات الله بالاستهانة
وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الكافرين والظالمين
والفاسقين اهل الكتاب وعنه رضي الله عنه نعم القوم انتم ما كان من حلو
فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به
وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي رضي الله عنه هذه في اهل الاسلام والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود رضي الله عنهما هو عام في اليهود
وغيرهم وعن حذيفة رضي الله عنه انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن
طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل
ام لا في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات
كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا
عليهم فيها النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي
قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله
وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستئناف

والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلها بغير حق وكذلك
العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف
المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق
من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق
يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه
ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب
الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته
له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فأجره على الله
وترغيب في العفو قفيناه مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته
به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء **فان قلت** فاين المفعول الاول في الآية
قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى
به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله تعالى يحكم بها النبيون
الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج بعجمته عن
زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله
النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا
مفعولا لهما لقوله تعالى وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما
انزل الله فيه من الاحكام **فان قلت** فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا
فما تصنع بقوله وليحكم **قلت** اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما

مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ
وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة ابي وان ليحكم بزيادة
ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه
الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسى صلوات الله عليه
كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام
فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك
قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه
وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة **فان قلت**
اي فرق بين التعريفين في قوله تعالى وانزلنا اليك الكتاب وقوله تعالى لما بين يديه
من الكتاب **قلت** الاول تعريف العهد لانه عني به القرآن والثاني
تعريف الجنس لانه عني به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد
لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم
منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب لانه
يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه
بان حوفظ من التغيير والتبديل كما قال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف
منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولا شمأزوا رادين منكرين ضمن
ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك
من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وقرئ

رواه بعضهم ومهيمنا بفتح الميم الثانية
ومن غريبة لا احب القراءة بها لان الاجماع
في القراءة على كسر الميم في قوله عز وجل المؤمن
المهيمن واختلف الناس في تفسير قوله
ومهيمنا عليه فقال بعضهم معناه وشاهدا
عليه وقال بعضهم رقيبا عليه وقال
بعضهم مؤتمنا عليه وقال بعضهم المهيمن
اسم من اسماء الله في الكتب القديمة وقال
بعضهم مهيمن في معنى مؤتمن الا ان الهاء
بدل من الهمزة والاصل مؤتمنا عليه كما قالوا
هرقت الماء وارقته وكما قالوا اياك
وهياك هذا قول محمد بن يزيد وهو على مذهب
العربية حسن الى هنا لفظ الزجاج في معاني
القرآن

يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا طريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل
هذا دليل على انا غير متعبدين بشرايع من قبلنا لجعلكم امة واحدة جماعة
متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه
ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين
معتقدين انها مصالح قد اختلفت على قدر الاحوال والاوقات معترفين بان
الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون
في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استيناف
في معنى التعليل لاستباق الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من
الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل فان قلت
وان احكم بينهم معطوف على ماذا قلت على الكتاب في قوله تع وانزلنا
اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه
فعل كساير الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان
احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستزلوك ~~وذلك~~
وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا
غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله تعالى

وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد
وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واستسرافهم
في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا
اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو في معنى البعضية فكذلك اذا صرح
بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من
التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما
ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بينهم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل
بين القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء اي سواء
فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود
بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر
عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله تعالى وعن الحسن رضي الله عنه هو عام في كل من
يبتغي غير حكم الله تعالى والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله تعالى وحكم بجهل فهو
حكم الشيطان وسئل طاوس رضي الله عنه عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض
فقرا هذه الاية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون
برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن
الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت
ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرا قتادة رضي الله عنه
افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيرها من

ام قاضيهم

حكام الجاهلية فأراد وا بسفههم أن يكون محمد خاتم النبيين حكما كأولئك الحكام
اللام في قوله تع لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك أي هذا الخطاب وهذا الاستفهام
لقوم يوقنون فإنهم هم الذين يتبينون أن لا أعدل من الله ولا أحسن حكما منه لا تتخذوهم
أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة
المؤمنين ثم علل النهي بقوله تع بعضهم أولياء بعض أي إنما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد
ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم
فإنه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف
في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول
عمر لأبي موسى رضي الله عنهما في كاتبه النصراني لا تكرموهم إذ أهانهم الله ولا تأمنوهم
إذ خونهم الله ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله وروي أنه قال له أبو موسى لا قوام للبصرة
إلا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب أنه قد مات فما كنت تكون صانعا
حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره إن الله لا يهدي القوم الظالمين يعني
الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله تع ألطافه ويخذلهم مقتا لهم يسارعون
فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بأنهم لا يأمنون أن تصيبهم
دائرة من دوائر الزمان أي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا إليهم وإلى
معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لي موالي من يهود كثيرا عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله
ورسوله فقال عبد الله بن أبي ~~رضي الله عنه~~ إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية
موالي وهم يهود بني قينقاع فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم

غصن الشجر

على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم
فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به أنفسهم وذلك أنهم كانوا يشكون في
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما نظن أن يتم له أمر وبالحري أن
تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل أو أمر من عنده أو أن يؤمر النبي صلى
الله عليه وسلم
بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل أو أمر من عند الله
لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فأعطوا
بأيديهم من غير أن يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ بالنصب
عطفا على أن يأتي وبالرفع على أنه كلام مبتدأ أي ويقول الذين آمنوا في ذلك
الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام
كذلك على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين
آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا **فإن قلت** لمن يقولون هذا القول **قلت**
إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق
في الإخلاص أهؤلاء الذين كانوا أقسموا لكم بأغلاظ الأيمان إنهم أولياؤكم
ومعاضدوكم على الكفار وإما أن يقولوه لليهود لأنهم حلفوا لهم بالمعاضدة
والنصرة كما حكى الله تعالى عنهم وإن قوتلتم لننصرنكم حبطت أعمالهم من جملة قول المؤمنين
أي بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي أعين الناس وفيه معنى التعجب كأنه
قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم أو من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الأعمال
وتعجيبا من سوء حالهم قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو من الكائنات التي أخبر
عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة ثلث في عهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مذحج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان
كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل رضي الله عنه والى سادات
اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيّته فقتله واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسرّ المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب عليه السلام من محمد رسول الله
الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على
يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر
الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد
تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم الى الشام ثم اسلم
وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن
وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل
وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة
التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري

امت سجاح ووالاها مسيلمة ❁ كذابة في بني الدنيا وكذاب ❁

وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى

الله امرهم على يدي ابي بكر الصديق وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان
قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف
يأتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه فقال قوم هذا وقيل هم الفان من النخع وخمسة
آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية
وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب
على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا
لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء
مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله تعالى لعباده ان
يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما يعتقده
اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت
طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة من الصوف
وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم
عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم
التي ابن عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ومن
كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات
دون النعوت والصفات ومنها الحب ان يلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك
لم تكن فيه حقيقة **فان قلت** اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن
لمعنى الشرط **قلت** هو محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم

غيرهم أو ما أشبه ذلك إذ أذلة جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم أنه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه أن ذلولا لا يجمع على أذلة **فإن قلت** هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف كأنه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فإنهم كانوا موالين لليهود لعنت فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما يعلمون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وأن تكون للعطف على أن من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وأنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر من أمور الدين إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعهم عنه قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليهم لجهلهم في إنكارهم وضلالهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام ذلك إشارة إلى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم أن له لطفا كثير الفواضل والألطاف عليم بمن هو من أهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تع إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى إنما وجوب اختصاصهم بالموالاة **فإن قلت** قد ذكرت جماعة فهلا قيل إنما أولياؤكم **قلت** أصل الكلام إنما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام أصل وتبع وفي قراءة عبد الله إنما مولاكم **فإن قلت** الذين يقيمون ما محله **قلت** الرفع على البدل من الذين آمنوا أو على هم الذين يقيمون أو النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا أو واطأت قلوبهم ألسنتهم إلا أنهم مفرطون في العمل وهم راكعون الواو للحال أي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله إذا صلوا وإذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وإنها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته **فإن قلت** كيف صح أن يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة **قلت** جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه إلى الفراغ منها فإن حزب الله من إقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فإنهم هم الغالبون ولكنهم جعلوا بذلك أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم ويحتمل أن يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب

روي أن رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال
من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل
باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل
المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار إطلاقا للكفار
على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار
بالنصب والجر ويعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار
وغيرها إن كنتم مؤمنين حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين اتخذوها
الضمير للصلوة أو للمناداة وقيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن
يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار
ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو
وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده
لا يعقلون لأن لعبهم وهزءهم من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قرأ
الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون
إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم فاسقون **فإن قلت**
علام عطف قوله تعالى وأن أكثركم فاسقون **قلت** فيه وجوه منها
أن يعطف على أن آمنا بمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم وخروجكم
عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الإسلام
وأنتم خارجون منه ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أي واعتقاد أنكم
فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا إلا الإيمان بالله وبما

وبما أنزل وبأن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون الواو بمعنى مع أي وما تنقمون
منا إلا الإيمان مع أن أكثركم فاسقون ويجوز أن يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف
كأنه قيل وما تنقمون منا إلا الإيمان لقلة إنصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات
ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفر من اليهود فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال أومن بالله وما أنزل إلينا
إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم أهل
دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن
ميسرة وإن أكثركم بالكسر ويحتمل أن ينتصب وأن أكثركم بفعل محذوف يدل
عليه هل تنقمون أي ولا تنقمون أن أكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر
محذوف أي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لأنكم علمتم أنا على الحق وأنكم على الباطل
إلا أن حب الرياسة وكسب الأموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك إشارة إلى المنقوم ولا
بد من حذف مضاف قبله أو قبل من تقديره بشر من أهل ذلك من لعنه الله ومن
لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار
أو في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثالها مشورة ومشورة **فإن قلت**
المثوبة مختصة بالإحسان فكيف جاءت في الإساءة **قلت** وضعت
المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم
بعذاب أليم **فإن قلت** المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك
بينهم في العقوبة **قلت** كان اليهود لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون
مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من أهل

الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه قيل ومن عبد الطاغوت
وفي قراءة أبي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ
وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو
في العبودة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال

أبني لبينى إن أمكم ۝ أمة وإن أباكم عبد ۝

وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد
بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء للإضافة
أو هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد وأعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول
وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت
معبودا من دون الله كقولك أمر إذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله
فإن قلت كيف جاز أن يجعل الله منهم عباد الطاغوت **قلت**
فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم
به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وقيل الطاغوت
العجل لأنه معبود من دون الله ولأن عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت
عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما أطاعوا
الكهنة وكل من أطاع أحدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت قيل
وجعل منهم القردة أصحاب السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى عليه السلام
وقيل كلا المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة
القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم أولئك هم الملعونون الممسوخون شر

مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله وفيه مبالغة ليست في قولك أولئك شر
وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا
يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره
الله تعالى بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به
من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان أي دخلوا
كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله تعالى وقد دخلوا
وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو أن
أمارات النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا
لإظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا
ذلك وهذه حالهم الإثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم
وقيل الإثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الإثم ما يختص بهم
والعدوان ما يتعداهم إلى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس
ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى صانعا
ولا كل عمل يسمى صنعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وكأن المعنى
في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها
وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد
حالا من المواقع ولعمري إن هذه الآية مما يقد السامع وينعى على العلماء مواثيقهم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك رضي الله عنه ما في
القرآن آية أخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى

في نـ الكبائر

في نـ صناعة

في نـ توانيهم

والعرب تسمي البخيل مغلول اليدين
إنه ممسك اليدين عن العطاء كالذي
هو مغلول تحتا وهو كما قال تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك
تفسير

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات
يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما
كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا
يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى
المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان قبض اليد وبسطها عبارتان
وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله
جاد الحمى بسط اليدين بوابل ❊ شكرت نداه تلاعه ووهاده ❊ ولقد جعل
لبيد للشمال يدا في قوله اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ❊ ويقال بسط اليأس
كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن
لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلص
من يد الطاعن اذا عبثت به **فان قلت** قد صح ان قوله تع يد الله
مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه
والا تنافر الكلام وزل عن سننه **قلت** يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم
بالبخل والنكد ومن ثمة كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر
❊ بقيت وفري وانحرفت عن العلى ❊ ولقيت اضيافي بوجه عبوس ❊
ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة
معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول
سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع **فان قلت**
كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد **قلت**

المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا
الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة
التي تخزيهم وتمزق اعراضهم **فان قلت** لم ثنيت اليد في قوله
بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة **قلت** ليكون رد
قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه
وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبنى
المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان
يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد
للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان
الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله
في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة
فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا
فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا
بآيات الله والقينا بينهم العداوة فكلهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق
بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم
نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا
حكم التورية فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس
الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل
كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة رضي الله عنه لا تلقى

اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون في
الكيد للاسلام ويحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم ولو
ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به وقرنوا
ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات
ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي
اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب
التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى
وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين
الاطناب ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما
فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم من سائر كتب الله
لانهم مكلفون للايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع
الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
عبارة عن التوسعة وفيه ثلثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات
الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض
من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية
واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم
ما اسوء عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم بلغ ما انزل

اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف
ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ
رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك
ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فان لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها
وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا وغير مبلغ مؤمنا به
غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله تع برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى
الله تع الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت

فان قلت

وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته

قلت فيه وجهان

احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله تع في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم
يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء
ولو كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل
النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه
كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله صلى
الله عليه وسلم فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك من الناس
عدة من الله تع بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما
عذرك في مراقبتهم

فان قلت

اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم
يوم احد وكسرت رباعيته

قلت

المراد انه يعصمه من القتل وفيه

أن عليه أن يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما أشد تكليف الأنبياء عليهم السلام
وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله تعالى إن الله لا يهدي القوم
الكافرين ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون إنزاله بك من الهلاك وعن أنس رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم فقال
يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله من الناس لستم على شيء أي على دين يعتد به
حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه
وفي أمثالهم أقل من لا شيء فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فإن
ضرر ذلك راجع إليهم لا إليك وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء
وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز إن من اسمها وخبرها كأنه قيل
إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وأنشد
سيبويه شاهدا له ❊ وإلا فاعلموا أنا وأنتم ❊ بغاة ما بقينا في شقاق ❊
أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك **فإن قلت** هلا زعمت أن ارتفاعه
للعطف على محل إن واسمها **قلت** لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول
إن زيدا وعمرو منطلقان **فإن قلت** لم لا يصح والنية به التأخير
وكأنك قلت إن زيدا منطلق وعمرو **قلت** لأني إذا رفعته رفعته عطفا
على محل إن واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر
لأن الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما ينتظمهما إن في عملها فلو رفعت الصابئون
المنوي به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بإن لأعملت فيهما رافعين مختلفين
فإن قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو

قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة وهو قوله إن الذين آمنوا
إلى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها **فإن قلت** ما التقديم والتأخير
إلا لفائدة فما الفائدة في هذا التقديم **قلت** فائدته التنبيه على أن
الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك
أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين إلا لأنهم
صبأوا عن الأديان كلها أي خرجوا كما أن الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على أن المخاطبين
أوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل
قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما **فإن قلت**
فلو قيل والصابئين وإياكم لكان التقديم حاصلا **قلت** لو قيل هكذا
لم يكن من التقديم في شيء لأنه لا إزالة فيه عن موضعه وإنما يقال مقدم ومؤخر
للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام **فإن قلت**
كيف قيل الذين آمنوا ثم قيل من آمن **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يراد
بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على
الإيمان واستقام وأن لا تخالجه ريبة فيه **فإن قلت** ما محل من آمن
قلت إما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر إن وإما النصب على البدل من اسم إن وما عطف عليه
أو من المعطوف عليه **فإن قلت** فأين الراجع إلى اسم إن **قلت**
محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة
وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون بياء صريحة والصابون وهو من

صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل
والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله يا ايها
الذين امنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل بالتوحيد وارسلنا
اليهم رسلا ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول
جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى
انفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع
فان قلت اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان
اكرمت اخي اخاك اكرمت **قلت** هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله تع فريقا كذبوا
جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم **فان قلت** لم جيء
باحد الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا **قلت** جيء بيقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها قرئ ان
لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا
تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان **فان قلت** كيف دخل
فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق **قلت** نزل حسبانهم لقوته في
صدورهم منزلة العلم **فان قلت** فاين مفعولا حسب **قلت**
سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى
وحسب بنو اسرائيل انهم لا تصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والاخرة

ومن قرا بالرفع فالمعنى انه لا تكون فتنة
اي حسبوا فعلهم غير فاتن لهم
ح

فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله
عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله تع
وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم
وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته
بركبتك كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر
مبتداء محذوف اي اولئك كثير منهم لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم
في انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته
او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين
اي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه وما للظالمين من
انما قيل من انصار تعبيرا لهم لانهم كانوا يعتقدون ان لهم انصارا كثيرا لنفي الله ذلك ق
انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلم
فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك
ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون
ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الاخرة
من عذاب الله من في قوله تع وما من اله الا اله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا
التي لنفي الجنس في قولك لا اله الا الله والمعنى وما من اله قط في الوجود الا اله
موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له ومن في قوله ليمسن
الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان **فان قلت**
فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم **قلت** في اقامة الظاهر مقام المضمر
فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله تع لقد كفر الذين قالوا وفي البيان

لان معنى لا اله الا الله
لا من اله الا الله ح

فائدة اخرى وهي الاعلام في تفسير الذين كفروا بهم انهم مكان من الكفر
والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب اليم اي نوع شديد
الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب خاصة لا من غيرها من
الاجناس التي يجوز ان يثنا ولها عشرون ويجوز ان يكون للتبعيض على معنى ليمسن
الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية افلا يتوبون بعد هذه
الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب
من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم قد خلت من قبله
الرسل صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله
جاء بايات من الله كما اتوا بامثالها ان ابراء الله الابرص واحيي الموتى على يده
فقد احيي العصا وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه
من غير ذكر فقد خلق آدم عليه السلام من غير ذكر وانثى وامه صديقة
اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المومنات بهم فما
منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم
امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا
تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما
في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من
الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط
وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره
من الاجسام كيف نبين لهم الايات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم

تريد من الثياب

الا يتوبون

انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله **فان قلت** ما معنى
التراخي في قوله ثم انظر **قلت** معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم
الايات بيانا عجبا وان اعراضهم عنها اعجب منه ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع
ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصايب في الانفس والاموال ولا ان
ينفعكم بمثل ما ينفعكم به الله من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما
يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله تع وتمكينه فكانه لا يملك
منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع
ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته
والله هو السميع العليم متعلق با تعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو
الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع
العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا
وهو حي قادر غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا
باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يفحص عن حقايقه ويفتش عن اباعد
معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضوان
وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه
كما يفعل اهل الاهواء والبدع قد ضلوا من قبل هم ائمتهم في النصرانية كانوا على
الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث
وضلوا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه
وبغوا عليه نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى عليهما السلام

عجبا

الله اعلم بهم

وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية
فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى اللهم
عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين
والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل
ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان
سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء
بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا
يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في
اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبائهم به كانه ليس من ملة الاسلام

كانهم ليسوا

في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب

فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء

قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية
وهو اعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه

فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل

قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا
فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد
لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله بل يصرون عليه
ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه
ترى كثيرا منهم هم منافقو اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم

ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة
سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله عليهم ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا
عن نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا
على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في
كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون
ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون وصف الله تع شدة شكيمة
اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم
وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين
بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله تعالى
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة
مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء
وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف
ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله على الفوز
حتى علم القسيسين وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب
والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم الله برقة القلوب
وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال
لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون
وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال

جعفر

جعفر فيه سورة تنسب اليها فقراها الى قوله تع ذلك عيسى بن مريم وقرا
سورة طه الى قوله تع وهل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل
قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا
حين قرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا **فان قلت**
بم تعلقت اللام في قوله تع للذين آمنوا **قلت** بعداوة ومودة على
ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا
واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يوذن
بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب **فان قلت**
ما معنى قوله تفيض من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض
لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض
الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب
او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها
اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا **فان قلت**
اي فرق بين من ومن في قوله تع مما عرفوا من الحق **قلت** الاولى لابتداء
الغاية على ان فيض الدمع ابتدا ونشا من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه
والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على انهم
عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرءوا القرآن
واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به
انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد الذين

هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم
وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نومن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان
مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما
رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك واراد وما لنا لا نومن بالله وحده
لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نومن النصب على الحال بمعنى غير
مومنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال **فان قلت**
ما العامل في الحال الاولى والثانية **قلت** العامل في الاولى ما في
اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مومنين وفي الثانية معنى هذا
الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن
كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نومن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا
يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا مع الصالحين وان يكون معطوفا
على لا نومن على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي
له ان يطمع في صحبة الصالحين قرا الحسن فاتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن
اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات
ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها عن انفسكم
كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا
منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف يوم القيمة
لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان
بن مظعون رضي الله عنهم واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش

بين التثليث وبين الطمع في صحبة
الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع مع

ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا في الارض ويجبّوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني
اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني
ونزلت وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان
يعجبه الحلواء والعسل وقال عليه السلام ان المومن حلو يحب الحلاوة وعن
ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال
نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن رضي الله عنه انه دعي الى طعام ومعه
فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج
المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو
صايم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد أترى
لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه رضي الله عنه انه قيل له فلان
لا ياكل الفالوذ ويقول لا اودي شكره قال افيشرب الماء البارد قال نعم
قال انه جاهل ان نعمة الله تعالى عليه في الماء البارد اكبر من نعمته عليه في
الفالوذ وعنه رحمه الله ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال
لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا
ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوا ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل الله لكم
الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء
وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على

عقيبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله اي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا
حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للوصية بما امر به وزاده تاكيدا
بقوله الذي انتم به مومنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به
وعما نهى عنه اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عايشة
رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب
الشافعي رحمه الله وعن مجاهد رضي الله عنه هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك
وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان
وهو توثيقها بالقصد والنية وروي ان الحسن رحمه الله سئل عن لغو اليمين وكان
الفرزدق عنده فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال
ولست بماخوذ بلغو تقوله ٭ اذا لم تعمد عاقدات العزائم ٭ وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن
يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المواخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث
ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها
ان تكفر الخطيئة اي تسترها من اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف
في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر
او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي رحمه الله مد لكل مسكين
وقرا جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي في جمع
ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين
الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رايت معدي كرب تشبيها للياء بالالف
او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحو قدوة في قدوة

اللغو في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه امر ويسمى ما ليس معتدا به وان كان موجودا لغوا فاعلم الله تعالى ان اليمين التي يواخذ بها العبد ويجب في نقضها الكفارة ما جري على عقد من معاني الزجاج

اوسطنا تطعمون اهليكم على ضربين احدهما اوسطه في القدر والقيمة والاخر اوسطه في الشبع لا يكون الماكول يفرط في اكله فيوكل منه فوق القصد وقدر الحاجة ولا يكون دون المغني من الجوع معاني الزجاج

ووجه ان من اوسط بدل من الاطعام والبدل هو المقصود لان البدل ... التحقيق

والاسوة في اسوع والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت العباة
تجزي يومئذ وعن ابن عمر رضي الله عنهما ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد
رضي الله عنه ثوب جامع وعن الحسن رضي الله عنه ثوبان ابيضان وقرا سعيد
بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا
لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم **فان قلت** ما محل
الكاف **قلت** الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان
لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي رحمه الله الايمان قياسا على كفارة
القتل واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل
كفارة سوى القتل **فان قلت** ما معنى او **قلت** التخيير وايجاب
احدى الكفارات الثلث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد
احداها فصيام ثلثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة رضي الله عنه تمسكا بقراءة
ابي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد رضي الله عنه
كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة
ايمانكم ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث
الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة
انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة
واصحابه رحمهم الله ويجوز عند الشافعي رحمه الله بالمال اذا لم يعص الحانث
واحفظوا ايمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية
لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها

وقيل احفظوها بان تكفروها صح

كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شريعته
واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه اكد تحريم
الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما
بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه
جعلهما رجسا كما قال تع فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من
عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب
ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب
خطيئة وخيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع
التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله
وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله تع فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه
قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف
منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا **فان قلت**
الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه **قلت** الى المضاف المحذوف كانه
قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال تع رجس من
عمل الشيطان **فان قلت** لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام
اولا ثم افردهما اخرا **قلت** لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا
يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم
الخمر والميسر واظهارا ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه
باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من

والميسر

شرب خمرا أو قامر ثم أفردها بالذكر ليري أن المقصود بالذكر الخمر والميسر
وقوله تع وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلوة
خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا حذروا دعاهم الحذر إلى اتقاء
كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر أو في
ترك طاعة الله تعالى والرسول فإن توليتم فاعلموا أنكم لن تضروا بتوليكم الرسول
لأن الرسول ما كلف إلا البلاغ بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما
كلفتموه رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها
إذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا
وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا
أعمالهم أو أحسنوا إلى الناس وآسوهم بما رزقهم الله تعالى من الطيبات وقيل
لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا
وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء
طعموه من المباحات إذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك
كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله
أن يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح ليس على أحد جناح
في المباح إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير
مؤاخذ بما فعل نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم
حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة

المبين صح

فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد
لاحق به **فإن قلت** ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد
قلت قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض
عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال وإنما هو شبيه بما
ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده هذا الأمر المحقر فكيف
يثبتون عند ما هو أشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء حرم محرمون جمع حرام
كردح في جمع رداح والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم أن ما يقتله
مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد
فإذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا
فهو مخطئ **فإن قلت** محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ
فما بال العمد مشروطا في الآية **قلت** لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد
روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه
فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل المتعمد
والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال أمره ومن عاد
فينتقم الله منه وعن الزهري رضي الله عنه نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة
بالخطاء وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لا أرى في الخطاء شيئا أخذا باشتراط
العمد في الآية وعن الحسن رحمه الله روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا
بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند أبي حنيفة رضي الله عنه
قيمة الصيد يقوم حيث صيد فإن بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين أن

أي سبب نزولها

أبو اليسر البدري اسمه كعب بن عمرو كذا ذكره الحافظ أبو موسى في كتاب الأمالي ح

يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل
مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعن
محمد والشافعي رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم
عدل الى قول ابي حنيفة رضي الله عنه **فان قلت** فما يصنع من يفسر
المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة **قلت**
قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله
تعالى في الآية التي قبل فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشتري بالقيمة في احد
وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزي
بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام
او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم
اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير
فاذا كان شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو
عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما
كيف خير بين الاشياء الثلثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرا عبد الله فجزاؤه
مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل
بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من
ضرب زيد وقرا السلمي على الاصل وقرا محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما
بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرا الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة

على حرف الحلق فسكنه يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين
قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون
الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسال عمر فشاور عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله
ما علم امير المؤمنين حتى سال غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال اتغمص الفتيا
وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا
عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد
الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة
خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره
ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته
غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت
عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند الشافعي رحمه الله في الحرم **فان قلت**
بم يرفع كفارة من ينصب جزاء **قلت** يجعلها خبر مبتدا محذوف
كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها
على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة
مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى
خاتم من فضة وقرا الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحده لانه واقع موقع
التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما
ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار

بكسر الميم والصاد المهملة يعني تحتقرها وتطعن فيها ومنه يقال للرجل اذا كان مطعونا عليه في دينه انه لمغموص عليه كذا ذكره ابو عبيد في غريب الحديث

العدل المثل ومنه قوله تعالى او عدل ذلك صياما قال ابو بكر العدل ما عادل الشيء من جنسه والعدل ما عادله من غير جنسه تقول عندي عدل درهم وعندي عدل دراهم وعندي عدل درهم من الدراهم وعندي عدل عدل من الثياب كذا في غريبه

وَمِنْهُ عِدْلُ الْحِمْلِ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِدْلٌ بِالْآخَرِ حَتَّى اعْتَدَلَا كَأَنَّ الْمَفْتُوحَ تَسْمِيَةٌ
بِالْمَصْدَرِ وَالْمَكْسُورَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ بِهِ كَالذِّبْحِ وَالطِّحْنِ وَنَحْوِهِمَا الطِّحْنُ وَالْحِمْلُ وَذَلِكَ إِشَارَةٌ
إِلَى الطَّعَامِ وَصِيَامًا تَمْيِيزٌ لِلْعَدْلِ كَقَوْلِكَ لِي مِثْلُهُ رَجُلًا وَالْخِيَارُ فِي ذَلِكَ إِلَى قَاتِلِ الصَّيْدِ
عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَبِي يُوسُفَ رَحِمَهُمَا اللهُ وَعِنْدَ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ إِلَى الْحَكَمَيْنِ لِيَذُوقَ مُتَعَلِّقٌ
بِقَوْلِهِ فَجَزَاءٌ أَيْ فَعَلَيْهِ أَنْ يُجَازِيَ أَوْ يُكَفِّرَ لِيَذُوقَ سُوءَ عَاقِبَةِ هَتْكِهِ لِحُرْمَةِ الْإِحْرَامِ
وَالْوَبَالُ الْمَكْرُوهُ وَالضَّرَرُ الَّذِي يَنَالُ فِي الْعَاقِبَةِ مِنْ عَمَلِ سُوءٍ لِثِقَلِهِ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى
فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ثَقِيلًا وَالطَّعَامُ الْوَبِيلُ الَّذِي يَثْقُلُ عَلَى الْمَعِدَةِ فَلَا يُسْتَمْرَأُ عَفَا اللهُ عَمَّا
سَلَفَ لَكُمْ مِنَ الصَّيْدِ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ قَبْلَ أَنْ تُرَاجِعُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَتَسْأَلُوهُ عَنْ جَوَازِهِ وَقِيلَ عَمَّا سَلَفَ لَكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْهُ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَعَبِّدِينَ
بِشَرَائِعَ مَنْ قَبْلَهُمْ وَكَانَ الصَّيْدُ فِيهَا مُحَرَّمًا وَمَنْ عَادَ إِلَى قَتْلِ الصَّيْدِ وَهُوَ مُحْرِمٌ بَعْدَ
نُزُولِ النَّهْيِ عَنْهُ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ يَنْتَقِمُ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ فَهُوَ يَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ
وَلِذَلِكَ دَخَلَتِ الْفَاءُ وَنَحْوُهُ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ يَعْنِي يَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ
وَاخْتُلِفَ فِي وُجُوبِ الْكَفَّارَةِ عَلَى الْعَائِدِ فَعَنْ عَطَاءٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وُجُوبُهَا وَعَلَيْهِ عَامَّةُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللهُ وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشُرَيْحٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ لَا كَفَّارَةَ عَلَيْهِ تَعَلُّقًا بِالظَّاهِرِ وَأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْكَفَّارَةَ فِي الْمَرَّةِ
الثَّانِيَةِ صَيْدُ الْبَحْرِ مَصِيدَاتُ الْبَحْرِ مِمَّا يُؤْكَلُ وَمِمَّا لَا يُؤْكَلُ وَطَعَامُهُ وَمَا يُطْعَمُ
مِنْ صَيْدِهِ وَالْمَعْنَى أُحِلَّ لَكُمُ الِانْتِفَاعُ بِجَمِيعِ مَا يُصَادُ فِي الْبَحْرِ وَأُحِلَّ لَكُمْ أَكْلُ
الْمَأْكُولِ مِنْهُ وَهُوَ السَّمَكُ وَحْدَهُ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي لَيْلَى
جَمِيعُ مَا يُصَادُ فِيهِ عَلَى أَنَّ تَفْسِيرَ الْآيَةِ عِنْدَهُ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ كُلِّ حَيَوَانِ الْبَحْرِ وَأَنْ تَطْعَمُوهُ

مَتَاعًا لَكُمْ مَفْعُولٌ لَهُ أَيْ أُحِلَّ لَكُمْ تَمْتِيعًا لَكُمْ وَهُوَ فِي الْمَفْعُولِ لَهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً فِي بَابِ الْحَالِ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى مَتَاعًا لَكُمْ مَفْعُولٌ لَهُ مُخْتَصٌّ
بِالطَّعَامِ كَمَا أَنَّ نَافِلَةً حَالٌ مُخْتَصَّةٌ بِيَعْقُوبَ يَعْنِي أُحِلَّ لَكُمْ طَعَامُهُ تَمْتِيعًا لِتُنَائِكُمْ
يَأْكُلُونَهُ طَرِيًّا وَلِسَيَّارَتِكُمْ يَتَزَوَّدُونَهُ قَدِيدًا كَمَا تَزَوَّدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحُوتَ فِي
مَسِيرِهِ إِلَى الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُرِئَ وَطُعْمُهُ وَصَيْدُ الْبَرِّ مَا صِيدَ فِيهِ وَهُوَ مَا يُفَرِّخُ فِيهِ
وَإِنْ كَانَ يَعِيشُ فِي الْمَاءِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ كَطَيْرِ الْمَاءِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
وَاخْتُلِفَ فِيهِ فَمِنْهُمْ مَنْ حَرَّمَ عَلَى الْمُحْرِمِ كُلَّ شَيْءٍ يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الصَّيْدِ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ
أَنَّهُمْ أَجَازُوا لِلْمُحْرِمِ أَكْلَ مَا صَادَهُ الْحَلَالُ وَإِنْ صَادَهُ لِأَجْلِهِ إِذَا لَمْ يَدُلَّ وَلَمْ يُشِرْ
وَكَذَلِكَ مَا ذَبَحَ قَبْلَ إِحْرَامِهِ وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَعِنْدَ
مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ رَحِمَهُمُ اللهُ لَا يُبَاحُ لَهُ مَا صِيدَ لِأَجْلِهِ **فَإِنْ قُلْتَ**
مَا يَصْنَعُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِعُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى صَيْدُ الْبَرِّ **قُلْتُ** قَدْ أَخَذَ
أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا
لِأَنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ أَنَّهُ أَرَادَ صَيْدَ الْمُحْرِمِينَ دُونَ صَيْدِ غَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْمُخَاطَبُونَ
فَكَأَنَّهُ قِيلَ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ مَا صِدْتُمْ فِي الْبَرِّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ مَصِيدُ غَيْرِهِمْ وَمَصِيدُهُمْ
حِينَ كَانُوا غَيْرَ مُحْرِمِينَ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا
الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ أَيِ اللهُ تَعَالَى
وَقُرِئَ مَا دِمْتُمْ بِكَسْرِ الدَّالِ فِيمَنْ يَقُولُ دَامَ يَدَامُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ عَطْفُ بَيَانٍ عَلَى
جِهَةِ الْمَدْحِ لَا عَلَى جِهَةِ التَّوْضِيحِ كَمَا تَجِيءُ الصِّفَةُ كَذَلِكَ قِيَامًا لِلنَّاسِ انْتِعَاشًا لَهُمْ فِي

قال الزجاج متاعا لكم منصوب مصدر مؤكد لأنه لما قال تعالى أحل لكم كان دليلا على أنه قد متعكم به كما أنه لما قال حرمت عليكم كان دليلا على أنه قد كتب عليكم فقال كتاب الله عليكم م

لساكنيكم

أي جعل الله في حكمه وشرعه على ألسنة أنبيائه الكعبة قواما لأمور الناس ونظاما لها وكذلك جعل الأشهر الحرم والهدي والقلائد التي توجه إلى الكعبة يأمنون بقصد الكعبة ودخول هذه الأشهر وتوجيه الهدايا إلى مكة شرفها من كل ذي شر من التيسير

أمر دينهم ودنياهم ونهوضاً إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم
من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وأنواع منافعهم وعن عطاء بن أبي رباح لو تركوه عاماً
واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام والشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة
لأن لاختصاصه من بين الأشهر بإقامة موسم الحج فيه شأناً قد عرفه الله تعالى
وقيل عني به جنس الأشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصاً
وهو البدن لأن الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر ذلك إشارة إلى جعل
الكعبة قياماً للناس أو إلى ما ذكر من حفظ حرمة الإحرام بترك الصيد وغيره
لتعلموا أن الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما أمركم به وكلفكم
شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول إلا البلاغ
تشديد في إيجاب القيام بما أمر به وأن الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ
وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون بين الخبيث
والطيب بعيد عند الله تعالى وإن كان قريباً عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث
حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فإن ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل
لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح
العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا
الطيب وإن قل على الخبيث وإن كثر ومن حق هذه الآية أن تكفح بها وجوه المجرة
إذا افتخروا بالكثرة • وكاثر بسعد إن سعداً كثيرة • ولا ترج من سعد
وفاء ولا نصرا • لا يدهمنك من دهمائهم عدد • فإن جلهم بل كلهم بقر •
وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين أراد المسلمون أن يوقعوا بهم فنهوا عن الإيقاع

بهم وإن كانوا مشركين الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعني قوله تع إن تبد لكم تسؤكم
وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للأشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم إن أفتاكم بها وكلفكم إياها
تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي أن سراقة بن مالك أو
عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى أعاد مسألته ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك أن أقول
نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم
فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء
فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإن تسألوا حين ينزل القرآن
وإن تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم
يوحى إليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون أنفسكم لغضب الله
بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عنكم عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته **فإن قلت**
كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال قد سألها ولم يقل سأل عنها **قلت**
الضمير في سألها ليس براجع إلى أشياء حتى يجب تعديته بعن وإنما هو راجع إلى المسألة
التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الأولين ثم أصبحوا بها أي
بمرجوعها وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها
فهلكوا كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها
أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي لم يركبها

بأمره

أو بتبيانها كافرين

واسمها البحيرة وكان الرجل يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي
سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا
قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت
ذكرا فهو لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر
لآلهتهم وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل
عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب
وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون
فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم الواو في
قوله أولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك
ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي
وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على أهل العتو والفساد
من الكفرة يتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها
والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على
ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو
مخاطب به وليس المراد ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما
مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه
وعن ابن مسعود رضي الله عنهما أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها
اليوم مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم

أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه
ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها السيف والسوط
والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال للسائل
سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا
بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وإن من
ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له سفهت أباك ولاموه فنزلت
عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا إصلاح أنفسكم ولذلك
جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان
أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة رضي الله عنه لا يضيركم وأن
يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء إتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها
من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم ولا
يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره ارتفع اثنان على أنه خبر
للمبتدإ الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل
شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم
بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان وإذا
حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي إبداله منه دليل على وجوب
الوصية وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها

وحضور الموت مسادقة وظهور امارات بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم
من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم
احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى
لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين
ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم
وانما جازت في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر
وعن مكحول نسخها قوله تع واشهدوا ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل
بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن
اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه
في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات
ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه
فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة
من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او بعد الظهر لان
اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند
المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل
هي صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم
والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل

ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد بهما الوصيان فليس بمنسوخ
تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير
في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نشتري به ثمنا لا نستبدل بصحة القسم بالله
عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على
معنى ان هذه عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا
قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة الله اي الشهادة
التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا آلله بالمد على
طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر
سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول
الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام
النون فيها كقوله عاد لولي **فان قلت** ما موقع تحبسونهما **قلت**
هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل
تحبسونهما **فان قلت** كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة
قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد
كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز
ان يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان تكون الصلوة لطفا
في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال
انهما لمن الاثمين فاخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم

أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته
وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما
وأن شهادتهما أحق من شهادتهما والأوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان وقيل هما بدل من الضمير
في يقومان أو من آخران ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من الذين استحق عليهم انتداب
الأوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الأولين على أنه وصف للذين
استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة
لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الأولان
ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله لا يرون ذلك
فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما
ادعيا الشرا فيما كتما فأنكرت الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشرى
فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء
للفاعل وهو علي وأبي وابن عباس رضي الله عنهم **قلت** معناه من الورثة
الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة
ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك الذي تقدم من بيان الحكم أدنى أن يأتوا بالشهادة
على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان أن تكرر أيمان شهود
آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع إجابة
وقبول يوم يجمع الله بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه
قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما

يفعل بغيرهم أو ينتصب بإضمار اذكر أو يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت
وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد
الجواب لقيل بماذا أجبتم **فإن قلت** ما معنى سؤالهم **قلت**
توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤودة توبيخا للوائد **فإن قلت**
كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا **قلت** يعلمون أن الغرض
بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم وكابدوا
من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم على
الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع
توبيخ الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان
خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار
منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد
توبيخه وتبكيته فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم سلطانه
واتكالا عليه وإظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول
ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب إليهم عقولهم
بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لأنك
علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم
لرسلهم فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا
وإنما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون
موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت

اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب
على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان اذ قال الله بدل من يوم يجمع
والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر
على ايديهم من الايات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة او جاوزوا حد التصديق
الى ان اتخذوهم الهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى عليه السلام
من الايات والبينات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين ايدتك قويتك
وقرئ آيدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيي به الدين واضافه
الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه تكلم الناس وفي المهد
في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد فيه دليل على حد
من الطفولة وقيل روح القدس جبرئيل عليه السلام ايد به لتثبيت الحجة
فان قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا **قلت** معناه
تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين
الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء
والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما
جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب
كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف
لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف
اليها لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون تخرج
الموتى تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة

وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله وقيل
لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر
لغد شيئا يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما
امسى بات اوحيت الى الحواريين امرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من اسلم
وجهه لله عيسى في محل النصب على اتباع حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو
وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه
قوله · أجار بن عمرو كأني خمر · لان الترخيم لا يكون الا في المضموم **فان قلت**
كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم **قلت** ما وصفهم الله
بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فآذن ان دعواهم
كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين
معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم اتقوا الله معناه اتقوا الله ولا تشكوا
في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الايات
فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة
وقرئ هل تستطيع ربك اي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من
غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من
ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل او نكون من الشاهدين لله
بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها في موضع الحال وكانت
دعواهم للارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب

ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على
البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب اللهم اصله يا الله
فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا عيدا اي
يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثمة اتخذه النصارى عيدا
وقيل السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه يكون لنا سرورا وفرحا
وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثني ويرث لاولنا واخرنا بدل من لنا
بتكرير العامل اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها
آخر الناس كما يأكل اولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفي قراءة زيد لاولانا
واخرانا والتأنيث بمعنى الامة والجماعة عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا اعذبه
للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء • روي ان عيسى عليه السلام
لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى
عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا
مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها
ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى عليه السلام
فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة
مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله

العيد صح

بلغت

أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى
بالقدرة العالية كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون
يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى
فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا
بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر
بعد منكم فاني اعذبه عذابا قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت
والله لو نزلت لكانت عيدا الى يوم القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت سبحانك
من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله في نفسي
في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة
وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام الغيوب
تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه
علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة
لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له
اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يوسط بينهما حرف التفسير لا تقول
ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر
فمسند الى ضمير الله فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله تعالى
لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون
بدلا مما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم
مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته

لأنّ العبادة لا تعالى وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله
مقام الهاء فقلت إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع إليه
من صلته **فإن قلت** فكيف يصنع **قلت** يحمل فعل القول على
معناه لأنّ معنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ما أمرتهم إلا بما أمرتني به حتى
يستقيم تفسيره بأن اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز أن تكون أن موصولة عطف بيان
للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من أن
يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم تمنعهم من القول
بما نصبت لهم من الأدلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت إليهم من الرسل إن
تعذبهم فإنهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لأنبيائك وإن تغفر لهم
فإنك أنت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب
إلا عن حكمة وصواب **فإن قلت** المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال
وإن تغفر لهم **قلت** ما قال إنك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على إن
فقال إن عذبتهم عدلت لأنهم أحقاء بالعذاب وإن غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم
في المغفرة وجه حكمة لأنّ المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم
أعظم جرما كان العفو أحسن قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والإضافة وبالنصب
إما على أنه ظرف لقال وإما على أنّ هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي
ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز أن يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لأنه
مضاف إلى متمكن وقرأ الأعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي
فإن قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم إن أريد صدقهم
في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وإن أريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد
فيه لأنه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة
قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن
قتادة رضي الله عنه متكلمان تكلما يوم القيمة أما إبليس فقال إن الله وعدكم وعد الحق
فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه وأما عيسى عليه السلام
فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه **فإن قلت** في السموات
والأرض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن **قلت**
ما يتناول الأجناس كلها تناولا عاما ألا تراك تقول إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو قبل
أن تعرف أعاقل هو أم غير فكان أولى بإرادة العموم ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المائدة أعطي من الأجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر
درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا ۞ والله أعلم بالصواب

سورة الأنعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم جعل يتعدى إلى
مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله وجعل الظلمات والنور وإلى
مفعولين إذا كان بمعنى صيّر كقوله تع وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
إناثا والفرق بين الخلق والجعل أنّ الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى
التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئا أو نقله من مكان إلى مكان
ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لأنّ الظلمات من الأجرام
المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم أزواجا أجعل الآلهة إلها واحدا **فإن قلت**

لم أفرد النور **قلت** للقصد إلى الجنس كقوله والملك على أرجائها أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار **فإن قلت** علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون **قلت** إما على قوله الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته وإما على قوله خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه **فإن قلت** فما معنى ثم **قلت** استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم ثم قضى أجلا أجل الموت وأجل مسمى عنده أجل القيمة وقيل الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الأول النوم والثاني الموت **فإن قلت** المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله وأجل مسمى عنده **قلت** لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك **فإن قلت** الكلام السائر أن يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم **قلت** أوجبه أن المعنى وأي أجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله أو وهو المعروف بالإلهية

أو المتوحد بالإلهية فيها أو هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز أن يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى أنه الله وأنه في السموات والأرض بمعنى أنه عالم بما فيها لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيها **فإن قلت** كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم **قلت** إن أردت المتوحد بالإلهية كان تقريرا له لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم أو خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم أنباء الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزؤا وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيمة أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته مكن له في الأرض جعل له مكانا ونحوه أرض له ومنه قوله إنا مكنا له في الأرض أولم نمكن لهم وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم

من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء
المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب والمطر والمدرار المغزار ٥

فإن قلت أي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم

قلت الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده
منهم فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تع ولا يخاف
عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بأيديهم ولم يقتصر بهم على
الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا إن هذا إلا سحر مبين
تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الأمر لقضي أمر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد
نزوله طرفة عين إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية
لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة لم يكن
بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة
التكليف عند نزول الملك فيجب إهلاكهم وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكا في صورته
زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الأمرين قضاء الأمر
وعدم الإنظار جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد
من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون
لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة
لجعلناه رجلا لأرسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في أعم الأحوال في صورة دحية لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا
عليهم ما يلبسون ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون إذا رأوا

الملك في صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك فإن قال لهم الدليل على أني ملك أني
جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فإذا
فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز أن يراد
وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله
البينة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه فحاق بهم
فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل
الاستهزاء به

فإن قلت أي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله
ثم انظروا

قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه
قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله قل سيروا في
الأرض ثم انظروا فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع
وإيجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب
والمباح لمن ما في السموات والأرض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم أي هو لله
لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا منه إلى غيره كتب على نفسه
الرحمة أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة على توحيده
بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض ثم أوعدهم على إغفالهم النظر
وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم إلى يوم القيمة فيجازيكم
على شرككم وقوله تع الذين خسروا أنفسهم نصب على الذم أو رفع أي أريد الذين
خسروا أنفسهم أو أنتم الذين خسروا أنفسهم

فإن قلت كيف جعل

فسيروا

نكتة أنه استغنى

لكم

قوله تع الذين خسروا أنفسهم ذكر الأخفش أن الذين بدل من الكاف والميم المعنى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكذبون به والذي عندي أن قوله الذين خسروا أنفسهم في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق على الذين خسروا أنفسهم وغيرهم وهذه اللام في قوله ليجمعنكم لام قسم فجائز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم وكان المعنى والله ليجمعنكم وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسرا لها لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيمة ويكون معناه الرحمة في الإمهال ما قرناه إلى

عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس **قلت** معناه الذين
خسروا انفسهم في علم الله تعالى لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على
الله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله تع وسكنتم
في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل
معلوم فلا يخفى عليه شئ مما يشتمل عليه الملوان اولي غير الله همزة الاستفهام
دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي
فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تأمروني اعبد آلله اذن لكم وقرئ
فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهري فطر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان
يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم
وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم
بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول
للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم
على بنائهما للفاعل وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري
اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت بمعنى استفدت ويجوز ان يكون المعنى
وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط
ويقدر ويغني ويفقر اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام
كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى عليه السلام سبحانك

تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لي لا تكونن من المشركين ومعناه
امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله
الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه
تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن
له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله
عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع
عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز
ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم
اي هوله فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابي من يصرف الله عنه وان
يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو
وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على ادامته
او ازالته فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم
قاهرون الشئ اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم
والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شئ لا كالاشياء
كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد
اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم
يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد
بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب
لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شئ شهادة شهيد له

ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن
من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد
بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم أئنكم لتشهدون تقرير
لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود
والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت
في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم
ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته
ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به
جمعوا بين امرين متناقضين تكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة
والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها
وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحاير والسوائب
وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم
ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي
هو داخل في التخويف اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين
كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم ثم يقول
بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم
حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال
بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا
مكان خزيهم وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم

وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه
والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان
قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث
ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقوله من كانت امك وقرئ بالياء ونصب
الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء وضل
عنهم وغاب عنهم ما كانوا يفترونه اي يفترون الهيته وشفاعته **فان قلت**
كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقايق الامور وعلى ان الكذب والجحود
لا وجه لمنفعته **قلت** الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير
تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك
وقد علموا انه لا يقضى عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا مشركين
عند انفسنا وما علمنا انا على خطا في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو
عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق
عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم
هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم
في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن روي انه
اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم

يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما
يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية
فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة
على القلوب والوقر في الاذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله
واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على
انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا
ينطقون به من قولهم وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا طلحة
وقر بكسر الواو حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة
قوله حتى اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون
الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال
وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم
يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين
فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب
وهم ينهون الناس عن القرآن او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به
وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم
ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلعم
وينأى عنه فلا يؤمن به روي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلعم

سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم • حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة • وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح • ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة • لوجدتني سمحا بذاك مبينا
فنزلت
ولو ترى جوابه محذوف تقديره لرايت امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها
او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك
وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ ووقفوا على البناء للفاعل من وقف
عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من
المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات
وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني
ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين
من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني **فان قلت** يدفع ذلك قوله تعالى
وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا **قلت** هذا تمن قد تضمن معنى
العدة فجاز ان يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك
واكافيك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه
ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا كافأتك على الاحسان
وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا
لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون الناس من قبائحهم وفضائحهم

في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجراً لا انهم عازمون على انهم
لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه
وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلعم
ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو
ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة
ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء
وهم الذين قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وكفى به دليلاً على كذبهم وقفوا على ربهم
مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه
وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود
على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذا وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق
وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث
والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة
وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر
لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة
فان قلت اما يتحسرون عند موتهم **قلت** لما كان الموت
وقوعاً في احوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة
بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة

او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء
بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي
الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله يحملون اوزارهم
على ظهورهم كقوله تعالى فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف
الكسب بالايدي ساء ما يزرون بئس شيئاً يزرون وزرهم كقوله ساء مثلاً القوم
جعل اعمال الدنيا لعباً ولهواً واشتغالاً بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال
الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين
لعب ولهو وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالتاء والياء
قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله
ولكنه قد يهلك المال نائله • والهاء في انه ضمير الشأن ليحزنك قرئ بفتح الياء
وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد
والتخفيف • من كذبه اذا جعله كاذباً في زعمه واكذبه اذا وجده كاذباً والمعنى
ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك
في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك
وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات الله
والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس
انهم لم يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون
بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق

ولكنهم بآيات الله يجحدون وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل
يقول ما نكذبك وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به وروي أن الأخنس
بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه
ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا
ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت
وقوله ولكن الظالمين من إقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا
في جحودهم ولقد كذبت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن
قوله تعالى فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك
ما أهانوك ولكنهم أهانوني على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم ولا مبدل لكلمات الله
لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ولقد
جاءك من نبإ المرسلين بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان
يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل لعلك
باخع نفسك إنك لا تهدي من أحببت وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت
أن تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو
سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني إنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه
على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو
من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود
أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت كذا فافعل دلالة على أنه

اللواء بمكة والسقاية حوض من أدم يسقون الحاج منها والحجابة السدانة

بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز
أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآية كأنه قيل لو
استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك
آية يؤمنون عندها وحذف جواب إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة
فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه إنما يستجيب
الذين يسمعون يعني إن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون
وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته
على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم إليه يرجعون
للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك
وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ
يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل
عليه آية نزل بمعنى أنزل وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل
مؤنث لأن تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من
الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل
عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل إن الله قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان
كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب ولكن أكثرهم لا يعلمون
أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها أمم
أمثالكم مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم

ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك
لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما تختص به ثم الى ربهم يحشرون
يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض
كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء **فان قلت** كيف قيل الا
امم مع افراد الدابة والطائر **قلت** لما كان قوله تعالى وما من دابة
ولا طائر الا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير
حمل قوله الا امم على المعنى **فان قلت** هلا قيل وما من دابة ولا
طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه **قلت**
معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين
السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم
محفوظة احوالها غير مهمل امرها **فان قلت** فما الغرض في ذكر
ذلك **قلت** الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه
وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ
لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين
ليسوا مخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن ابي عبلة
ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا
بالتخفيف **فان قلت** كيف اتبعه قوله والذين كذبوا بآياتنا
قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته
وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه بكم لا ينطقون

بالحق خابطون في ظلمات الكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال
ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشإ الله يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف
به لان اللطف يجدي عليه ارأيتكم اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب
لانك تقول ارأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول
ارأيت نفسك زيدا ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف
تقديره ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله
اغير الله تدعون بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر
ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف
ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن
مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت
لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره
ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون
ان اتاكم عذاب الله **فان قلت** ان علقت الاستخبار به فما
تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة
لا تكشف عن المشركين **قلت** قد اشترط في الكشف المشيئة وهو
قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه
آخر من الحكمة ارجح منه البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء
القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا
اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم

ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع
كأنه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم
عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها
الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ
به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة والسعة
وصنوف النعمة لنزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب
المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا
بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا
تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون متحسرون
آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استوصلت شأفتهم
والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه
من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم
وعقلكم يأتيكم به اي يأتيكم بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة
او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات بعد ظهورها لما كانت
البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة
وعن الحسن ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك
تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء الا مبشرين ومنذرين
من آمن بهم وبما جاؤا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم

نزاوج بين ... اي نأتي على احداهما مرة وعلى الاخرى مرة كذا في الديوان

ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب
اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه
قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا
رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي لا ادعي ما يستبعد في العقول
ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب
واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه منزلة
منه اي لم ادع الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من
منزلة الملكية حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله
لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي
ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم
وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين
اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما
يوحى الي مما لا بد لي منه **فان قلت** لا اعلم الغيب ما محله من الاعراب
قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة
المقول كأنه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع
الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون في الاسلام
مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون
اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون
بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث

ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر
ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا
بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال
لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال ذكر غير المتقين من المسلمين
وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامر بتقريبهم واكرامهم
وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم
اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل
معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله
يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤسا من
المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم
وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال
عليه الصلوة والسلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا
فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه
قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا
بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت ورمى بالصحيفة واعتذر عمر
من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقعد معنا وندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد
فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه

وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي
معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي
وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد
شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على
ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين
وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى **فان قلت**
اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء
قلت قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد
وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تستقل بهذا المعنى الا الجملتان
جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص
عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ولا تطرد
ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب
عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا
بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء
الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم الله عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم
عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان
يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه االقي الذكر عليه من بيننا

لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى
كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس
الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن
يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ
سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم
وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم
بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف
كأن الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة
في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة
لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل
السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر
على انها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تك جاهلا * والثاني انه
جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى
يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين اشار باجابة
الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة قرئ وليستبين بالتاء والياء
مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل
يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل
البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على
قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيمة

ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم
بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت وزجرت بما ركب في
من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله
وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم
اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع
الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق
ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى
في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل
اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة
ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث
اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان
ثابتا عندك بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم
لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل فقال ما عندي ما تستعجلون به — غافصه اذا فاجأه مد
يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله
في تأخير عذابكم يقض الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في
اقسامه وهو خير الفاصلين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به — اي القاضين صح
ويقدره من قص اثره لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به
من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من — امتعض منه اي غضب صح
تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم

دقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن **فان قلت** بم انتصب الحق **قلت** بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق **فان قلت** لم اسقطت الياء في الخط **قلت** اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله تعالى الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امراة الا في الدار وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني

فيقول في امر كذا ليقضى اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب **فان قلت** الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها **قلت** فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم

ويوم ذو كواكب أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد ما يشفون عليه
من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف
والغرق فنجوا من ظلماتها لئن أنجيتنا على إرادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة
وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وأنجانا وخفية بالضم والكسر هو القادر هو
الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم كما أمطر على قوم لوط
وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان أو من تحت أرجلكم كما
أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل أكابركم وسلاطينكم
ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات
أو يلبسكم شيعا أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة
لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال
من قوله • وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى إذا التبست نفضت لها يدي • وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله تعالى أن لا يبعث عذابا على أمتي من فوقهم
أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني
جبريل أن فناء أمتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك فلما نزل أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا
قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة والضمير
في قوله وكذب به راجع إلى العذاب وهو الحق أي لا بد أن ينزل بهم قل لست عليكم
بوكيل بحفيظ وكل إلى أمركم أمنعكم من التكذيب إجبارا إنما أنا منذر لكل نبإ

ذكره الترمذي بإسناده إلى جابر

لكل شيء ينبأ به يعني إنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به مستقر وقت استقرار
وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها
والطعن فيها وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك فأعرض عنهم فلا تجالسهم
وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس أن تجالسهم حينئذ وإما ينسينك
الشيطان وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم
بعد الذكرى بعد أن تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز أن
يراد وإن كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره
العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم
وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء
مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى إذا سمعوهم
يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم
يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون
أي يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي أن المسلمين قالوا
لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام
وأن نطوف فرخص لهم **فإن قلت** ما محل ذكرى **قلت**
يجوز أن يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرا أو رفعا على ولكن عليهم
ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن
زيد لأن قوله من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي دينهم الذي
كان يجب أن يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه

قوله تع وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى أي وما عليك يا النبي وعلى المؤمنين من حسابهم أي كفرهم وتخالفهم آثامهم ولكن ذكرى أي ولكن عليكم أن تذكروهم ويجوز أن يكون في موضع نصب ورفع فمن نصب فالمعنى ذكروهم ذكرى ومن رفع فعلى وجهين أحدهما ولكن عليكم أن تذكروهم كما قال إن عليك إلا البلاغ وجاز أن يكون ولكن الذي تأمرونهم به ذكرى معاني الزجاج

من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزأوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال الشاعر

• وابسالي بني بغير جرم ۞ ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدي به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قل اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين

تمامه بعونه ولا يدوم سرور

كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوي اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستوي او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال ۞

فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته **قلت** النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انتكص مشبهين من استهوته الشياطين

فان قلت ما معنى استهوته **قلت** هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه

فان قلت ما محل امرنا **قلت** النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم

فان قلت ما معنى اللام في لنسلم **قلت** هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم

فان قلت فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر رضي الله عنه فكيف قيل للرسول عليه السلام قل اندعوا **قلت** للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضوان الله عليه

فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا **قلت** على موقع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم

عطف

وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أي للإسلام ولإقامة
الصلوة قوله الحق مبتداء ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار
كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والأرض
قائما بالحق والحكمة أي لا يكون شيئا من السموات والأرض وسائر المكونات إلا عن
حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز
أن يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه الحق
كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين
يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر اسم
أبي إبراهيم عليه السلام وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارخ والأقرب
أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها
من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر
اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان
يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين • أدعى بأسماء
نبزا في قبائلها • كأن أسماء أضحت بعض أسمائي • أو أريد عابد آزر فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه وقرئ أأزرا تتخذ أصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها
بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه
أتعبد أزرا على الإنكار ثم قال تتخذ أصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل
في حكم الإنكار لأنه كالبيان له فلما جن عليه الليل عطف على قال إبراهيم لأبيه
وقوله وكذلك نري إبراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى

ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره ملكوت السموات والأرض
يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا
نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية
حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب
فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال
ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئا منها لا يصح أن يكون إلها لقيام
دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثا أحدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر
طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها هذا ربي قول من ينصف
خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك
أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا أحب
الآفلين لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال المتنقلين من مكان
إلى مكان المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام بازغا مبتدئا في الطلوع
لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على من اتخذ القمر إلها وهو نظير الكواكب في الأفول
فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا أكبر من باب استعمال النصفة
أيضا مع خصومه إني بريء مما تشركون من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها
إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي للذي دلت عليه هذه المحدثات
وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه
فحكاه الله والأول أظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم إني بريء مما
تشركون **فإن قلت** لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما

فإن قلت الاحتجاج بالأفول أظهر قلت و انتقال من حال إلى حال
ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والإشارة إلى الشمس قلت
جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارتين عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك
ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وكان اختيار هذه الطريقة
واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا في صفة الله علام
ولم يقولوا علامة وإن كانت العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث وقرئ
تري إبراهيم ملكوت السموات بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل
الربوبية وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله
ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هداني يعني إلى التوحيد ولا أخاف ما
تشركون به وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء إلا أن يشاء ربي
شيئا إلا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم
في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني
بمخوف من جهتها إن أصبت ذنبا أستوجب به إنزال المكروه مثل أن يرجمني
بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء
علما أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها
أفلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف
أخاف لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وأنتم لا تخافون
ما يتعلق به كل خوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل بإشراكه سلطانا أي حجة
لأن الإشراك لا يصح أن تكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون

على الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون أنفسكم الأمن في موضع الخوف ولم يقل
فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازا من تزكية نفسه فعدل إلى قوله فأي الفريقين
يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم
يلبسوا إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم
بالكفر لفظ اللبس وتلك إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما
جن عليه الليل إلى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها أرشدناه إليها ووفقناه
لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ومن ذريته الضمير
لنوح أو لإبراهيم وداود عطف على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب
عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم
من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال تع لئن أشركت ليحبطن عملك آتيناهم
الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة هؤلاء يعني أهل
مكة قوما هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله
فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فإن يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب
النبي عليه السلام وكل من آمن به وقيل هم كل مؤمن من بني آدم وقيل
الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها أنهم
وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده
ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده
فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم
طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي هدى

ما لم تنسخ فإذا انسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده
للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف وما قدروا
الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا
بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه
حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل قراءة
من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار
إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال
التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم
لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى
للناس حتى غيروه وبعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا
مما راموا من الإبداء والإخفاء وروي أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد
فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك
اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر رضي الله عنه فقال ما أنزل الله على
بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال إنه أغضبني
فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا
إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا
يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم

الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد مما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة
ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على
بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش
كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قل الله أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك
ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة وبيانك
لمن كان لا يجدي عليه إنما أنت لاعب ويلعبون حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز
أن يكون في خوضهم حالا من يلعبون وأن يكون صلة له أو لذرهم مبارك كثير المنافع
والفوائد ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات
وتصديق ما تقدمه من الكتب وللإنذار وقرئ لينذر بالتاء والياء وسميت مكة
أم القرى لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم
ولأنها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين فمن ثم تلوى في بعض القربات رحلة
فأم القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة
ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها
لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت
لطفا له في المحافظة على أخواتها افترى على الله كذبا فزعم أن الله بعثه نبيا أو
قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء
الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي
سوارين من ذهب فكبرا علي وأهماني فأوحى الله تعالى إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا
عني فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء

الأسود العنسي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح
القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سميعا عليما
كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد
خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان
فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك
عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا
لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل
هو النضر بن الحارث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما
إذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز
أن يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وسكراته
وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا أيديهم يبسطون
إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة
عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال
وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه
في المطالبة ولا يمهله ويقول له أخرج إلي ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني
حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا عليهم أيديهم بالعذاب
أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز
أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت
الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة والهون الهوان

الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء تريد العراقة في الهوان والتمكن فيه
عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها فرادى منفردين عن أموالكم وأولادكم وما
حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم الذين زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء
لله كما خلقناكم أول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم
ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم
تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لأنفسكم فيكم شركاء في استعبادكم لأنهم حين دعوهم
آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين
وفراد مثل ثلاث وفردى مثل سكرى **فإن قلت** كما خلقناكم في أي محل هو
قلت في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل خلقنا لكم
تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على
إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما
تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق الحب
والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة يخرج
الحي من الميت أي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج هذه
الأشياء الميتة من الحيوان والنامي **فإن قلت** كيف قال ومخرج
الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت **قلت**
عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع
الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر
النامين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان ألا ترى إلى قوله تعـ

قال الزجاج إنما معنى فرادى كل واحد منفرد من شريكه في الغي وشقيقه ومعنى كما خلقناكم أول مرة أي كما خلقناكم عراة غرلا والغرل الغلف والذي يعنيه في اللغة أيضا كما بدأكم أول مرة أي بعثكم كخلقكم اهـ

والرفع أجود ومعناه لقد تقطع وصلكم والنصب جائز والمعنى لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم من معاني الزجاج

يحيي الأرض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية
فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره الإصباح مصدر سمي به الصبح
وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله • أفنى رياحا وبني رياح • تناسخ
الإمساء والإصباح • بالكسر والفتح مصدرين وجمعي مسي وصبح **فإن قلت**
فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال
تفري ليل عن بياض نهار • **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة
الإصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني أن يراد فالق
الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر
وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي • وأزرق
الفجر يبدو قبل أبيضه • وقرئ فالق الإصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح
وقرأ النخعي فلق الإصباح وجعل الليل السكن ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناسا
به واسترواحا إليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لأنه يستأنس بها
ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه
وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر
قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل أي وجعل
الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل **فإن قلت**
كيف يكون لليل محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضي
ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس **قلت** ما هو في معنى المضي وإنما
هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الإصباح

تمامه • وأول الغيث قطر ثم ينسكب •

كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل
والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا
أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لأن
حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن
الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك إشارة إلى جعلهما
حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما
العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر
وأضافها إليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من فتح قاف
المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل
والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو
فوق الأرض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع **فإن قلت**
لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر إنشاء بني آدم **قلت**
كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق
صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر
مطابقا له فأخرجنا به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من أصناف النامي
يعني أن السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل فأخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا
أخضر يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات
الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع

بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع
النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه تقديره ومخرجة
من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا
على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها
على أنه اسم جمع كركب لأن فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى
معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولأن النخلة وإن كانت صغيرة
ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب
بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لأن النعمة
فيها أظهر أو دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله تع سرابيل تقيكم
الحر وجنات من أعناب فيه وجهان أحدهما أن يراد وثمه جنات من أعناب
أي مع النخل والثاني أن يعطف على قنوان على معنى وحاصلة أو ومخرجة
من النخل قنوان وجنات من أعناب أي من نبات أعناب وقرئ وجنات
بالنصب عطفا على نبات كل شيء أي وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك
قوله والزيتون والرمان والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله تع
والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه
الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان
كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه
والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه
غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الإهمال

انظروا إلى ثمره إذا أثمر إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به
وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار
واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال
وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه
وقرئ وثمره إن جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء
وإن جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول **فإن قلت**
ما فائدة التقديم **قلت** فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك
من كان ملكا أو جنيا أو إنسيا أو غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء
وقرئ الجن بالرفع كأنه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الإضافة التي للتبيين
والمعنى أشركوهم في عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين
زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وإبليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق
الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا
من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أي اختلاقهم للإفك
يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم إلى الله في قولهم والله أمرنا بها وخرقوا
له وخلقوا له أي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير
عليهما السلام وقول قريش في الملائكة يقال خلق الإفك وخرقه واختلقه
واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها
كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله
ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرّقوا

بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما
وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل
بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطاء او صواب ولكن رميا بقول عن عمى
وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك
فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل
البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا وخبره انى
يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه
وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبدع السموات
والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات
الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة
لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان تكون له
صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به
ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم
يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء ذلكم
اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا وما بعده اخبار مترادفة
وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات
فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات
كان هو الحقيق بالعبادة ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل

فاعبدوه صح

يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على
الاعمال البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك
المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا
في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات
وهو يدرك الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة
التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل
لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم
بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا
عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور
العين الذي به يبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز
ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي
عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم
عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا
درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء
ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست
بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى
قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان
الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها
اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد

ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية **فإن قلت** اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه **قلت** الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه **فإن قلت** الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه **قلت** الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ
اي ضربت الضرب اي لنبين التبيين
ودرست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله **فإن قلت** سب الآلهة حق وطاعة فكيف يصح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي **قلت** رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر **فإن قلت**

فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا **قلت** ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي تقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس • عوجوا على الطلل المحيل لاننا • نبكي الديار كما بكى ابن خذام • ويقويها قراءة أبي لعلها اذا جاءتهم لا يؤمنون

وقرئ بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة
الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند
مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من
الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون
داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب
افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا
عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم
في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب
ويذرهم اي الله عز وجل وقرا الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا
بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء
بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي
عيانا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر
المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا
جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا وكما خلينا بينك وبين اعدائك
كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان
الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب شياطين

على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله تع وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم الى
بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض
الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن
لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي
عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه
غرورا خدعا واخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك
او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم ولتصغي جوابه
محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة
وتحقيقها ما ذكر والضمير في اليه يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه
اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار
وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغي حكما
على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق
منا من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين
الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان
القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن
من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم
به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته
وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته
وتمت كلمات ربك اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد صدقا وعدلا لا مبدل

لكلماته لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال
وقرئ كلمة ربك اى ما تكلم به وقيل هي القرآن وان تطع اكثر الناس اضلوك
لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم
ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شيء او
يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله الله فكلوا
مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم
كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا
مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى
بسم الله وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم
ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله تع حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم
عليكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اي يضلون
فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة ظاهر الاثم وباطنه
ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت
وباطنه الصديقة في السر وانه لفسق الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه
حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان اكله لفسق او جعل ما لم
يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا **فان قلت** قد ذهب جماعة من المجتهدين
الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد **قلت** قد تاوله

هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله به ليوحون
ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتله الله وبهذا
يترجح تاويل من تاوله بالميتة انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به
ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان
لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رضي الله عنه مرخصا في النسيان
دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه
التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا
فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض وينفصل
بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله
كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج
منها بمعنى في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل
الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار زين للكافرين
اي زينه الشيطان او الله تعالى على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله تع وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها
كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم
عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله
امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولهم هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما
يمكرون الا بانفسهم لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتقديم موعد بالنصرة عليهم روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا

علي تسمية الفاعل

لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وروي أن أبا جهل قال
زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه
والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله بل
يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة الله أعلم كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن
الله لا يصطفي للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم
سيصيب الذين أجرموا من أكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد
في الدارين من الأسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولا يريد
أن يلطف إلا بمن له لطف يشرح صدره للإسلام يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن
إليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي
لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول
الحق وينسد فلا يدخله الإيمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا
بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء كأنما يزاول أمرا غير ممكن لأن صعود
السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد
وأصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد وأصله يتصاعد ويصعد من صعد
ويصعد من أصعد يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض
ما يوصف به التوفيق من الطيب أو أراد الفعل المؤدي إلى الرجس وهو العذاب من
الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة
وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على أنه حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا لهم لقوم يذكرون دار السلام دار الله يعني الجنة أضافها

إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه
كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم
نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم
بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم نحشرهم
منصوب بمحذوف أي واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن
أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن
يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الإنس أضللتم
منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر
الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأشياع وقال أولياؤهم من الإنس
الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع
الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن
بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم وقيل
استمتاع الإنس بالجن ما في قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن وأن الرجل كان إذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي
يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون
على الدفع عنهم وإجارتهم لهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث
وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب
بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها إلا ما شاء الله أي
يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها

من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير
ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون
من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب ان
ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا
يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون
قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء
الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار
يستوجبون عذاب الابد نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا
كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم
كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم
يوم القيمة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث
اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الاية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين
ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل
من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك
وان كان من احدهما كقوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل
الرسل من الجن اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل
ان يبعث محمد عليه السلام يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الجن والانس قالوا شهدنا على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله حكاية لتصديقهم
وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا

لهم وقولهم شهدنا على انفسهم اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها
فان قلت ما لهم مقرين في هذه الاية جاحدين في قوله والله ربنا
ما كنا مشركين **قلت** تتفاوت الاحوال والمواطن كلها في ذلك
اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم
وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم **فان قلت** لم كرر ذكر
شهادتهم على انفسهم **قلت** الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون
والثانية ذم لهم وتخطية لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم
الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم
بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين
من مثل حالهم ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة
وهو خبر مبتداء محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل
اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي
تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث
لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو
اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول ولا كتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن
كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل
عما يعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر
وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع

الدائمة إن يشأ يذهبكم أيها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق
كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل
سفينة نوح عليه السلام المكانة تكون مصدراً يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ
التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم
يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم
التي أنتم عليها يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت
على ما أنت عليه لا تنحرف عنه إني عامل أي عامل على مكانتي التي أنا عليها والمعنى
اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون
أينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الأمر طريقة قوله اعملوا ما شئتم
وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا الشر فكأنه مأمور به
وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه **فإن قلت**
ما موضع من **قلت** الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم
أو النصب إذا كان بمعنى الذي عاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه
الدار لها وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال وأدب حسن
مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق وأن المنذر مبطل كانوا
يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوه
لله زاكياً نامياً يزيد في نفسه خيراً رجعوا فجعلوه للآلهة وإذا زكى ما جعلوه
للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها
وقوله تعالى مما ذرأ فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه وزكاه

ولا يرد إلى ما لا يعتد على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم أي قد زعموا أنه
لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لأنهم أشركوا
بين الله وبين أصنامهم في القربة فلا يصل إلى الله أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا
يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل إلى شركائهم
من إنفاق عليها بذبح نسائك عندها والإجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما
يحكمون في إيثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك ومثل ذلك التزيين
وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والآلهة أو ومثل ذلك التزيين
البليغ علم من الشياطين والمعنى أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام
زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية
لئن ولد لي كذا غلاما لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على
البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل أولادهم وزين على البناء للمفعول
الذي هو القتل ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل لما قيل زين لهم
قتل أولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم وأما قراءة ابن عامر قتل
أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل
إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات
وهو الشعر لكان سمجا كما سمج وردّ زجّ القلوص أبي مزاده فكيف به في الكلام
المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك أن
رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء
لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب

ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه عليهم ويشبهوه
ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل
دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس

فان قلت ما معنى اللام **قلت** ان كان التزيين
من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة
ولو شاء الله مشيئة قسر لما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او ما
فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت
الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترونه من الافك او
وافتراءهم حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر
والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة
حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء
من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام
وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم
فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر
عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه
اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او
مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون في اجنة البحائر

والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا
اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة
وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع
موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة وتدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب
على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان تكون حالا
متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه على الاضافة
وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ
وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة
بالتانيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان
الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم
وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم
الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا
يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم
بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من
البحائر والسوائب وغيرها انشا جنات من الكروم معروشات مسموكات
وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات
ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات
مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم

إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه مختلفا
أكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره
الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا
حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره
بضمتين **فإن قلت** ما فائدة قوله إذا أثمر وقد علم أنه إذا
لم يثمر لم يؤكل منه **قلت** لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل إذا أثمر
ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح
إلا إذا أدرك وأينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكوة إنما فرضت
بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك
واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو
الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم
الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء ولا تسرفوا في الصدقة
كما روي عن ثابت بن قيس أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل
منه شيئا إلى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا حمولة وفرشا
عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو
ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل
والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة
أجرامها مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم
من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية ثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشا

اثنين زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش
والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد وإذا كان معه غيره
من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين
الذكر والأنثى والدليل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن
اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج
بشرط أن يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاج كأسا بشرط أن يكون فيها خمر
والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ أبي ومن
المعزى وقرئ اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للإنكار والمراد بالذكرين
الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى
من المعز على طريق الجنسية والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها
ومعزها شيئا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك
الذكران من جنسي البقر والإبل والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك
أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادها كيفما كانت
ذكورا أو إناثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك
عليهم نبئوني بعلم أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم
إن كنتم صادقين في أن الله حرمه أم كنتم شهداء بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة
الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على
مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون إن الله حرم هذا الذي نحرمه
فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين

نقل هذا البيان من كتاب دلائل الإعجاز للشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله

لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم
يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب
فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه
قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك
ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض
بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد وتشديد للتحليل
والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم
انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم
التي حرمتموها الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما
مسفوحا اي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص
في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله
فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل
اي اهل لغير الله به فسقا **فان قلت** فعلام يعطف اهل والام
يرجع الضمير في به على هذا القول **قلت** يعطف على يكون ويرجع الضمير
الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من
هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر
حاجته من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه ذو الظفر ما له اصبع من
دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم

فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تع فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت
ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه
وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخاصة وهي
الثروب وشحوم الكلى وقوله تع الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور
والجنوب من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم
وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم
جالس الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم وهو تحريم الطيبات ببغيهم
بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه
اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك
في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا
وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة
رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول
الذين اشركوا اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك
آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك
كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاءوا بالتكذيب المطلق لان
الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة
القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي

بمشيئة الله تعالى وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله
ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى أنزلنا عليهم العذاب
بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه
لنا وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن تكون له حجة إن تتبعون
إلا الظن في قولكم هذا وإن أنتم إلا تخرصون تقدرون أن الأمر كما
تزعمون أو تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة
البالغة يعني فإن كان الأمر كما تزعمون أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة
البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم أجمعين منكم ومن مخالفيكم
في الدين فإن تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من خالفكم أيضا
بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع
بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم
وقربوهم **فإن قلت** كيف أمر باستحضار شهدائهم الذين
يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرما ثم أمر بأن لا يشهد معهم **قلت**
أمر باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر
للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين
والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم
يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم
مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع

الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو
متبع للهوى لا غير لأنه لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله تع
فإن قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون أن الله حرم
هذا وأي فرق بينه وبين المنزل **قلت** المراد أن يحضروا شهداءهم
الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم
ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق
ويبطل الباطل فأضيف الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء
معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فإن
شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا
يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض
ويناقضه قوله تعالى فإن شهدوا فلا تشهد معهم تعال من الخاص الذي
صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر
واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى أتل الذي حرمه ربكم
أو بحرم بمعنى أتل أي شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول أن في أن لا تشركوا
مفسرة ولا للنهي **فإن قلت** هلا قلت هي التي تنصب الفعل
وجعلت أن لا تشركوا بدلا من ما حرم **قلت** وجب أن يكون لا
تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الأوامر
عليها وهي قوله وبالوالدين إحسانا لأن التقدير وأحسنوا بالوالدين إحسانا
وأوفوا وإذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا **فإن قلت**

فما تصنع بقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيما **قلت** أجعل قوله وأن هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا بمعنى ولأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل واتبعوا صراطي لأنه مستقيم **فإن قلت** إذا جعلت أن مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر **قلت** لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من إملاق من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه إلا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوا عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له أو

عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وقرئ وأن هذا صراطي بتخفيف أن وأصله وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الأعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف أبي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم أيادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام وهو دين الإسلام وقرئ فتفرق بإدغام التاء وروى أبو وائل عن ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خط خطا ثم قال هذه سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار رضي الله عنه والذي نفس كعب بيده أن هذه الآيات لأول شيء في التوراة **فإن قلت** علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب **قلت** على وصاكم به **فإن قلت** كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل **قلت** هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيها كما قال ابن عباس رضي الله عنهما محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا

ثم هنا للترتيب الإخبار لا الوجود ... ثم آتينا موسى الكتاب ... تفسير نجم الدين عمر النسفي

موسى الكتاب وانزلناه هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر
السورة من قوله ووهبنا له اسحاق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة
على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله
على الذين احسنوا او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي
احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم
والشرائع من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم
وقرا يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة
من قرا مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا
موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اي على الوجه
والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا
كراهة ان تقولوا على طائفتين يريدون اهل التوراة واهل الانجيل وان كنا
هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه
كنا عن دراستهم لغافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن قراءتهم اي لم
نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة
حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على
انا اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم تبكيت
لهم وهو على قراءة من قرا يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى
ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف
الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف

صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل
سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت او العذاب
او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل قوله او يأتي بعض آيات ربك
يريد آيات القيمة والهلاك الكلي وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس
من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب رضي الله عنه كنا نتذاكر
الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات
الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام
ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت من قبل صفة لقوله نفسا وقوله او
كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا
جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع
الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة
ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة
اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب
خيرا لتعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي
ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة
والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان يأتيهم الملائكة بالتاء

بما كانوا يصدفون
هل ينظرون الا ان تأتيهم

يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها

قال البخاري في الصحيح حدثنا موسى بن اسمعيل نا عبد الواحد نا عمارة نا ابو زرعة نا ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها فذاك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل الآية حدثني اسحق بن منصور انا عبد الرزاق انا معمر عن همام عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل الى آخر الآية

انتظروا اتيان احد الثلاثة انا منتظرون له وقيل انتظروا الهلاك يوم القيمة او قبل يوم القيمة انا منتظرون هلاككم

واليآء وقرا ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث
الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما
اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على
ثلاث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا
ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا
كل فرقة تشيع اماما لها لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم
وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف عشر امثالها
على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب
ومضاعفة الحسنات فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون
لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم دينا نصب على البدل من محل
الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما
والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما
والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا
حال من ابراهيم ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل
وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل

صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حياتي واموت
عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك
من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام
امته اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار
اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب
ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامروني اعبد
ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم
النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم
خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض
في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتاكم من نعمة الجاه والمال كيف
تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد
والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم
لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام
صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من
سورة الانعام يوما وليلة . صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

في الخانقاه السعيدية [illegible] بالقاهرة المحروسة [illegible] اعز الله تعالى
طهر الله تعالى [illegible]
المالكي [illegible] ربيع [illegible]
محمد [illegible] التاسع عشر [illegible] سبعمائة
عفا الله تعالى عنه وعن [illegible]
بن يوسف بن عثمان [illegible]
[illegible]
بعون الله تعالى [illegible]
من كتبه [illegible] على يدي العبد
وقد تم [illegible] الكشاف [illegible]
وقد تم الربع الاول
وكان الشيخ في الخانقاه المذكور يومئذ الشيخ الفاضل
مولانا سيف الدين السيرامي
ابقاه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم من كلام الشيخ المحقق الواصل الى الحق محي الدين رزقنا الله تقواه

نص وانا ان نعتقد في حادثة مثلا الثابت ما رويناه عن الافتخار بن الحرمين وهو ما حدثنا به محمد بن اسمعيل بن ابي الصيف اليمني نزيل مكة قال حدثنا الحسن بن علي بن ابرهيم بن فراس عن ابي محمد اسحق بن نافع الخزاعي قال حدثنا الحسين بن احمد بن فراس قال حدثنا ابو علي ابرهيم بن فراس قال حدثنا الحسن بن خلف بن معمر بن قاسم الشامي قال حدثنا ابو محمد علي بن عبد الله بن العباس عن رسول ابرهيم بن عبد الرحمن المكي قال حدثنا بعض المشايخ المكيين ان داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي لما ولي مكة والمدينة اقام بمكة وولى ابنه سليمان المدينة فاقام بمكة عشرين شهرا فكتب اليه اهل المدينة وقال الزبير بن ابي بكر كتب اليه يحيى بن مسكين بن ايوب يسأله التحول اليهم ويعلمونه ان مقامه بالمدينة افضل من مقامه بمكة واهدوا اليه في ذلك شعرا قال شاعرهم يقول فيه

اداود قد فزت بالمكرمات * وبالعدل في بلد المصطفى * وصرت امالا لاهل الحجا * وسرت بسيرة اهل التقى
وانت المهذب من هاشم * وفي منصب العز والمرتجى * وانت الرضي للذي نابهم * وفي كل حال وخلق رضي
ص فعدلك فينا هو المنتهى * ومكة ليست بدار المقام * فهاجر كهجرة من قد مضى * معاقل عشرين شهرا بها * كبيرهم عندنا اهل الحجى
وقصد بلاد الرسول التي * بها الله خص نبي الهدى * ولا تنس كثير عن قربه * سترت شوقه بالهوى * فقبر النبي وآثاره

فلما ورد الكتاب والاشعار على داود بن عيسى ارسل الى رجال من اهل مكة فقرأ عليهم الكتاب فاجابه رجل منهم يقال له عيسى بن عبد العزيز الجعلبوسي بقصيدة يرد عليه ويذكر فيها فضل مكة وما خصها الله تعالى به من الكرامة والفضيلة ويذكر المشاعر والمناقب فقال وفقه الله هذه القصيدة

اداود انت الامام الرضي * وانت ابن عم نبي الهدى * وانت المهذب من كل عيب * كبيرا ومن قبل في الصبى * وانت المؤمل من هاشم
وانت لنا قوم كرام تقى * وانت غياث لاهل الخصاص * نسدد خصاصتهم بالغنا * اتاك كتاب حسود جحود * اتاني مقالته واعتدى
يخير نزيل شعب * على حرم الله حيث ابتنى * وان كان يصدق فيما يقول * فلا يسجدن الى ماهنا * واي بلاد تفوق التي بها
ومكة ام القرى * ويدحى الارض من تحتها * ويثرب لا شك فيما دحا * وبيت المهيمن فينا مقيم * نصلي اليه برغم العدى
ومسجدنا بين فضله * على غيره ليس فيه ذا امرا * صلوة المصلي تعدد له * مئين الوفا صلاة وفا * كذلك لنا في حديث النبي
وما قال حق به نقتدي * واما لكم كل يوم وفود * الينا سوارع مثل القطا * فيرفع منها الاتي الذي * بنا ويترك مالا يشا
ونحن نحج الينا العباد * فيرمون سعيا بوتر لها * ويأتون من كل فج عميق * على انق ضمر كالقنا * لتقضوا مناسككم عندنا
فمنهم سعاة ومنهم معا * فكم من ملب بصوت حزين * ندى صوته في الهوى قد علا * وآخر يذكر رب العباد * ويثني عليه بحسن الثنا

فكلهم اشعث اغبر * يوم المعرف اقصى المدا * فظلوا به يومهم كله * وقوفا يضجون حتى المسا * خفاة ضحاة فيا ما لهم * نجيج بنا جوز رب السما
رجاء وخوفا لما قدموا * وكل يسائل دفع البلا * يقولون يا ربنا اغفر لنا * بعفوك والصفح عن الدجا * فلما دنا الليل من يومهم * ووقت النهار اجدوا البكا
وسار الحجيج له رحبة * فحلوا بجمع فصلوا العشا * فباتوا جميعا فلما بدا * عمود الصباح وولى الدجا * دعوا ساعة ثم شدوا النسوع * على قلص ثم اموا منا
فمن بين من قد مضى نسكه * وآخر يسد ابتسك الدما * وآخر يهدي الى مكة * ليسعى ويدعو فيمن دعا * وآخر يدمل حول الطواف * وآخر ماض يوم الصفا
فآبوا بافضل ما قد رجوا * وما طلبوا من جزيل العطا * وجه الملائكة المكرمون * الى ارضنا قبل فيما مضى * وآدم قدح من بعدهم * ومن بعده احمد المصطفى
وجه الينا خليل الاله * وهجر بالروح فيما نشا * فهذا العمري لنا رفعة * حبانا بها الله شديد القوى * ومنا النبي نبي الهدى * وفينا تنبا ومنا ابتدا

قال ابو عبيد في كتاب غريب المصنف

قال الفناء رجل مخضرم الحسب وهو الدعي

ولحم مخضرم لا يدرى ابن ذكر هو او من انثى

يا بيتنا ول الاجناس كلها

يا ولا عاشا الاتراك تقول اذا تعرف

رايت شخصا من بعيد ما هو قبل ان ذكر في آخرا عاينه

اعاقل هو ام غبي

و قال شمر قال ابن الاعرابي طعام مخضرم

بين الثقيل والخفيف ورجل مخضرم ليس بالزاكي

الحسب وشاعر مخضرم جاهلي اسلامي ه

بدانی جواز دل درو بنگری چه جان دانم تا تو جان پروری